جامعة أم درمان الاسلامية
كلية الاداب
شعبة التاريخ والحضارة الاسلامية
قسم الدراسات العليا

استعمار جزر القمر
١٨٤٣ - ١٩١٥م

رسالة ماجستير

مقدمة من :
الطالب : محمد ذاكر حسن سقاف
اشراف : الدكتور محمد على الطيب

١٤١٤هـ / ١٩٩٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقديــــر:

أتقدم بالشكر الى كل أهلى بجزر القمر والسودان الذين كانوا خير عون لى فى مشوارى العلمـــى . والحمد والشكر لله من قبل ومن بعد - الذى ألهمنى الصبر فى الاستمرار فى هذا المشوار الـى أن حققت هذا الانجاز العلمى .

محتويـــات البحـــث	الصفحـــة

مقدمة

مقدمـــة :

ان هذه الدراسة تتناول أهم وأخطر حقبة من حقب تاريخ جزر القمر ـ وهى الحقبة الاستعمارية • وهى بذلك دراسة للتاريخ السياسى الحديث لهذه البلاد فى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلاديين •

وسوف نتبع فى هذا البحث المنهج الوصفى التحليلى بقصد الوصول الى الحقائق العلمية الدقيقة التى تساعد القاء الاضواء على الاحداث بتجرد ومنطق تاريخى سليم •

ان الكتابات الفرنسية التى تناولت تاريخ هذه البلاد • ستكون هى المراجع التى سوف يعتمد عليها الباحث كثيرا فى طرح مادته عن طريق المنهج الوصفى التحليلى • ذلك لان الكتابات العربية لم تتناول تاريخ هذه الجزر الا فى حدود اشارات عابرة •

وهكذا اصبحت الحاجة تقتضى قيام أبناء هذه الجزر بدراسة تاريخ بلادهم وابراز الحقائق التاريخية وتقديمها الى العالم الاسلامى والعربى خاصة والعالم أجمع • وذلك حتى تتضح المعالم التاريخية لهذه البلاد •

وقد اخترنا لهذا البحث عنوانا هو " استعمار جزر القمر ١٨٤٣ـ١٩١٥) وهو يبحث فى الفترة التاريخية ـ السياسية الحديثة لهذه الجزر ـ منذ وقوعها تحت الاستعمار الفرنسى الى قيام أول مقاومة ضد الاستعمار أى في الفترة مابين ١٨٤٣ـ١٩١٥•

وكان العنوان الاول " استعمار واستقلال جزر القمر" بيد أن استاذى الدكتور محمد على الطيب أبدى ملاحظاته على العنوان واقترح اجراء تعديل عليه والاقتصار على " استعمار جزر القمر ١٨٤٣ـ ١٩١٥)•

وهذا التعديل افاد الباحث كثيرا ومكنه من التعمق
وصب الجهود العلمية حول موضوع محدد • هــو موضوع
الاستعمــار ورد الفعل القمرى - ليكون موضوع الاستقلال موضوعا
منفصلا عن الاستعمار يمكن البحث عنه فى دراسة أخرى •

أهميــة الموضــوع :-

تتمثل أهمية هذه الدراسة فى هذه المرحلــة فى عدة اتجاهات :-

اولا :- ان بلادنا اليوم تمر بظروف خطيرة تهدد وحـدة الهلال بنجومه الاربع -[1] ذلك انه فى عام ١٩٧٥ منحــت فرنسا جزر القمر استقلالا مشوها •

سمحت فرنسا بمقتضى هذا الاستقلال ان تستقــل الجزر الثلاث " هنزوان" و "موهيلى" و " القمر الكبرى"[2] بينما تمركزت قوات الاحتلال الفرنسى على جزيرة مايـــوت رابع الجزر القمرية •

ثانيــا :- اصبحت مايوت[3] حتى اليوم تحت الاستعمـار الفرنسى - وهذا الموضوع سوف نراه بوضوح عند دراســة الفترة الاستقلالية •

ان تمسك فرنسا بمايوت القمرية ورغبتهـا فــى البقاء بهذه البلاد هو تمسك امبريالى - واهمية هـــذا البحث انه يكشف النقاب عن الموءامرات الامبرياليـــة الفرنسية التى تسعى الى تفتيت وتمزيق الوحدة القمريـة بفصل مايوت عن بقية أخواتها من الجزر •

ثالثـا :- أن البحث سوف يعبد الطريق أمام أبنـــاء الجزر القمرية الاربع الى فهم حقيقة المؤامرة الاستعمارية الفرنسية - ثم أن كتابة هذه الدراسة باللغة العربيـة سوف تقرب المسألة القمرية هذه الى العرب الغيوريين على مصالح الامة العربية والاسلامية • وهذه نقطة مهمــة لان كثيرا من العرب لايعرفون حقيقة هذه المسألة •

---

(١) أعنى بالهلال والنجوم الاربع أن جزر القمر عبارة عن أربـع جزر - وقد تم تصميم علم البلاد باللون الاخضر عليه هـلال مخيط بأربع نجوم رمزا لوحدة الجزر •

(٢) **سيأتى ذكر هذه الجزر بشىء من التفصيل فى مكان آخــر** تحت عنوان الموقع الجغرافى •

(٣) سيتم ذكرها جغرافيا فى الموقع الجغرافى •

الصعوبـــات :ـ

الصعوبات التى واجهتنى فى سبيل هذا البحـث كثيرة جدا وسوف اوجزها فى الاتى :ـ

١ـ ندرة أو بالاحرى انعدام المصادر والمراجع العربية فى المكتبة العربية التى تتناول تاريخ هذه البلاد فـى الوقت الذى عزم الباحث على تقديم بحثه باللغة العربية.

٢ـ أحـراق لجان الرئيس على صالح[1] الوثائق عندمـا استولى على الحكم فى ٣ أغسطس عام ١٩٧٥. هذا الـى جانب ضياع الكثير من الوثائق والمخطوطات ابان الحروب الاهلية .

---

(١) عملية احراق الوثائق مازالت لغزا يصعب تفسـيرة حتى اليوم غير انه يمكن تحليل ماحدث فى عهـد على صالح (٧٥ـ١٩٧٨) الى القول أن الرجـل كـان يرمى من وراء احراق الوثائق الى خطوتين :ـ

الخطوة الاولى : القضاء على البيروقراطية وارغـام العاملين والموظفين الى النزول الى الميادين العملية فى الزراعة والصناعة والتعمير بدلا من الجلوس فـى المكاتب . وهذا حدث بالفعل اذ انشأ اللجـان الثورية وجعل الامر فى يدها .

الخطوة الثانية : اعلان الحرب على فرنسا . ذلـك لان الحكومة الفرنسية منحت البلاد استقلالا جزئيـا وتم الاعلان عن ذلك فى ٦ يوليو ١٩٧٥ على يـد الرئيس أحمد عبدالله عبدالرحمن زعيم حـزب الوحـدة القمرية . ولكن ظهر أن جزءا من البلاد (مايـوت) تحت الاستعمار وقام على صالح زعيم حزب الامة واستولـى على السلطة بانقلاب ٣ أغسطس ١٩٧٥ أى بعد شهرين من اعلان الاستقلال وكان يري ان هذه الوثائق انما تخـدم ـ المصالح الفرنسية ولاتخدم قضايا الشعب القمرى . واتجه على صالح نحو الكتلة الشرقية (الاتحاد السوفياتيـ الصين) ووجد دعما عسكريا . واعلن الحرب على فرنسا عام ١٩٧٦ بهدف تحرير مايوت الا ان جيشة منى بهزيمة كبيرة . ونتيجة

٣- ان المركز القومى للوثائق والبحوث العلمية الموجود بمدينة مرونى عاصمة جزر القمر يضم عددا من الوثائق التى استطاعت حكومة القمر استردادها من الحكومة الفرنسية فى الأعوام القليلة الماضية ولكن هذه الوثائق قليلة نسبيا •

كذلك يضم هذا المركز عددا من المراجع والدراسات التى قام بها الفرنسيون وبعض القمريين غير أن هذه الدراسات تظل محدودة أمام باحث يحمل هموم الحصول على المصادر والمراجع الصحيحة التى تعينه •

٤- وعلى هذا الاساس جاءت الفكرة للسفر الى فرنسا فى ابريل ١٩٩١ غير أن المركز القومى للبحوث أكد لى أننى سوف لا أجد وثائق جديدة فى فرنسا لان كل ماكان لديها من وثائق تم نقلها الى هذا المركز •

ولكن مع ذلك اتصلت بالسفارة بجزر القمر أريد تأشيرة دخول فرنسا غير أن السفارة أكدت ايضا أننى سوف لا اجد جديدا فى فرنسا - غير الوثائق الموجودة بالقمر • وان كان هناك جديد فأنه سوف لايكشف عن اسراره - فصرفت النظر عن السفر الى باريس بعد أن وجدت هذه التأكيدات • والتى يبدو أنها من حساسية الموضوع - وجزء من البلاد مازال تحت الاحتلال الفرنسى •

٥- ومن هنا خطرت لى فكرة السفر الى مدغشقر لانها كانت ايضا تحت الاستعمار الفرنسى • ولان الفترة الزمنية لدخول كل من مدغشقر وجزر القمر تحت هذا الاستعمار كانت متزامنة • فضلا عن أن جزر القمر كانت قد الحقت اداريا عام ١٩٠٨ بمدغشقر هذا الى جانب الجوار بين البلدين •

للتهديد الذى كان يشكله على فرنسا - قامت الاخيرة بدعم أحمد عبدالله الذى كان يعيش فى المنفى بفرنسا وتزويده بالمرتزقه الذين تمكنوا من الاستيلاء على السلطة واعتقال الزعيم على صالح عام ١٩٧٨ واغتياله فى السجن تحت ظروف غامضة سوف تظهر اكثر عند دراسة الحركة الوطنية •

وهناك فى مدغشقر وجدت بعض الوثائق فى دار المحفوظات الملجاشية بعاصمة الجزيرة " تناناريف" بيد انها كانت متشابهة بتلك التى وجدت بالقمر • ومع ذلك فقد استفاد الباحث من هذه الرحلة •

وكانت خطتى فى جزيرة مدغشقر ان أزور مدن " مجانقا "[١] و " تامتاقى "[٢] و " ديغو "[٣] وهى مدن كان للقمريين وجود هائل بها وجاليات كبيرة • غير أن الاضرابات التى بدات تحدث فى مدغشقر منذ مايو الى اغسطس ١٩٩١ بين الحكومة الملجاشية والجيش والمعارضة لم تساعدنى على البقاء كثيرا بالجزيرة وزيارة تلك المدن •

٦- قمت بزيارة الى " زنجبار " سبتمبر ١٩٩١ وذلك لدراسة العلاقات التاريخية والسياسية بين القمر وزنجبار - وقد وجدت بعض المخطوطات التى كان لها اثر فى مادة البحث •

على أن معظم المواد التى تحصلت عليها من زنجبار ومدغشقر تتناول من الناحية السياسية الفترة التى تلت الحرب العالمية الثانية • أى فترة ظهور الحركة الوطنية •

اما المواد التى تتناول العلاقات التاريخية والاقتصادية قبل الاستعمار فأنها لاتختلف عن تلك التى وجدتها بالقمر •

كان السفر الى جزر القمر ضروريا لعدم وجود مراجع باللغة العربية بالسودان أو بالبلاد العربية التى قمت بأجراء بعض الاتصالات معها كعمان ومصر• والتى أوضحت لى عدم وجود دراسات متخصصة عن جزر القمر سوى الاشارات التى توجد فى الكتب عن شرق افريقا • (٤)

---

(١) "مجانقا" من كبرى مدن جزيرة مدغشقروهى على الطرف الشمالى الغربى للجزيرة •

(٢) مدينة فى الجنوب الشرقى للجزيرة •

(٣) جزيرة فى الطرف الشمالى الغربى لجزيرة مدغشقر •

(٤) مثال : د• جلال يحى وآخر القرن الافريقى وقضية شعب الصومال. دار المعارف بمصر ١٩٨١.
وكذلك •د• السيد رجب حراز افريقية الشرقية والاستعمار الاوربى دار النهضة بالقاهرة ١٩٦٨•

هذا الى جانب السفر الى مدغشقر وزنجبار والعوائق المالية وصعوبة النقل والترجمة والمقارنة والتحليل فى أول بحث من نوعه . كل هذه تمثل صعوبات واجهت الباحث .

وبفضل الله ومع ذلك كله فقد كانت مساعدة أهلى وأساتذتى بالسودان الذين شجعونى بالمضى فى هذا الموضوع خير عون حتى تذللت الكثير من هذه الصعوبات . واستطاع البحث عبور خضم أمواج هذه العقبات حتى يصل الى الشاطىء بعد رحلة طويلة محفوفة بالمخاطر العلمية للندرة وشح المصادر والمراجع . وأرجو أن تكون الرحلة العلمية القادمة ان شاء الله أكثر دقة وأقل خطرا وأقيم علما واخف صعوبة .

مكانة هذه الدراسة من الدراسات السابقة :

هذه الدراسة هي الاولى من نوعها بحسبانها أعدت باللغة العربية • فهى دراسة تساهم بدرجة كبيرة في تقديم معلومات تاريخية ينشدها متحدثو العربية • وهذا جانب له مكانته الدراسية والعلمية •

والجانب الاخر أن الدراسات السابقة التى قام بها القمريون كانت تتبع المنهج السردى النقلى • وهذه الدراسة هى من بين الدراسات القليلة التى اتبعت المنهج الوصفي التحليلى بقصد الوصول الى الحقيقة والفكاك عن المنهج السردي النقلى الذى سار عليه الباحثون القمريون عندما سردوا ماجاء فى الكتب الفرنسية دون تحليل •

تقويـم المصادر والمراجـع : -

بالرغم من شح المصادر والمراجع التى تناولت تاريخ جزر القمر • الا أن ماوجده الباحث من دراسات ومعلومات استطاع الاستفادة منها واخراج المادة الى الوجود •

فقد اعتمد الباحث على مخطوطات مكتوبة بالعربيـة كانت محفوظة عند افراد بجزر القمر • ومن هذه المخطوطات مخطوطة الشيخ أحمد مقاهاى ومخطوطة الشيخ حسن علـى - ومخطوطات رقم (٦٩٩) ١٢-٣٦٧ ورقم (٦٩٩) ١٢-٣٨٣ بالمركز القومى للبحوث العلمية بمدينة مرونى عاصمة البلاد •

وكانت معلومات هذه المخطوطات متقاربة حول الاجناس البشرية التى دخلت جزر القمر عبر القرون - وعن الحياة الدينية والسلطنات القمرية والحروب الاهلية التى كانت تحدث بيـن الامارات القمرية •

ويبدو أن هذه المخطوطات كتبت فى الفترة مابين - القرن الثامن عشر أو قبل ذلك الى القرن التاسع عشر الميلاديين • وذلك من خلال سردها للاحداث ومقارنة هذه المعلومات مع ماورد فى المراجع الحديثة •

ومخطوطة الشيخ أحمد مقاهاى الذى لا يزال يعيش حتى اليوم عن عمر يناهز المائة سنة • حتى انه لم يعد يقوى على الحديث • بل الذين يقومون بشرح مافى المخطوطة المنسوبة اليه هم ابناؤه أمثال الشيخ محمد أزهرى وهو الذى قام باعطائى المخطوطة وذلك بمدينة " مبين " شمال القمر الكبرى ١٥ ابريل ١٩٩١م •

وعندما قرأتها وصلت الى أنها كتبت فى فترة ربما قبل ميلاد شيخ أحمد مقاهاى • ربما عن اجداده • ولكن يبدو أن الشيخ أضاف بعض الفصول عن حياة القمريين اثناء الادارة الفرنسية الاستعمارية •

كذلك يبدو أن مخطوطة الشيخ حسن على ليست من كتابته ولكن نسب اليه لانه ورثها عن اجداده - والشيخ كان يبلغ من العمر عندما قابلته بمدينة " نساوين " حوالى ٦٠ سنه ولكن نسبت المخطوطة اليه ربما لعدم وجود اسم كاتب عليها •

كذلك المخطوطات التى وجدناها بالمركز القومى للبحوث بمرونى كانت تبدو قديمة بعض الشىء - والذى يجعل الباحث يبنى على انها مخطوطات ترجع الى القرن الثامن عشر أو على أقل تقدير فى بداية القرن التاسع عشر الميلادى هو اتفاقها جميعا فى سرد الاحداث الاجتماعية والسياسية حتى مجىء - الشيرازيين فى القرن السادس عشر •

وتذكر الاغارة الملجاشية على الجزر القمرية فى القرن الثامن عشر الميلادى هذا الى جانب اشارة بعضها الى الحروب التى قامت بين السلطان أحمد بن شيخ غومى والسلطان موسى فوم وبين الاخير والسلطان سيد على فى النصف الاخير من القرن التاسع عشر الميلادى .

المهم أن هذه المخطوطات تحتاج الى دراسات تقويمية أخرى لتنقيحها وضبطها حتى تظهر الاثباتات التاريخية عن تاريخ كتابتها .

كذلك وجد الباحث مخطوطة برهان مكيلى بالمركز القومى بمرونى مترجمة من العربية الى الفرنسية على يد أحد القمريين. وعندما طلب منى استاذى الدكتور محمد على الطيب بضرورة مسح المكتبات الموجودة بالسودان من جديد . وذلك بعد عودتى من جزر القمر فى ديسمبر ١٩٩١.

ذهبت الى جامعة الخرطوم وهناك اتصلت بالدكتور عمر النقر الاستاذ بالجامعة الذى اعطانى نسخة مصورة من مخطوطة برهان مكيلى(١) بالعربية . وقد قرأتها وقارنتها بالنسخة المترجمة وكانت متوافقة معها . واعتمدت على النسخة العربية فى البحث .

ومخطوطة برهان مكيلى حديثة لانه يتناول الاحداث حتى سقوط البلاد تحت الاستعمار الفرنسى . غير أن المخطوطة تتحدث عن جزيرة القمر الكبرى أكثر من غيرها - وانها لاتتناول المقاومة القمرية ضد الوجود الفرنسى التى قامت عام ١٩١٤-١٩١٥.

---

(١) برهان مكيلى أو مكلا . هو برهان بن الشيخ محمد بن آدم المشتهر بمكلا أو مكيلى بن آدم . جده آدم هاجر بأسرته من القمر الكبرى فى بداية القرن التاسع عشر الميلادى إلى زنجبار واقام بها.وكان والد برهان قد بدأ حياته خياطا . حتى اصبح فى عهد السلطان برغش بن السيد سعيد من رجال الدولة السعيدية شأنه في ذلك شأن الجماعة القمرية التى خدمت سلطنة زنجبار كما يقول برهان مكيلى فى مخطوطته ص ٢٤-٢٥.

الجدير بالذكر أن هذه المخطوطات كلها كتبت بلغة عربية سليمة • وتكاد تتفق فى مادتها عن العناصر البشرية التى وفدت الى هذه البلاد ثم دخول الاسلام ومجىء الشيرازيين والعمانيين فى القرن السادس عشر الميلادى هذا الى جانب الاغارات الملجاشية على هذه الجزر وسوف نضع هذه المخطوطات فى ثبت المصادر والمراجع وفى ذيل البحث •

هناك ايضا بعض الوثائق والتقارير والمراسلات التى كان الفرنسيون يبعثونها منذ احتلالهم جزيرة مايوت (١٨٤٣) وسوف ترد فى ذيل البحث وفى المصادر والمراجع •

والجدير بالاشارة هنا أن الباحث لم يستطع تصوير شىء من هذه المخطوطات أو الوثائق نسبة لان اصحاب المخطوطات رفضوا السماح بخروج مخطوطاتهم خارج ديارهم • وكذلك حال المركز القومى للبحوث فأنه لا يسمح بخروج أى وثيقة أو كتاب خارج المركز • وهذا ما أخرنى هناك عندما سافرت • اذ اخذت مايقرب من السنه الكامله داخل هذا المركز وديار الشيوخ اقرأ و أنقل وأسمع الى شرح الشيوخ والمعاصرين •

هناك ايضا مقابلات ولقاءات اجريناها مع شخصيات معاصرة من القمر تحدثت الينا عن النظم التعليمية والادارية والمقاومات القمرية ضد الاستعمار • وهذه المقابلات كانت فى غاية الاهمية لانها أثرت البحث بمادة غزيرة لم ترد فى الكتب والمراجع • ومن أمثلة هذه المقابلات مقابلة الشيخ احمد مغوار ومقابلة ابن قاسم وهما من المعاصرين لمقاومات ١٩١٤-١٩١٥ •

الى جانب ذلك هناك دراسات ميدانية عن الخلاوى القرآنية والفقهية لدراسة النظام التعليمى الذى كان سائدا فى هذه البلاد قبل الاستعمار الفرنسى •

اعتمد الباحث كذلك على المراجع والبحوث التى كتبها الفرنسيون والقمريون ومعظم هذه الدراسات توجد بالمركز القومى للوثائق والبحوث العلمية بمرونى عاصمة القمر .

ومن أمثلة هذه الكتب كتاب (Histoire de Mayotte avant 1841) أى تاريخ مايوت قبل عام ١٨٤١ للكاتب الفرنسى (A.Claude) وهو كتاب مهم جدا اذ يذكر تاريخ مايوت منذ دخول العناصر العربية والملابوية اليها فى العصور الوسطى كما يتعرض ايضا الى العناصر الشيرازية التى قدمت اليها من القمر الكبرى فضلا عن تعرضها للاغارة الملجاشية فى القرن الثامن عشر ثم ماتلا ذلك من توحيد مايوت وهنزوات عقب الغارة الملجاشية على الجزر القمرية .

كذلك كتاب تاريخ القمر (Histoire des Comores) للكاتب القمرى القاضى عمر . وهو كتاب يضم تاريخ هذه الجزر الاربع منذ العصور القديمة حتى وقوع البلاد تحت الاستعمار الفرنسى وما تلا ذلك من مقاومات الى استقلال البلاد عام ١٩٧٥ . هذا الى جانب تخصيص فصول خاصة للتعليم والادارة الفرنسية والنظم التى كانت سائدة قبل الاستعمار فضلا عن تقاليد المجتمع القمرى وعاداتهم .

كذلك من المراجع المهمة التى استفاد منها الباحث كتاب المؤلف الفرنسى " جان مارتن " "Jean Martin" وهو بعنوان : القمر اربع جزر بين القراصنة والملجاشيين (Comores: quatre iles entre pirates et planteurs malgaches) وهو كتاب على جزأين - الجزء الاول يبدأ منذ العصور القديمة بقدوم العرب والبانتو والملايو - اندونسيين والشرازيين الذين جاءوا فى العصور الوسطى الى البلاد . كذلك دخول الاسلام الى هذه الجزر والعادات والتقاليد السائدة فيها. ويخصص فصولا طويلة فى ذكر الامارات والسلطنات القمرية منذ تكوينها فى القرن السادس عشر الميلادى الى جانب تناول السلاطين وحروباتهم . ويتبع هذا الجزء الضخم الذى يصل عدد صفحاته الى حوالى ٦٠٠ صفحة بالحجم الكبير حتى عام ١٨٤١.

ويبدأ الجزء الثانى الذى يصل عدد صفحاته ايضا الى حوالى ٦٠٠ صفحة من العام ١٨٤١-١٩٧٥ أى منذ بداية دخول الاستعمار الفرنسى الى البلاد حتى الاستقلال • ويتعرض جان مارتن فى كتابه هذا الى النظم الادارية والتعليمية وكذلك المقاومة التى اندلعت بين عامى ١٩١٤-١٩١٥ كذلك ظهور الحركة الوطنية حتى اعلان الاستقلال فى ١٩٧٥ •

هذا الى جانب عدد من الدراسات والكتابات الاخرى وأن كانت معظمها تتناول الفترة مابعد الحرب العالمية الثانية الى استقلال البلاد الا أنها كانت تتعرض بصورة أو بأخرى الى ماقبل الاستعمار •

المهم فأن المصادر والمراجع التى استعملها الباحث كان حريصا على مراعاة الامانة العلمية فى الاشارة اليها ولكن لما كان الباحث اتبع المنهج الوصفى التحليلى فانه قام بالتحليل حتى يخرج البحث فى ثوب - وصفى تحليلى بعيدا عن المنهج السردى النقلى •

خطـة البحـث :

يحتوى منهج البحث على مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة ثم ثبت بالمصادر والمراجع والملاحق .

فى المقدمة ذكرت اسباب اختيارى لهذا الموضـوع وأهميته العلمية والمرحلية والصعوبات التى واجهتنى فـى سبيله . الى جانب ذكر مكانة هذه الدراسة من الدراسات السابقة - وتقويم المصادر والمراجع بصورة مقتضبة وخطة - البحث .

وفى التمهيد تعريف عن موقع جزر القمر الجغرافـى واصول القمريين واللغة القمرية وبعض مظاهر الحياة الاجتماعية والدينية .

وفى الفصل الاول تناول الباحث قيام السلطنات القمرية فى العصر الحديث ثم الحروب الاهلية التى كانت تقوم بـين هذه السلطنات . ودور هذه الحروب فى سقوط البلاد تحـت الاستعمار الفرنسى هذا الى جانب العلاقات القمرية الخارجيـة ابان عهد السلطنات .

أما الفصل الثانى . فقد تناول الاحتلال والاستعمـار الفرنسى . وتعرض الى البعثات البحرية الفرنسية والمعاهـدات والاتفاقيات التجارية والسياسية بين السلاطين القمريين والفرنسيين.

وفى الفصل الثالث تناول نظم الادارة الفرنسية الـتى كانت مطبقة على هذه البلاد حتى عام (١٩١٥) وهو حدود البحث ولكن الباحث تعرض الى بعض النظم التى كانت سائدة قبـل الاستعمار لزيادة الفائدة العلمية فى هذا الجانب.

أما الفصل الرابع فقد تناول الباحث التعليم قبل واثناء الادارة الاستعمارية حتى ١٩١٥.

وفى الفصل الخامس تناول المقاومة القمرية ضد الاستعمار الفرنسى - وذكر المقاومات التى قامت عام - (١٩١٤) و (١٩١٥) • وهو الحدود النهائية لهذه الدراسة •

وبعد عرض هذه الفصول يضع الباحث خاتمة يتناول فيها النتائج العامة الملخصة من فصول الدراسة وبعد الخاتمة يضع الباحث المصادر والمراجع التى ساهمت فى - هذه الدراسة ثم ملاحق توضح بعض المواقع للجزر القمرية •

هذه محاولة يسيرة لدراسة تاريخ بلادنا • فهذه الدراسة اذن لم تغط كل الجوانب والنواحي ولكنها فتحت بابا للدارسين القمريين خاصة والعرب عامة للولوج فى هذا المجال للتعرف على تاريخ هذه الجزر •

والهفوات التى يكون الباحث قد وقع فيها ماهى الا هفوات بشرية • فأن أصبت فى تناول وتقديم المادة فهذا من فضل الله ثم من بعد أساتذتى وكل الذين عاونونى فى هذا البحث وان أخطأت فالكمال لله وحده •

تمهيـــــد

الموقـع الجغرافـى :

على سواحل شرقى افريقيا وعلى مدخل قناة موزمبيـــق فى المحيط الهندى تقع جزر القمر وهى بين خطى عـــــرض ١١ر٢٠° و١٣ر٤° جنوبا وخطى الطول ٤٣ر١١° و ٤٥ر١٩° شرقا.(١)

ومن جانب آخر تبعد هذه الجزر عن ساحل شرقـــى افريقيا وكذلك عن جزيرة مدغشقر بمسافة ٢٧٠ الى ٣٠٠ ك م تقريبا (٢). وهذه المنطقة التى تقع عليها جزر القمر بمضيـــق موزمبيق تعتبر منطقة ذات أهمية استراتيجية فى هذا الجـــزء من المحيط الهندى .

والجزر عبارة عن مجموعة أربع جزر هى :
" غازى جا "(٣) وتعرف ايضا بأسم القمر الكبرى باعتبارهـــا اكبر هذه الجزر ومساحتها (١٠٢٥ كم)(٤) تقريبا وأهم مدنهـا " مرونى " عاصمة البلاد ، و " اكونى " و " نسجـــــين " و " هاهاى" وبها مطار القمر الدولى .

ثم جزيرة " موهيلى " وتعرف ايضا بأسم " موالى " أو " محلّى" وهى اصغر هذه الجزر وتبلغ مساحتها التقريبيـــة (١١١ كم)(٥) واهم مدنها " قمبونى ".

ثم جزيرة " هنزوانى " والتى تسمى ايضا " نزوانـــى " أو " انجوانى " وتقدر مساحتها بحوالى (٤٢٤ كم)(٦). وأهم مدنها " متساموود " وبها ميناء القمر الحديث .

---

(١) ملحق رقم (١)
(٢) ملحق رقم (٢)
(٣) ملحق رقم (٣)
(٤) Herve Chagnoux et un autre: Les Comores(2e edition mai 1990 - Paris,France) P.5.
(٥) ملحق رقم (٤)
(٦) ملحق رقم (٥). Capmartin Colin: Essai sur les Comores (Paris, sans date) P. 3.

واخيرا جزيرة " مايوت " وتعرف ايضا بأسم " ماورى" ومساحتها (٣٧٤ كم)[١] وأهم مدنها" دزاودزى" العاصمة القديمة للجزر عقب وقوع البلاد تحت الاستعمار الفرنسى •

وبذلك تصبح المساحة الكلية للجزر الاربع هذه حوالى (١٩٣٤) كيلو متر مربع -وهى فى نفس الوقت بمثابة ارخبيل متقاربة بعضها البعض •

والى جانب هذه الجزر الاربع يوجد عدد كبير جدا من الجزر الصغيرة• قدرها البعض بحوالى ٦٠[٢] جزيرة وهى غير - مأهولة بالسكان - ولكن بعض الناس والصيادين خاصة يذهبون اليها للصيد وتصلح هذه الجزر كمواقع سياحية جذابة لو أهلت لذلك[٣].

---

(١) ملحق رقم (٦) also Herve ,Op.Cit . P.5.

(٢) Capmartin Colin,Op.Cit. P.4.

(٣) ربما يصل عدد هذه الجزر الصغيرة الى أكثر من ١٠٠ جزيرة نسبة لوجود جزر تظهر وتختفى حسب المواسم •

التسمية :-

لقد جاءت تسمية هذه الجزر بجزر القمر لانها ترتفع عن سطح الماء بحو (٥٥٠) قدما وتبدو للمسافر اليها بالبحر كما يقول بعض الكتاب - كقطعة من الارض ثبتت فى العالم العلوى - وذلك من شدة علوها عن سطح الماء [١] - ولذلك كما يقول هؤلاء الكتاب هو السبب فى شدة لمعان القمر الاصلى على هذه الجزر .

وعلى هذا الاساس كما يبدو جاءت التسمية بجزر القمر (بفتح القاف والميم) وقد ثبت عند معظم الكتاب أن العرب هم الذين أطلقوا عليها هذا الاسم [٢].

ويبدو أن اطلاقها بالقمر كان على لسان عرب اليمن الذين بدوا يصلون الى هذه الجزر منذ وقت طويل قبل ظهور الاسلام [٣]. وسوف نذكر ذلك فى غير هذا المكان - ويبدو أن هؤلاء العرب شاهدوها بذلك الارتفاع فاعتقدوا أنها جزر معلقة بالقمر الاصلى - أو ربما عندما نزلوا اليها واستقروا بها وشاهدوا لمعان القمر عليها اطلقوا عليها أسم القمر .

الى هذا التفسير يميل الباحث بأعتبار ان العرب، هم الذين سموها " جزر القمر " (بفتح القاف والميم) نسبة الى القمر الاصلى الذى فى السماء .

وقد ذكر ياقوت الحموى [٤] أن " قمر (بالضم ثم السكون) جمع أقمر وهو الابيض الشديد البياض ومنه سمى القمرى من الطير - وقمر بلد بمصر كأنه الجص لبياضه . والقمر ايضا جزيرة فى وسط بحر الزنج ليس فى ذلك البحر جزيرة أكبر منها ... [٥].

---

(١) مخطوطة برهان مكيلى ص (٥)

(٢) المصدر السابق ص (٥)

(٣) Flobert Thierry: Les Comeres,Evolution juridique et socio-politique.(Paris 1976) p.13.

(٤) ياقوت الحموى. معجم البلدان . المجلد الرابع - دار صادر للطباعة والنشر . بيروت ١٣٧٦هـ /١٩٥٧ ص ٣٩٧.

(٥) ياقوت الحموى - المصدر السابق ص ٣٩٧.

ولقد بنى بعض الكتاب المحدثين هذا الرأى الى اعتبار الاسم هو (القمرى) (بالضم)[1] حتى نهب البعض الى اعتبار انها سميت جزر القمورى لانتشار طائر القمرى - فيها • وكما يبدو أن البعض أخذ التسمية الفرنجية التى تكتب " كمور " " Comoro "أو " Comores "واعتبروها الاصل فسموها " كمورو " أو كمور " أو " قمورو " أو " قمرى" (بالضم)• [2]

غير أننى اتفق مع تحليل برهان مكيلى [3]. وهو اعتبار الفرنجة يجدون عسرا وصعوبة فى نطق " القاف " وعوضوها واستبدلوها " بالكاف " ثم اشبعوا الميم فكانت " كمورو " - " Comoro "أو " Comores " بأمالة الضم على الميم والراء •

أما نوع الطير المعروف بأسم " القمرى" فأنه لايوجد فى هذه الجزر • وبأنتفاء هذا الاحتمال يظهر جليا أن الجزر انما نسبت الى القمر بفتح " القاف " و " الميم " للاسباب التى سبق تناولها من ارتفاع الجزر ولمعان القمر عليها - وأن الذين اعطوها هذا الاسم هم العرب • وذلك فى وقت مبكر قبل ظهور الاسلام •

الجدير بالذكر أن بعض الجغرافيين العرب فى العصور الوسطى كانوا يعتبرون جزيرة مدغشقر هى أحدى هذه الجزر القمرية ومن أمثلة ذلك ماسبق فى كلام ياقوت الحموى عندما ذكر أنه " ••• ليس فى هذا البحر جزيرة أكبر منها•••)[4] ولايمكن ان يقال أنه كان يعنى القمر الكبرى الحالية لانها ليست أكبر من مدغشقر•

---

(١) Gevry,A. : Essai sur les Comres(Tananarive-Madagascar 1939) P.9.

(٢) Manicacci Jean: L'Archipel des Comores(Paris sans date)P.56.

(٣) مخطوطة برهان مكيلى ص ٥

(٤) ياقوت الحموى المصدر السابق ص ٣٩٧•

كذلك كان بعض البرتغاليين يخلطون فى بداية الامر عندما نزلوا الى هذه المنطقة فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى بين مدغشقر وجزر القمر • وكانوا يعتبرون مدغشقـر هى جزيرة من جزر القمر كما ذكر صاحب كتاب (حاضر العالم الاسلامى) بقوله كان البرتغاليون يعرفون مدغسكر بأسم القمر"(١) •

وبناء على ذلك فأن الجزر أو الجزائر هى جمع جزيرة وأنها سميت بالقمر بفتح (القاف والميم) على لسان عرب جنوب الجزيرة العربية - وان الفرنجة أحدثوا تحريفا نطقيا بقلـب ((القاف)) " كافا "•

---

(١) شكيب ارسلان - حاضر العالم الاسلامى • المجلد الثالث - الحلبى - القاهرة ١٣٥٢ ص ١٥٤•

اهـم مظاهـر السطـح :-

وجزر القمر تبدو أنها من أصل بركانى اذ توجد آثار ومخلفات بركانية واضحة حتى يومنا هذا على جميع الجزر - ولكن يبدو أن براكين الجزر الثلاث خمدت بمرور الزمن •(١)

أما فى القمر الكبرى " غازى جا " ففيها حتى اليـوم جبل بركانى كبير يعرف بأسم " كارتلا " ويبلغ ارتفاعه عـن سطح البحر بحوالى (٢٣٦١) مترا اما قاعه فلا يعلم مداه - الا الله • ويبدو أن هذا البركان محيط بجميع اقليم الجزيرة لانه يمكن أن يثور من باطن أى اقليم من الاقاليم • ولكـن موقعه الظاهر على سطح الارض هو منطقة " باجين " فـى الجنوب • ولذلك كانت الاجزاء الجنوبية والجنوبية الغربيـة اكثر تعرضا لنار البركان من غيرها •

وهذا البركان يثور مرة كل (١٥) سنه حسب دراسـة المشتغلين به • وفى الوقت الحاضر ثار فى ٥ ابريل ١٩٧٧ على منطقة " هامبو " الجنوبية الغربية واحدث كارثة ماديـة رهيبة على مدينة " سنغانى " والمناطق المجاورة لها • وفـى (٥ مايو ١٩٩١) كاد أن يثور لولا أن كشف الله عن أهـل الجنوب ذلك البـلاء •

وعندما يوشك على الحدوث تبدأ اهتزازات ارضيـة فـى المنطقة المهددة • ويتمكن الناس من الهروب والاستغاثة - وتقوم الجهات المختصة بأخلاء المنطقة وايواء الهاربين والنازحين الى أن يزول الخطر فيعود الفارون الى اماكنهم وديارهم •

---

(١) تظهر هذه الاثار اكثر فى جزيرة مايوت وهنزوان - بينما لاتظهر بوضوح تام فى جزيرة موهيلى • وهذا مما حدا بالبعض الى اعتبار موهيلى لم تكن فيها براكين - ولكن ثبت عنـد الجيولوجيين حديثا ان كل الجزر الاربع كانت فى وقت سابق بركانية - غير ان هذه البراكين خمدت فى الجزر الثلاث - وبقى بركان القمر الكبرى الى اليوم -

Du Plantier de Necolas : La Grand-Comore, sa colonisation.(Paris 1904) P. 7.

المنـــاخ :-

ومناخ هذه البلاد من اجود مناخات العالم بشهادة الاجانب الذين وصفوها انها تمتاز عن بقية جزائر افريقية الشرقية بجودة الهواء والجو من حيث موقعها الجغرافي وارضها الحجرية • حتى أن أحد المعتمدين الفرنسيين كتب يقول أن الحميات لا توجد فى هذه الجزر خصوصا القمر الكبرى(١)

وتعرف فصول الخريف والربيع والصيف انها اهم الفصول الموجودة فى هذه البلاد• أما الشتاء فلا يعرف له زمن محدد لان برودة الجو ونقائه يكاد يستمر لينلا طول السنة •

فمثلا شهور المطر أو الفترة المطيرة " الخريف " التى تبدأ فى هذه الجزر من نوفمبر حتى مارس تشهد البلاد زوابع رعدية وعواصف وأعاصير ورياح - وتصحب فى هذه الفترة برودة شديدة فى الليل - ولكنها برودة منعشة - ويبدو أن الشتاء هنا يمتزج بالخريف فى هذه الفترة •

ولكن علو هذه الجزر تجعل مياه الامطار تضب فى البحر• وبتوقف المطر يبدو للجميع خلو الشوارع من آثار البرك المائية والمستنقعات الناتجة من المطر •

وشهور الربيع التى تبدأ من مارس الى مايو فأن هذه - الجزر تشهد طقسا هادئا فى غاية الروعة والجمال ليس هذا مجال لوصفه •

ثم يهل الصيف من يونيو حتى اكتوبر فيعم الجفاف على امتداد البلاد • ولكنه صيف لا يشكل خطورة لان المياه متوفرة فى الانهار والعيون اضافة الى أن خضرة الجزر التى تكسو ارض القمر تجعل الصيف القمرى ذا مذاق جميل رائع يحتاج اليه فى هذا الوقت •

---

(١) Du Plantier de Necolas: La Grand-Comore,sa colonisation. Op.Cit. P.13.

ولكن مع ذلك فاذا كانت جزر هنزوان ومايوت وموهيلى تتوفر فيها الانهار فى كل مكان فأن القمر الكبرى خصوصا الاجزاء الشمالية منها تعانى من العطش فى فصل الصيف • وذلك لعدم وجود انهار بها •

ولذلك يلجأ الناس هنا الى حفر الابار وبناء الاحواض لاستقبال مياه الامطار فى الخريف - ولكن فى الخمسينيات من هذا القرن وجدت مياه جوفيه فى بلدة (فوفونى " القريبة من " مرونى " العاصمة •فى المنطقة الوسطى من الجزيرة •

بيد أن الادارة الفرنسية لم تقم بأستخراج هذه المياه- وعندما قامت ثورة ٣ أغسطس ١٩٧٥ بدأ زعيمها على صالح بأصلاح مرافق البلاد وحل مشاكلها والتى كان من أهمها مشكلة مياه الشرب فى القمر الكبرى •(١)

وتمكن على صالح خلال المدة القصيرة التى قضاها فى الحكم أن يوصل شبكة مياه من محطة " فوفونى" الى مرونى - والقرى المجاورة لها فى المنطقة الوسطى وذلك ابتداء من عام ١٩٧٦•

وكان ضمن مشروع الخمس سنوات ١٩٧٥-١٩٨٠ العمل على اكتشاف المزيد من المياه الجوفيه وتوصيلها الى جميع الاقاليم بواسطة الانابيب •

---

(١) سوف يتم دراسة وتوضيح هذه الاحداث عند البحث فى الحركة الوطنية ان شاء الله •

غير أن اعداد التنمية وتطوير البلاد ترصدوا لهذا الزعيم(١) واغتالوه بعد ثلاث سنوات من الحكم الثـــورى • عمل خلالها ما لم تعمله الادارة الفرنسية فى قرن ونصـف القرن • وسوف نرى هذا الرجل بوضوح فى دراسة اخرى عن الحركة الوطنية ان شاء الله • وبعد سقوط واغتيال الزعيم على صالح • توقفت كثير من المشاريع الحيوية فى البلاد •

وعلى العموم فأن جزر القمر الازبع بفضل ماحباهـا الله من مناظر خضراء خلابة وأشجار مظللة وموقعها فـــى وسط المحيط الهندى الازرق وجوها الصحى وشواطئها الفسيحة الجذابة هى كما وصفها أحد الكتاب جنة مصغرة على الارض(٢) •

ولذلك فأنها تجذب السواح فى هذا الصيف وفى الربيع من مختلف انحاء العالم للتمتع بسحر جمالها وجوها وهوائهـا النقى وهدوئها المتناهى ولقضاء فترة جميلة ممتعة علـــى سواحلها الواسعة الجذابة •

---

(١) سوف ندرس هذا الزعيم بصورة اوسع فى الحركة الوطنية •

(٢) Guy Paul: Compitation sur l'histoire des sept dormants aux Comores(Moroni-Comores 1968) P.8.

أصـــول القمريـين :-

تتفق جميع المصادر والمراجع على أن أصول القمريين ترجع الى العناصر والاجناس الاتية :-

١) العنصر العربــى •
٢) العنصر الافريقى •
٣) العنصر الملايو - اندونيسى الاسيوى•
٤) العنصر الشيرازى الايرانى •

أولا :- العنصر العربــى :-

قامت فى جنوب الجزيرة العربية دولة معين - (١٣٠٠-٦٣٠ ق•م)[١] ودولة سبأ (٨٠٠-١١٥ق•م)[٢] ودولة حمير الاولى (١١٥ق•م -٣٠٠م)[٣] ودولة حمير الثانيـــــة (٣٠٠-٥٢٥م)[٤]• وساهمت هذه الدول اليمنية فى بنـــاء الحضارة البشرية ونقلها الى الامم والشعوب الاخرى •

وكانت تجارتهم قد ازدهرت فى عهد سبأ وحمير - وبدأت سفنهم التجارية تصل الى شرقى افريقيا عبر البحـــر الاحمر ودخلوا الحبشة ومصر والسودان •[٥] كذلك انحرفـــت سفنهم التجارية جنوبا بالرياح الموسمية الشمالية الشرقيـــة الى جزر ساحل شرقى افريقيا فى المحيط الهندى - فدخلـــوا زنجبار وجزر القمر[٦] وغيرها من جزر الساحـل • وتاجـــر اليمنيون مع اهل هذه المنطقة فى الذهب والعاج والاشجـــار الطيبة[٧] وغير ذلك •

---

(١) د• مصطفى أبوضيف أحمد• دراسات فى تاريخ العرب.
موسسة شباب الجامعة الاسكندرية ١٩٨٢ ص ٢٥•
(٢) المرجع السابق ص ٢٩ (٣) المرجع السابق ص ٣٣•
(٤) المرجع السابق ص ٣٦•
(٥) د• محمد مصطفى النجار• عرب الجزيرة بين الجاهلية والاسلام/
موسسة شباب الجامعة الاسكندرية ١٩٨٢ ص ١٧•
(٦) مخطوطة برهان مكيلى ص ٣٠•
(٧) Barret,D.: Les Iles de L'Ocean Indien occidental et le Bateau.(Paris 1970) P.66.

وظلت السفن العربية اليمنية تختلف على شرقى افريقيا حتى بدأت مجموعات من هؤلاء العرب الاستقرار بجزر الساحل وبدأوا يختلطون بالشعوب الافريقية التى سبقتهم الى هذه الجزر[١]٠

وتظهر الاثار التى خلفوها فى جزر القمر حتى اليوم؛ من المظاهر الاجتماعية وفنون الزراعة وشق الترع واستعمال الاحجار فى البناء فضلا عن الاثار اللغوية المتمثلة فى بقايا الكلمات التى كانت تستخدم فى اليمن القديمة [٢]

ثم جاء الاسلام فكانت الهجرات العربية الكبرى الى العالم - وهى الهجرة الدعوية التى بدأت منذ القرن السابع الميلادى حاملة الرسالة الاسلامية الى الشعوب والامم كافة ٠ وكانت منطقة شرقى افريقيا من المناطق التى بدأت تستقبل هؤلاء العرب الدعاة منذ القرن السابع الميلادى[٣] ولم تقف الهجرات العربية منذ ذلك التاريخ الا بعد القضاء على النفوذ العربى فى شرقى افريقيا وسقوط البلاد العربية والافريقية تحت الامبريالية الاوربية فى القرن التاسع عشر الميلادى ٠

وفى عهد الاسلام دخل العرب الى جزر القمر دعاة ومقيمين واختلطوا بأصحاب البلاد[٤] منذ القرن السابع الميلادى ٠ وتظهر اثارهم الحضارية والثقافية فى أسلمة الجزر القمرية الاربع وتحمس الشعب القمرى للاسلام وكتابة لغتهم القومية بالحرف العربى٠ وتقول الروايات أن أول عربى دخل الى هذه الجزر القمرية فى العهد الاسلامى كان أحد ابناء الصحابة٠[٥] وسوف يناقش الباحث ذلك فى موضعه عن الحياة الدينية ٠

---

(١) Jean Martin: Les Comores, quatre iles entre pirates et planteurs Malgaches. vol I (Paris 1983) P.29.

(٢) مخطوطة رقم (٦٩٩) ٣٦٧-١٢ صفحة ٢٩ - بالمركز القومي للاثار والبحوث العلمية بمرونى - القمر المعروفة

(٣) وذلك بأول هجرة اسلامية من مكة الى الحبشة ٠ ابن هشام- السيرة النبوية ٠ الجزأين معا: ١-٢. تحقيق: مصطفى السقا وآخرون. مصطفى الحلبي القاهرة ١٩٥٥. ص ٣٤١

(٤) مخطوطة برهان مكيلى ص ٣٩ ٠

(٥) المصدر السابق ص ٤٠٠

ثانيا :ـ العنصر الافريقى :ـ

تشير الدراسات التاريخية الى أن هذا العنصر هو شعب من شعوب قبائل البانتو اقدم القبائل الافريقية • قدم من داخل أفريقيا الى الساحل •[١] ويرجح أنه قدم من تنجانيقا الى مدن وجزر ساحل شرقى افريقيا ـ[٢] وانتشرت هذه ـ المجموعات البانتوية فى جزر القمر كما انتشرت فى غيرها من مدن وجزر الساحل •

وقد وجدت أثار حضارية تاريخية تمثل ما وصله هذا الشعب من الفنون الحضارية • اذ وجدت آثار تاريخية فى بلدة " سيما"[٣] بجزيرة هنزوان واثار اخرى فى بلدة " موهورو" بالقمر الكبرى ترجع الى فترة موغلة فى القدم قبل الميلاد ـ وتنسب الى هؤلاء البانتو •[٤] ومن هذه الاثار والمخلفات ادوات للزراعة والصيد واوانى فخارية وآلات موسيقية وحربية •

وتذهب المراجع الى القول انه يصعب تحديد فترة معينة لوصول هؤلاء الى جزر القمر • غير انه من الممكن القول انّ ذلك كان قبل ميلاد المسيح عليه السلام • وذلك لوجود مخلفات هؤلاء البانتو فى مناطق اخرى بزنجبار ومالينزى تنسب اليهم وترجع الى نفس الفترة •[٥]

ويبدوا أن هذا الشعب لم يكن يعرف الكتابة قبل اتصاله بالعرب ـ وربما كان عدم معرفتهم للكتابة سببا فى تعذر الحصول على تاريخ مكتوب يحدد وقت مجيئهم بدقة الى هذه الجزر • اذ لم تعثر الحفريات حتى الان على كتابات ـ خاصة بهم قبل مجىء العرب • ولكن الشواهد التاريخية اثبتت ـ كما سبق ـ أن وصولهم الى هذه البلاد كان قبل الميلاد بفترة موغلة فى القدم • وانهم اول مجموعة بشرية استقرت بهذه البلاد•

---

(١) Genin,E.: Madagascar,les Iles Comores,Maurice,la Réunion (Paris sans date)P.37.

(٢) مخطوطة برهان مكيلى ص ٣٣

(٣) Manicacci Jean:l'Archipel des Comores(Tananarive-Madagascar 1939) P. 16.

(٤) Jean Martin. Op.Cit.P.14.

(٥) Ibid. P. 14.

ثالثـا :- العنصر الملايو - أندونيسيين :-

كان من نتيجة الحضارة التى قامت لدى شعوب جنوب شرقى اسيا فى الصين • واندونيسيا وجزر الملايو أن بدأت سفنهم التجارية تمخر خضم البحار من بلادهم منذ القرن الرابع الميلادى الى سواحل المحيط الهندى.[١] فدخلت المجموعة الملايوية الى مدغشقر وجزر القمر وغيرها من جزر الساحل الشرقى الافريقى.[٢]

واختلطت المجموعة الملايو- اندونسية التى دخلت جزر القمر بالمجموعات البشرية الافريقية والعربية اصحاب البلاد • ونتج من ذلك مزيج[٣] بين هذه المجموعات • واحضر هؤلاء فنونهم الحضارية المتمثلة فى بناء السفن الشراعية والزوارق الصغيرة[٤] حتى أصبحت بعض الاماكن فى هذه الجزر تحمل اسماء تدل على بلادهم مثل بلدة " جاوة " وبلدة " ملايو " أو " مال " بالقمر الكبرى• وهاتان البلدتان تشتهران بصناعة الزوارق • حتى أن بعض الكتاب ينسبون صناعة " غالوى " وهو نوع صغير من الزوارق الى جزر القمر وانها بدأت بعد أن استقر شعب الملايو بهذه البلاد.[٥]

هذا الى جانب ماجلبه هذا الشعب الاسيوى من قصب السكر وجوز الهند وشجرة الموز والقرنفل والزنجبيل والتى تؤكد جميع الدراسات التاريخية أنها من أصل جنوب شرقى آسيا[٦] وأن الذين جلبوها الى جزر القمر وغيرها من مدن الساحل هم - الملايو- اندونسيا الذين دخلوا الى هذه البلاد فى القرن الرابع الى الخامس الميلادى • وقد وجدت آثار بشرية فى بلدة " سيما " بهنزوان و " جاوة " بالقمر الكبرى - تراجع الى القرن الخامس الميلادى وتنسب الى هذا الشعب - هذا الى جانب انتشار المفردات اللغوية الملايوية فى اللغة القمرية • مما يجعل هذا الشعب من الاجناس البشرية المكونة للمجتمع القمرى •

---

(١) Barret,D. Op.Cit. P.66 .

(٢) Genin,E. Op.Cit.P. 54.

(٣) مخطوطة برهان مكيلى ص ٢٨ •

(٤) Jean Martin. Op. Cit. P. 35.

(٥) Genin,E, Op.Cit. P. 57.

(٦) كارلتون أس•كون-ادوارد أ• هنت الابن : السلالات البشرية الحالية --------- ترجمة د• محمد السيد غلاب ص١٢٣

رابعـا :ـ العنصر الشيرازى :ـ

فى حوالى القرن العاشر الميلادى (٩٧٥) قامت امبراطورية شيرازية فى شرقى ساحل افريقيا عرفت بأسم " امبراطورية الزنج"[١] نسبة الى العنصر الزنجى الذى اعتمد عليه بنو شيراز فى اقامة دولتهم • والى الارض التى قامت عليها هذه الامبراطورية • كما عرفت ايضا بأسم سلطنة كلوة[٢] نسبة الى المدينة التى كانت عاصمة هذه الامبراطورية •

بسطت هذه السلطنة نفوذها على مدن وجزر الساحل ـ وكانت جزر القمر ضمن البلاد التى خضعت لنفوذ سلطنة كلوة•[٣] غير أن هذا الخضوع لم يكن خضوعا تاما • بل كان خضوعا اسميا سمح لجزر القمر بالتمتع باستقلالها مع استمرار العلاقات التجارية والسياسية وتبادل الزيارات • وسيأتى ذلك فى غير هذا المكان عند الحديث عن العلاقات الخارجية القمرية •

وأدت هذه الاتصالات لاستقرار مجموعات شيرازية بجزر القمر امتزجت بأهل البلاد•[٤] ثم جاءت لحظة سقوط امبراطورية الزنج فى بداية القرن السادس عشر الميلادى (١٥٠١)[٥] على ايدى البرتغاليين ـ فبدأت الموجات الشيرازية الكبيرة تفد الى جزر القمر وبدأ امراء بنى شيراز يقتربون من الملوك والامراء المحليين فى هنزوان وموهيلى ومايوت والقمر الكبرى ويتزوجون من بناتهم ويرثون الحكم •

وبذلك كانت المجموعة الشيرازية رغم حداثة مجيئهم الى هذه الجزر فى القرن السادس عشر الميلادى ضمن العناصر البشرية التى كونت المجتمع القمرى•[٦] وقد خلفوا اثارا فى العمران فضلا عن الالفاظ الشيرازية التى دخلت فى اللغة القمرية •

---

(١) W.H.Ingrams: Zanzibar its history & its people (new impression 1967 ,printed in Holland by .N.V.Grafische) P.131.

(٢) Ibid. PP.131-132.

(٣) انظر السيد رجب حراز افريقية الشرقية والاستعمار الاوربى ـ دار النهضة العربية ١٩٦٨ ص ٢ •

(٤) Herve Chagoux: les Comores.(Paris 1990)P. 18.

(٥) W.H.Ingrams. Op.Cit. P. 132.

(٦) Jean Martin. Op.Cit. P. 38.

تحليـــل :ـ

لقد قسم برهان مكيلى فى مخطوطته العناصر البشرية التى تكونت منها الامة القمرية الى ستة عناصر • وبدأ حديثه بالقول :ـ

" ••• للعنصر القمرى عهدان جاهلى واسلامى فالجاهلى قد تكونت امته من العنصر الملجاشى والاسرائيلى والعربى القديم والافريقى •••".(١)

" ••• والاسلامى قد تكونت امته من بقايا الثلاثة مع العنصر الافريقى السواحلى والفارسى والعربى الحديث - فاندمجت هذه العناصر فى بعضها بالزواج حتى صارت امة واحدة •• ولما دخل عليهم الاسلام اعتنقوه واصبحوا كلهم مسلمين •••".(٢)

ويظهر من هذا التقسيم انه يعتبر العنصر الافريقى عنصرين القديم والحديث ويعنى بالاول ذلك الذى لم يعاصر ظهور الاسلام ـ بينما يعنى بالثانى ذلك المعاصر للاسلام • ويطلق عليه بالافريقى السواحلى •

كذلك اعتبر العنصر العربى عنصرين ايضا قديم وحديث - فالقديم عنده ذلك الذى جاء الى الجزر القمرية قبل الاسلام ـ والحديث هو الذى هاجر بالاسلام •

كذلك ذكر العنصر الاسرائيلى انه وصل الى هذه الجزر بعد عهد سيدنا سليمان ـ عليه السلام - وخراب بيت المقدس على يد بختنصر وتفريق بنى اسرائيل الى الجهات المختلفة من العالم كما تشير الى ذلك عدة مصادر.(٣) ولكن يبدوا ان هذا العنصر لم يترك اثارا فسيولوجية كبيرة فى هذه البلاد • وكأنه لم يختلط كثيرا مع غيره - ولكن يبدو انه خلف آثارا ثقافية ولغوية تظهر فى اللغة القمرية حتى اليوم مثل كلمة " ياهوا " بمعنى يوم -

---

(١) مخطوطة برهان مكيلى ص ٢٧.
(٢) المصدر السابق ص ٢٧.
(٣) المصدر السابق ص ٢٩.

الخميس [illegible] فى لغة أهل القمر • وهى كلمة دينية عبرية ، وسوف يتناول الباحث جانبا من اليهودية عند الحديث عن الحياة الدينية بجزر القمر •

كذلك ذكر برهان مكيلى العنصر الملجاشى - ولكن يبدو انه قصد به العنصر الملايو - لان كلا من جزيرة مدغشقر وجزر القمر دخلها شعب الملايو - واختلطوا بأهالى تلك الجزر هنا وهناك • فكما أن الملايو كانوا عنصرا اساسيا فى تكوين المجتمع الملجاشى كانوا ايضا عنصرا رئيسيا فى تكوين المجتمع القمرى •

غير أنه بعد تكوين المجتمع الملجاشى بدأت عناصر قمرية وملجاشية تتداخل فى بعضها البعض • فانتقلت على أثر ذلك خلفيات جديدة من مدغشقر الى القمر والاخيرة الى الاولى - وسوف يأتى ذلك عند الحديث عن العلاقات بين البلدين •

ويصل الباحث بعد هذا الى الترجيح أن المجتمع القمرى تكون من عدة أجناس بشرية غير أن هناك أربعة عناصر رئيسية - تركت اثارها الحضارية والفسيولوجية والثقافية والفكرية حية حتى اليوم - هى التى يمكن اعتبارها العناصر البشرية المكونة للمجتمع القمرى •

وهى العناصر العربية والافريقية والملايو- اندونسية - والشيرازية •

أما العرب القدامى والافريقيين القدماء هم آباء العرب والافريقيين الجدد • وهؤلاء الجدد هم امتداد طبيعى لاولئك - القدماء • فلا توجد خطوط فاصلة • لان المؤثرات والتغييرات الحضارية والثقافية التى تطرأ على الامم لا تمحو ولاتقلع الجذور الاصلية • وعلى هذا فان العنصر العربى عنصر واحد والافريقى كذلك • فانصهر ذلك بهذا - واختلط بالعناصر الاخرى وكونت الامة القمرية •

والقمريون بهذا التداخل والاختلاط هم من المجموعات - البشرية السامية • الحامية او بالاحرى هم من الشعوب الافريقية الاسيوية • والقمرى ليس بالطويل ولا بالقصير بل متوسط الحجم ولون بشرته قمحى واسمر فاتح وغامق • ويبلغ تعداد سكان جزر القمر اليوم قرابة المليون نسمة •

اللغــة القمريــة :ـ

اللغة القمرية هى احدى لغات شرقى افريقيا (١) ـ لانها خليط من الافريقية البانتوية والعربية والملايوية والشيرازية فضلا عن المفردات العبرية التى جاءت من الاسرائليين الذيــن سبق ذكرهم قبل قليل. (٢)

وبعبارة اخرى فان اللغة القمرية هى عبارة عن تركيب ومزج من عدة لغات ولهجات الامم والشعوب التى جاءت الـى هذه البلاد عبر القرون الماضية الا انها مستقلة عن السواحليـــة كبرى لغات شرقى افريقيا =

ولعل السبب فى اختلاف القمرية عن السواحلية يرجــع الى ان السواحلية مكونة من البانتوية والعربية والشيرازيـــــة بينما جاءت القمرية مكونة من نفس اللغات المكونة للسواحليـــة فضلا عن الملايوية وبعض المفردات والالفاظ العبرية التى جاءت من الإسرائليين • الذين سبق ذكرهم •

هذا الى جانب انه عندما تكونت اللغة الملجاشية مـن الملايوية والافريقية البانتوية دخلت بعض مفرداتها الى اللغــة القمرية • فضلا عن الالفاظ السواحلية العديدة التى دخلت فـــى القمرية ـ(٣) فكأن جزر القمر استطاعت ان تحوى كل اللغات التى انتشرت فى شرقى افريقيا والفاظ الامم التى طرأت عليها - فهى لغة وسط اخذت من الشعوب الوافدة اليها والمجاورة لها • واستطاع القمرى بذلك ان يكون لغته الخاصة به لها قواعدها ونظمهـــــا واصواتها اللغوية المميزة •

واللغة القمرية تكتب بالحرف العربى ـ وقد عمل الرئيـــــس على صالح فى الفترة مابين ١٩٧٥ـ١٩٧٨ على جعل هذه اللغة تكتب بالحرف اللاتينى الى جانب الحرف العربى وادراجها ضمن المقررات الدراسيـــة بالمدارس • غير انه بعد سقوطه الغت حكومة أحمد عبدالله ذلـــك النظام التعليمى للغة الوطنية • واعادت التعليم باللغة الفرنسية كما ـ كانت قبل على صالح •

---

(١) مخطوطة برهان مكيلى ص ١٦•
(٢) المصدر السابق ص ١٦•
(٣) انظر مخطوطة برهان مكيلى ص١٦•

كما أن فكرة تعليم كتابة القمرية بالحرف اللاتينى ماتت بموت صاحب الفكرة بينما كتابتها بالحرف العربى مستمر لانه موروث تاريخى يبدو انه بدأ منذ عصور قديمة عندما بدا القمرى تزوين افكاره وارائه • ويستطع اى قمرى درس فى الخلوة ان يقوم بذلك بينما كتابة لغته الوطنية بالحرف اللاتينى لا يستطيع الا اذا تعلم الفرنسية •

وحتى اليوم اللغة الرسمية فى الديوان والتعليم هى الفرنسية - وهذه المسألة لها ابعاد اسعمارية ثقافية - وتليها العربية - أما الاجهزة الاعلامية المرئية والمسموعة فاخبارها باللغة الوطنية الى جانب وجود برامج للغة الفرنسية والعربية •

وعلى الرغم من انعدام المصادر التى تشير الى الاصل اللغوى للغة القمرية - الا أنه بمعرفتنا بالسواحلية والملجاشية لايمكن اعتبار القمرية الحالية لهجة مشتقة من واحدة من هاتين اللغتين • وحتى لو سلمنا جدلا انها كانت فى يوم من الايام لهجة باعتبارها مشتقة من نفس الاصول اللغوية المشتقة منها السواحلية • الا انه بمرور الزمن استقلت القمرية واصبحت لها قواعدها ونظمها الصرفية والنحوية كما حدث عندما خرجت من السامية العربية والعبرية وغيرها من اللغات المنتمية لذلك الاصل •

الحيـاة الدينيـة :-

منذ القرن السابع الميلادى دخل الاسلام الى جزر القمر (١) وأصبح هو الدين الوحيد الذى يدين به جميع القمريين منذ ذلك التاريخ • وبذلك تصبح جزر القمر من الدول القليلة التى يعتنق جميع ابنائها الاسلام •

وقصة دخول الاسلام الى هذه البلاد تجدها منتشرة على طول الجزر الاربع وعلى أفواه الناس (؟) وتكاد تكون اسطورة شعبية • وهى توجد فى المخطوطات (٢) التى استعان بها الباحث - كذلك توجد فى بعض المراجع الحديثة (٣) وتذهب الى تأكيد حدوث - القصة •

وترجع القصة الى أن التوراة كانت تقرأ فى القمر قبل ظهور الاسلام (٤) - وهذا يعنى أن الديانة اليهودية عرفت طريقها الى هذه الجزر قبل الاسلام - (٥) وقد سبق أن ذكرنا أن اليهود دخلوا الى القمر بعد خراب بيت المقدس على يد بختنصر •

ولكن يبدو انها لم تنتشر الا فى حدود ضيقة ربما وسط الامراء والملوك • اذ تذكر الروايات ان اليهود الذين كانوا يقيمون بالقمر اقتربوا من بعض ملوك وامراء الجزر - وعلموهم التوراة - وذكروا لهم ان نبيا يظهر فى الجزيرة العربية وقد حان موعد ظهوره (٦) •

وتذكر روايات اخرى أن ملوك وأمراء القمر كانوا قد علموا خبر ظهور النبى العربى محمد (ص) وأنهم قرروا ارسال بعثه من أمرائهم الى الجزيرة العربية لمعرفة حقيقة الامر • وتقرر بعث أمير منطقة " بودى " وأمير منطقة " رومبا " (٧) •

---

(١) مخطوطة برهان مكيلى ص ٣٩ •

(٢) مخطوطة برهان مكيلى ٢٧ •

(٣) Bouliner Georges: Traditions relatives à l'introduction de l'Islam à la Grand-Comores(Valbonais France 1981)p.136

(٤) مخطوطة الشيخ حسن على ص ٢٦ •

(٥) ويبدو أن المسيحية لم تعرف طريقها الى القمر - ويصعب علينا الان البحث فى سبيل ذلك • ولكن يبدو أن ذلك ليس بالامر الغريب - اذ معظم الدول الافريقية لم تعرف المسيحية الا فى العصور الحديثة وعلى الاخص فى عصر الزحف الاوربى على افريقيا فى القرن التاسع عشر الميلادى •

(٦) مخطوطة الشيخ حسن على ص ٢٧ •

(٧) مخطوطة رقم (٦٩٩) ٣٦٧-١٢ ص ١٦ بالمركز القومى للاثار والبحوث العلمية -مرونى جزر القمر •

وفى عهد الخلافة الراشدة خرجت البعثة القمرية برئاسة امير " بودى" المعروف بأسم " بيجاميهاسى ابن فسمع" والملقب بـ " مص مينزا " وامير منطقة " دومبا" واسمه " فبيجا مهامبى " الى الحجاز [١].

وعندما وصلوا الى جدة بمراكبهم الشراعية وجدوا النبأ بوفاة النبى صلى الله عليه وسلم - وتقول الروايات هنا أن أمير " دومبا" قرر الرجوع - وقال : لقد خرجنا للقاء النبى (ص) وهاهو قد مات [٢].

ولكن أمير " بودى" صمم انه يجب أن يرى من رأوه[٣] - فواصل السفر - وتقول مصادر أخرى انهما واصلا رحلتهما حتى بلغا المدينة [٤]. ويبدو ان امير " بودى" استطاع اقناع صاحبه الدومبى ان يعدل عن رأيه حتى يشاهدوا الرجال الذين خلفهم النبى (ص).

وواصلت البعثة القمرية رحلتها حتى بلغت المدينة المنورة - وتقول الروايات أن ذلك كان فى عهد سيدنا عمر بن الخطاب[٥] رضى الله عنه - وتقول اخرى انه كان فى عهد الخليفة ذى النورين سيدنا عثمان بن عفان [٦] (رضى).

وبعد وصول رجال البعثه الى المدينة . أعلنوا اسلامهم[٧]. ومكثوا بالمدينة ردحا من الزمان تعلموا من الصحابة القرآن الكريم وقواعد الدين وتفقهوا . ثم راوا ضرورة العودة الى بلادهم لنشر الاسلام[٨].

وتذهب الروايات الى انهم عندما عزموا على الرحيل ارسل معهم الخليفة عثمان ابنا له . تقول الروايات أن اسمه محمد[٩] ليعمل مع هؤلاء الرجال على نشر الاسلام فى تلك البلاد.

---

(١) مخطوطة الشيخ احمد مقاهاى ص ٤٧.
(٢) مخطوطة الشيخ حسن على ص ٣٠.
(٣) مخطوطة رقم (٦٩٩) ٣٨٣-١٢ ص ٢٧ - بالمركز القومى للاثار والبحوث - مرونى.
(٤) مخطوطة رقم (٦٩٩) ٣٦٧-١٢ ص ١٦. بالمركز القومى - مرونى.
(٥) مخطوطة رقم (٦٩٩) ٣٦٧-١٢ ص ١٧ بالمركز القومى - مرونى.
(٦) مخطوطة برهان مكيلى ص ٣٩. (٧) مخطوطة رقم (٦٩٩) ٣٨٣-١٢ص ٢٩
(٨) مخطوطة الشيخ حسن على ص ٣١. (٩) مخطوطة رقم (٦٩٩) ٣٨٣-١٢ ص ٢٩.

ورجعت السفارة القمرية قبل قيام الفتنة الكبرى التى أودت بحياة الخليفة الشهيد ذى النورين (رضى) • وفى صحبتهم ذلك القرشى الى جزر القمر•[١] ونزلت البعثة بعد عودتهـــا الى الجزر فى بلدة " نساوين" التى كانت حاضرة امارة "بودى"[٢] وأسسوا فيها مسجدا - ثم ذهبوا الى " بندا ماجى" حاضرة امارة " دومبا " وأسسوا فيها مسجدا آخر•[٣]

وبدأ هؤلاء الدعاة فى نشر الاسلام حتى أسلمت القمـــر الكبرى - ثم خرجوا بالاسلام الى اخواتها " هنزوان" و "موهيلى " و "مايوت" والى اطراف جزيرة مدغشقر الشمالية•[٤]

هذه القصة تكاد تكون حقيقة واقعة وذلك للاسباب الاتية :-

١- المخطوطات التى قدمت لبحث هذه المعلومات كتبها شيوخ علماء عن طريق الاسناد الى أن يصل الكلام الـــى أمير " بودى "•

٢- ان عرب جنوب الجزيرة كانوا الى عهد ظهور الاسلام على اتصال دائم بهذه الجزر القمرية بحرا • ولم تنقطع الصلات والتنقلات فى المواسم • وكانت اليمن قد بعثت وفودها الى النبى (ص) ودخلت فى الاسلام[٥] ولاشك ان يكون هؤلاء اليمنيون قد نقلوا هذا الخبر الى القمر وعملوا علـــى تشجيع الامراء للذهاب الى النبى (ص) خصوصا وان الوفـود كانت تفد من مختلف البلاد العربية منذ العام التاســع الهجرى[٦]•

---

(١) مخطوطة الشيخ حسن على ص ٣١•

(٢) مخطوطة الشيخ حسن على ص ٣٢•

(٣) مخطوطة رقم (٦٩٩) ٣٨٣-١٢ ص٢٩

(٤) المصدر السابق ص ٢٩•

(٥) الواقدى - كتاب الطبقات الكبير جا • طبع فى مدينة ليون مطبعة بريل ١٣٢٥هـ من منشورات مؤسسة النصر طهران•ص٥٩ -٦٦•

(٦) الطبرى- تاريخ الرسل والملوك ج٣ • دار المعارف- مصر ١٩٦١ ص ١٣٨-١٣٩•

٣- ان المسجد الذى أسس فى بلدة " نساوين " - والمنسوب الى محمد بن عثمان و " مص ميزا " وكذلك المسجد الموجود فى مدينة " بنداماجى " بمنطقة " دومبا " والمنسوب ايضا الى محمد بن عثمان • هذه المساجد يرجع تاريخ تأسيسها الى تلك القرون الوسطى المبكرة رغم غياب تاريخ بنائها • ويعتبر القمريون هذه المساجد من الاثار التاريخية الهامة الباقية فى الجزر القمرية •

٤- ان تأسيس هذه المساجد فى هذه المناطق فى بداية الامر يوضح حقيقة اعضاء هذه البعثة - لانهم عندما رجعوا بدأوا فى نشر الاسلام على مناطقهم ومنها الى بقية الجزر •

ويمكن القول اذن ان البعثة حدثت بالفعل • ولكن من الصعوبة بمكان الجزم بان من من الخلفاء الراشدين كان يتولى أمر المسلمين عندما وصلت هذه السفارة القمرية الى المدينة •

ولما كانت المصادر تذكر ان ذلك كان فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب[١] (رضى) او فى عهد عثمان بن عفان[٢] (رضى) فيمكن (ان يرى الباحث) أن الوفد القمرى وصل الى المدينة فى نهاية عهد امير المؤمنيين عمر (رضى) (٦٤٤م) ومكث حتى بداية عهد الخليفة عثمان (رض) (٦٤٤-٦٥٠م) ثم قفل راجعا الى القمر قبل قيام الفتنة الكبرى •

اما الشخص الذى رافق البعثة القمرية عند عودتها يصعب البت فى نسبه • وان كان يمكن القول ان اسمه محمد • ويبدو أن الرجل خرج داعيا الى الله فى عهد سيدنا عثمان (رضى) مصاحبا البعثة • وربما غير ذلك • ولكن رغم شح المصادر وضياع الكثير - فانه يمكن القول انه من قريش •[٣]

---

(١) امر اميرالمؤمنيين عمر ابن الخطاب (رضى) من ٦٣٤-٦٤٤ •

(٢) عهد أمير المؤمنيين الخليفة عثمان بن عفان (رض) مابين ٦٤٤-٦٥٦م

(٣) مخطوطة برهان مكيلى ص ٤٠ •

دخول الاسلام عن طرق أخرى :-

لم تكن السفارة القمرية هى وحدها التى أتت بالاسلام الى القمر • ولكن ايضا خرجت مجموعة كبيرة من العرب ابان الفتنة الكبرى الى هذه الجزر •

كذلك عند قيام النزاعات والخلافات بين سيدنا على كرم الله وجهه ومعاوية[١] خرجت مجموعات كبيرة ايضا الى ساحل شرقى افريقيا ونشروا فيها الاسلام •

وكان الامويون فى عهد دولتهم يفدون الى هذا الساحل حتى أن من القمريين من ينتسبون الى بنى أمية[٢] هذا فضلا عن المجموعات الاموية التى هاجرت الى جزر القمر بعد سقوط دولتهم فى يد العباسيين • وانتشروا فى هذه الجزر كما انتشروا فى غيرها من مدن ساحل شرقى افريقيا[٣]•

وفى عهد الخلافة العباسية هاجرت مجموعات من العلويين الى هذا الساحل واستقرت مجموعة منها بجزر القمر • ومازال هناك حتى اليوم من ينتسبون الى العلويين والحضارمة ويفتخرون بنسبهم الشريف[٤] - وهم الأشراف المعروفون بالقمر حتى اليوم[٥]•

وفى القرن الثامن الميلادى انتشر المذهب الشافعى فى الجزر القمرية • وذلك بوصول الاخوة السبعة الى ساحل شرقى افريقيا - وهم يحملون هذا المذهب من الجزيرة العربية - وقد ساد هذا المذهب على طول الساحل •

---

(١) كلود كاهن : تاريخ العرب والشعوب الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية : دار الحقيقة بيروت ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م نقلة الى العربية • د• بدرالدين القاسم ص•

(٢) Robineau Claude: l'Islam aux Comores(sans date,Paris) P. 173.

(٣) Flobert,Bertrand: Archipel des Comores(Moroni Comores Sans date) P. 85.

(٤) Ibid P.86 .

(٥) مخطوطة برهان مكيلى ص ٣١•

وفى بداية القرن السادس عشر الميلادى كان مجىء - الشيرازيين ملوك كلوة الى هذه الجزر [١] • كذلك جاء العمانيين فى هذا القرن واستمر مجيئهم خلال القرون الثلاثة التى تلت القرن السادس عشر • [٢]

ومن الاسر العمانية التى دخلت الى هذه الجزر فيمابين (١٦٢٤ الى ١٨٩٢) أسرة من البعابرة وقوم من البنهانيين - وآل بوسعيد - [٣] فضلا عن الحضارمة الذين لم يقف مجيئهم الى هذه الجزر الا بعد وقوع البلاد تحت الاستعمار الفرنسى فى نهاية القرن التاسع عشر (١٨٩٢) [٤] • عقب نفى السلطان سيد على • وسيأتى الحديث عنه •

فدخول الاسلام الى جزر القمر كان عبر مصادر وطرق عديدة • وساهمت هذه الموجات البشرية الاسلامية فى ترسيخ دعائم الدين ونشره على طول الجزر القمرية •

---

(١) Capmartin, Colin,Epidariste: Essai sur les Comores. (Paris sans date) P. 235.

(٢) مخطوطة برهان مكيلى ص ٣٣ •

(٣) المصدر السابق ص ٣٤ •

(٤) المصدر السابق ص ٣٥ •

موارد جزر القمر الاقتصادية :

تمتاز جزر القمر الاربع بأراضى خصبة - وان كانت اخصبها واوفرها مياها هى موهيلى وهنزوان •[١] ولكن ذلك لايبعد مايوت والقمر الكبرى اللتان توصفان بأنهما بركانية عن هذه الخصوبة النادرة[٢]• وكل مايمكن وصفها انها جنة خضراء بزهورها وحدائقها وهوائها العليل المنعش طول السنة •

وتشتهر هذه البلاد بالورود والزهور والاشجار الطيبة التى تستخرج منها العطور والبخور • ويقول البعض ان هذا كان من اسباب اقامة العرب القدماء بهذه الجزر لنقل هذه الاشجار الطيبة الى الامم الاخرى التى اشتهرت باستعمال - البخور فى معابدها كمصر الفرعونية فضلا عن ملوك اليمن القدماء[٣]•

ويؤكد البعض[٤] أن اشتهار فرنسا بانتاج العطور الراقية لم يأت الا بعد أن نهب الفرنسيون المواد الخام من القمر •

ومن هذه المواد " الفانليا " و " اللانق - لانقى " وهما يعتبران من أهم الزهور المستخرجة منها أرقى وأطيب العطور والروائح فى العالم •[٥] وذلك بعد عصرها آليا • هذا الى جانب اشجار وزهور و ورود كثيرة مثل شجرة الصندل والقرنفل وما شابه ذلك •

كذلك تنتشر فى هذه الجزر شجرة الجوز الهندي التى لايترك القمرى منها شيئا الا ويستفيد • فثمرتها التى تشبه شكل رأس الانسان - يشرب منها ماوءها وهو من أحلى المياه • وتوءكل قشرتها عندما تكون هذه القشرة لينة وهى لذيذة جدا • اما اذا قويت القشرة فتصبح الثمرة اقتصادية اكثر - فقد تعصر آليا

---

(١) شكيب ارسلان• حاضر العالم الاسلامى- المجلد الثالث • الحلبى القاهرة ١٣٥٢هـ ص ١٥٥•

(٢). Jean Martin: Comores,qautre iles.vol 1. Op.Cit. P.6.

(٣) Guy Paul :Compitation sur l'histoire do sept dormants au Comores (Moroni -Comores 1968) P.13.

(٤) Ali Omar : l'Exploitation des Comores(Saint-Denis Reunion 1926) P. 32.

(٥) مخطوطة برهان مكيلى ص ٨•

وتستخرج منها زيوت مختلفة • تستخدم فى الطبخ ويمكن تحويله الى سمن • كما تستعملها المرأة فى تجميل وتمشيط شعرها [١].

كذلك يصنع من الجوز الهندى مختلف انواع الصابون الغسيل والحمام • وذلك بعد عرض القشرة القوية على الشمس أو على الهواء حتى يجف ثم يقوم التجار بشرائها وبيعها الى المصانع العاملة فى انتاج الصابون [٢].

ويوجد فى هذه البلاد قصب السكر • وكانت هناك - مصانع قائمة فى هنزوان ومايوت قبل دخول الاستعمار الفرنسى • ويرجع البعض تاريخ انشاء هذه المصانع الى ايام السلطان عبدالله الاول المتوفى (١٨٣٦) بينما البعض الاخر يرجع ذلك الى عهد السلطان عبدالله الثالث [٣].

ويذهب الباحث الى ان الخطط ربما بدات منذ ايام عبدالله الاول ثم توقفت المشاريع بسبب حروبه مع (رمان تيكا) ولم تستطع الاستمرار فى تنفيذ المشاريع ايام علوى والسلطان سالم بسبب الحروب التى دارت بينهما •[٤] وسوف يأتى ذكر ذلك فى غير هذا المكان •

ويبدو أن الامير " أندرياسولى " امير مايوت نفذ - المشروع الذى خطط له السلطان عبدالله **الاول لاقامة مصنع للسكر** فى مايوت - بعد أن استقل بمايوت عقب خلع علوى واستيلاء عمه سالم على عرش سلطنة هنزوان عام ١٨٤٠•[٥] وسيأتى - الحديث عنه فى مكان آخر •

---

(١) معلومات كهذه لا اعتقد انها تحتاج الى وضع مراجع لان الشجرة مازالت موجودة حتى اليوم • وان معاصر لها

(٢). Ali Omar. Op.Cit. P.33.

(٣) Hassan Mouhsin: Les annees de formation d'un monopole colonial aux Comores(Paris- 1986) P. 103.

(٤) انظر شكيب ارسلان • المرجع السابق ص ١٥٥ •

(٥) Verrin Pierre: Guerre civilles comoriennes.(Paris 1981). P. 191.

ويبدو فى ذات الوقت أن تنفيذ مشروع اقامة مصانع للسكر فى هنزوان والتى اقيمت " بموتسامودو" و " بمباو " و " يومونى " • تم فى عهد عبدالله الثالث ابن السلطان - سالم [١] وذلك بعد أن شهدت الجزيرة نوعا من الاستقرار السياسى فى الفترة مابين ١٨٥٥ حتى توقيع معاهدة ١٨٨٦ الخاصة بالحماية وسنرى ذلك فى الفصل الثانى •

كذلك كانت زراعة القطن منتشرة بهذه الجزر خصوصا القمر الكبرى وهنزوان - وكانت هناك مصانع اقيمت منذ أيام السلطان أحمد بمدينة " مرونى " و " اكونى " لصناعة الغـــزل والنسيج هذا الى جانب مصانع " بمباو " و " يومونى " الهنزوانية [٣] • فضلا عما كانت النساء تغزله فى منازلهن [٤] •

وكانت هذه المصانع تنتج الاقمشة التى كانت تعـــرف بأسم " هامى " و " باقوتا " [٥] وهما نوعان من الاقمشة الدمورية القطنية - وكانت سلطنات القمر تصدر الاقمشة واشجار الطيبـــة والسكر الى الدول المجاورة • وعندما استولى الفرنسيون علـــى هذه البلاد ضموا هذه المصانع فى بداية الامر الى الشركــــات الإستعمارية - ثم فى عام ١٩١٠ وضعتها الادارة الفرنسية تحـــت اشرافها وادارتها الخاصة [٦] وسوف نرى جانبا من ذلك فى - الفصل الثالث •

---

(١). Jean Martin: Op.Cit . P. 146.

(٢) Ibid. P. 182.

(٣) مخطوطة رقم (٦٩٩) ٣٨٣-١٢ ص١٩• بالمركز القومى للاثار مرونى القمر

(٤) المصدر السابق ص ١٧•

(٥) Ali Omar : Op.Cit. P. 35 .

(٦) Hassan Mouhsin : Op. Cit. P. 100.

الفصل الاول

السلطنات القمرية والحروب الاهلية

المبحث الاول:

السلطنات القمرية الاقطاعية

المبحث الثاني :

الحروب الاهلية

المبحث الثالث :

العلاقات الخارجية لجزر القمر (قبل الاستعمار)

مدغشقر - مدن الساحل - زنجبار

المبحـــث الاول :ـ

السلطنات القمريـــة الاقطاعيـــة

السلطنات القمرية الاقطاعية :-

عرفت الجزر القمرية منذ القدم الملوك بألقاب عديدة • فقد عرف ملوك ماقبل القرون الوسطى بلقب " مافى " [١] (Mafe) ثم فى القرون الوسطى عرفوا بلقب " بيجا " أى الملك وجمعها " مبيجا " [٢] اى الملوك • (Bedja) Mabedja)

وفى القرون الحديثة عرفوا ايضا بألقاب متعددة - فقد عرفوا بلقب " تيبه " او " تيبا " (Tybe) والتى تبدو انها حرفت من كلمة " تبع " [٣] لقب ملوك حمير اليمنيه القديمة - كما عرفوا ايضا فى هذه القرون بلقب " مشايخ " [٤] مفردها " شيخ " (Shekh) و " موينى مكو " اى صاحب السمو والجلالة • (Mugni Mkuu) •

واشتهرت فى هذه البلاد اربع قبائل رئيسية [٦] هى :-

١- قبيلة انابيروسا • (Igna Pirusa) (Wegna Pirusa) •

٢- قبيلة انا فمبايا • (Igna Fwambaya) (Wegna Fwambaya) •

٣- قبيلة انا مبدمبوز (Igna Mdombozi) (Wegna Mdombozi) •

٤- قبيلة انا مسيلا (Igna Masela) (Wegna Masela) •

ومن هذه القبائل تفرعت العشائر والبطون والافخاذ القمرية وانتشرت فى جميع الجزر • ومراكز الثقل لهذه القبائل هى القمر الكبرى وهنزوان •

---

(١) Ph.L.: Les Comores.(Paris 1975) P. 182.

(٢) Ibid . P. 183.

(٣) Guy Paul: Compilation sur l'histoire des Comores(Moroni Comores 1989) P. 233.

(٤) Guy Paul . Op.Cit. P. 233.

(٥) مخطوطة برهان مكيلى ص٤٥

(٦) Harve : Les Comores. (Moroni Comores 1980) P. 28 .

واختلف المورخون فى نسب هذه القبائل فقال فريق انها تنتمى الى الشيرازيين -[١] وذهب آخرون الى القول أنهم من عرب عمان[٢] وهناك فريق ثالث يقول انهم من سيراف[٣] فهم من عراق العجم • اما الفريق الاخير فيقول انهم من العرب مطلقا وأنهم وفدوا من الخليج •[٤]

وتقول مصادر الفريق الذى ينسبهم الى الشيرازيين انه فى القرن السادس عشر الميلادى وفدت مجموعة كبيرة من الشيرازيين الى هذه الجزر عقب سقوط دولتهم وكانوا بقيادة - أميرهم ويدعى محمد بن عيسى الشيرازى •[٥]

ودخل هؤلاء الشيرازيون القمر الكبرى واستولوا عليها • واقام ابنه حسن اميرا عليها - ثم زحف حتى استولى على موهيلى ونصب ابنه عليا اميرا عليها ثم سار حتى استولى على هنزوان وأقر ابنه عيسى اميرا على الجزيرة • ثم سار جنوبا الى مايوت فأخضعها •[٦]

وكانت مايوت قد اعجبته فاختارها مقرا له • وكان قد تزوج ابنة زعيم مايوت وغدا بذلك سلطانا على الجزيرة ومهيمنا على بقية ابنائه الامراء فى بقية الجزر -[٧] ولم يلبث ان مات عام ١٥٣٠[٨] مخلفا ولدا من اميرة مايوت اسمه عيسى عن عمر (١٥) سنه على امارة مايوت • وقد ساعده اخواله فى الحكم •[٩]

أما الفريق الذى يرى أنهم من عمان فتقول مصادره أن - اسرة من عمان جاءت الى هذه البلاد فى القرن السابع عشر الميلادى واستقرت فى القمر الكبرى ثم خرج منها احد افراد هذه الاسرة ويدعى محمد بن صالح المنظارى الى هنزوان واستقر بـ " شنغونى" عاصمة هنزوان - القديمة •[١٠]

---

(١) Guy Paul: Op.Cit. P. 237 .

(٢) شكيب ارسلان• حاضر العالم الاسلامى• المجلد٣ ط٢ ص١٤٣ القاهرة الحلبى ١٣٥٢هـ

(٣) Manicacci Jean :L'Archipel des Comores(Tananarive Madagascar 1939) P. 131.

(٤) Guy Paul. Op.Cit . P. 13

(٥) Flobert,Bertand: Archipel des Comores,Anjouan et Moheli (Moroni Comores sans date) P. 86.

(٦) Guy Paul. Op. Cit . P. 237.

(٧) Ibid. P. 237.

(٨) Flobert,Bertand. Op. Cit. P. 132.

(٩) مخطوطة برهان مكيلى ص ٤٥•

(١٠) شكيب ارسلان - المرجع السابق ص ١٤٢•

وقد عرف هذا الرجل بالكرم والبر والاحسان - واحبه امير هنزوان وأكرمه ثم زوجه بأبنته ومالبث أن مات امير هنزوان فخلف محمد بن صالح المنظارى على السلطنة .[١] ثم سافر هذا الامير الى مايوت وتزوج بأبنة حاكم مايوت فالحقت مايوت بذلك الزواج بهنزوان .[٢] وبعد وفاته انفصلت مايوت عن هنزوان.[٣]

أما الفريق الذى يقول انهم من بنى محمد بن حابس السيرافى . فتقول مصادرهم انه فى القرن السادس عشر الميلادى جاء الى القمر الكبرى أحد عرب سيراف ومعه رجاله فدخلوا الى القمر الكبرى وتزوج هذا الامير بنت سلطان الجزيرة - وأقام احد رجاله حاكما عليها .[٤]

وخرج يقود مجموعة من رجاله الى هنزوان فتزوج احدى - بنات سلطان هنزوان ونصب أحد افراد أسرته اميرا عليها ثم ذهب الى جزيرة مايوت وتزوج ابنة حاكمها ومكث بها سلطانا حتى مات .[٥]

وهذه الرواية لم تذكر موهيلى وكأنها تجعل القمر الكبرى - وهنزوان ومايوت سلطنة واحدة فى يد اسرة محمد بن حابس السيرافى دون موهيلى فى الوقت الذى تقع جزيرة موهيلى فى طريق القمر الكبرى الى هنزوان ومايوت .

وقد حلل بعض الكتاب هذه الرواية وقالوا ان محمد بن حابس السيرافى هو محمد بن عيسى الشيرازى السابق الذكر دخل الى هذه البلاد مع اسرته واقتربوا من سلاطين هذه الجزر بالتزاوج من بناتهم ثم آل اليهم الامر والسيادة .[٦]

والواقع ان الباحث لايقدر على رفض هذه الروايات جملة ولكن سوف يحاول عرض بعض أحداث القرن السادس عشر الميلادى فى هذه المنطقة وبعد ذلك يحاول الوصول الى نتيجة حول هذه الروايات :

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٣.

(٣) Wright,Henry T.: Preservation des sites historiques de Mayotte.(Michingani U.S.A. 1980) P. 165.

(٤) Robineau Claude: l'Islam aux Comores, l'Ile d'Anjouan(Paris sans date) P. 176.

(٥) Ibid. P. 178.

(٦) مخطوطة برهان مكيلى ص ٣٢ كذلك كتاب

وتتمثل احداث هذه الفترة فيما يلى :-

١- فى نهاية القرن الخامس عشر (١٤٩٩) كان البرتغاليون قد اكتشفوا طريق رأس الرجاء الصالح وذهبوا الى الهند عبر مضيق موزمبيق(١) والذى تقع فيه جزر القمر وبعض مدن ساحل شرقى أفريقيا •

٢- فى عام (١٥٠٨م) وقعت معركة " ديو " بشرقى - افريقيا بين البرتغاليين والقوى الاسلامية والعربية الساحلية-(٢) وانتصر البرتغاليون على القوى الاسلامية (٣)- ووقعت مدن شرقى افريقيا تحت الاحتلال البرتغالى كما سقط الشاطىء - الاسيوى على الخليج العربى كذلك فى ايديهم •(٤)

وكانت جزر القمر من المدن الساحلية التى سقطت تحت هذا الاحتلال البرتغالى غير ان مقاومة عنيفة قامت فيها واجبرت البرتغاليين على الجلاء •(٥) الا أنهم وان كانوا قد خرجوا من القمر فقد ظلوا فى ممبسة (٦) وغيرها حتى قدم الدعم العمانى فى القرن السابع عشر •(٧)

٣- كانت سلطنة كلوة قد عمها الفوضى فى ايامها الاخيرة بسبب التنافس بين أفراد البيت الشيرازى الحاكم • ثم جاءت الضربات البرتغالية لتهدم مجد سلطنة الزنج وتزيل وجودها ١٥٠١م •(٨)

بعد سقوط كلوة خرجت مجموعة كبيرة من الامراء - الشيرازيين متفرقين فى جزر الساحل وسارت مجموعة من هؤلاء الشيرازيين الى جزر القمر وكانوا بقيادة محمد بن عيسى•(٩)

---

(١) د• السيد رجب حراز : افريقية الشرقية والاستعمار الاوربى• دار النهضة بالقاهرة ١٩٦٨ ص ٨•

(٢) المرجع السابق ص ١٥•

(٣) المرجع السابق ص ١٥• (٤) المرجع السابق ص ١٧•

(٥) مخطوطة برهان مكيلى ص ٥٠ - كذلك شكيب ارسلان• حاضر العالم الاسلامى مرجع سابق ص ١٤٣ (٦) د• حراز المرجع السابق ص ١٨•

(٧) المرجع السابق ص ٣٥• (٨) Guy Paul. Op.Cit. P. 243.

(٩) Ibid.P. 245.

٤- فى القرن السابع عشر الميلادى (١٦٢٤) قامت اسرة عربية فى عمان تسمى " البعاربه " بقيادة ناصر بن مرشد اليعربى [(١)]. واسست هذه الاسرة الدولة اليعاربية" والتى استطاعت فى عهد سلطان بن سيف اليعربى طرد البرتغاليين من الخليج العربى نهائيا [(٢)].

بعد نجاح مهمة اليعاربة [(٣)] فى طرد البرتغاليين لبت الدولة اليعاربية العمانية نداء اخوانهم فى الشاطىء الشرقى الافريقى المقابل - واتى الدعم العمانى - واستطاعت جهود العمانيين والسواحل هزيمة البرتغاليين واخراجهم من المدن الاسلامية والعربية الساحلية [(٤)].

وكان العمانيون قد دخلوا الى بعض المدن الساحلية وجزر زنجبار ومافيا وبمبه وجزر القمر -[(٥)] خاصة بعد ان - نقل السيد سعيد بن سلطان عاصمته من مسقط الى زنجبار عام ١٨٤٠ [(٦)] وظهور القوى الاوربية فى المنطقة واتساع رقعة التجارة فيها .

٥- هذه الهجرات الشيرازيه والعمانية الحديثة التى دخلت الى جزر القمر اثرت فى النظام السياسى والاجتماعى لهذه الجزر كما أثرت فى غيرها من المدن الساحلية ذلك لان هؤلاء جاءوا وفيهم المال والجاه والملوك والقوة فضلا عن الامراء الذين فقدوا عروشهم فى كلوة وعمان . وتمكنوا من التقرب الى الملوك المحليين والزواج من بناتهم ثم وراثة ابنائهم الملك والسلطان [(٧)].

---

(١) د. حراز - المرجع السابق ص ٣٥.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) حكم اليعاربة من ١٦٢٤ حتى ١٧٤١ عندما قامت اسرة آل بوسعيد دولتهم .

(٤) د. حراز . المرجع السابق ص ٣٦.

(٥) Flobet,Bertand; Op.Cit. P. 138.

(٦) البعض يقول ان نقل العاصمة كان ١٨٣٠ والراجح هو ١٨٤٠. كما يقول د. حراز . المرجع السابق ص ٩٦.

(٧) Flobert,Bertand: Op.Cit. P. 137.

ويميل الباحث الى الرأى الذى يرجح ان محمد بن حابس السيرافى هو الامير محمد بن عيسى الشيرازى • دخل الى القمر الكبرى فى بداية الامر ومعه مجموعة كبيرة من رجاله وذلك عام ١٥٠٦ •(١)

وتمكن من الاستيلاء عليها عن طريق زواج ابنه حسن من أميرة قبيلة " انابروسا " التى كانت لها السيادة آنذاك فى الجزيرة_(٣) ثم خرج الى موهيلى واستولى عليها واقام ابنا له يدعى محمد - وسار الى هنزوان وأخضعها ونصب ابنه عيسى اميرا عليها - ثم زحف ببقية رجاله صوب مايوت التى رحب زعيمها بمقدمه •(٤)

وكانت مايوت قد راقته كثيرا فاحبها وتزوج بنت زعيم - مايوت (٥) وانجبت له ولدا اسمه عيسى • ولم يلبث الامير محمد أن مات وخلفته امرأته فى حكم الجزيرة الى بلوغ ابنها العمر القانونى لتتويجه •(٦)

وعندما بلغ عيسى (١٨) سنه ورث ملك ابيه فى مايوت وحكم من عام (١٥٣٢) حتى عام (١٥٩٠) أى حوالى (٥٨) سنه • وقد ذكر البعض ان مدة حكمه كانت (٧٠) سنة • ولكن الراجح هو الرأى الاول •(٧)

ويبدو أن محمد بن عيسى لم يكن قد وضع الاسس العامة لادارة الجزر عند وفاته او ربما اعطى استقلالية ما لابنائه فى ادارة اماراتهم • ذلك انه بعد وفاته تبددت ملامح الوحدة التى - كانت قد بدأت فى الظهور عند بداية الامر • واصبحت كل جزيرة تمثل وحدة استقلالية خاصة • حتى ان منابر الجمعه فى الجزر التى كانت تدعو للسلطان محمد بن عيسى فى مايوت اصبحت لاتدعو الا لامرائها •(٨)

---

(١) مخطوطة برهان مكيلى ص ٦٧ (النسخة المترجمة من العربية الى الفرنسية) بواسطة Gaba Djemal-Eddine •
(Le manuscrit arabe de Burhan Mkelle).

(٢) يبدو من هذا الاسم انه من Persia _ وربما كانت هذه القبيلة ذات جذور شيرازية قبل وصول المجموعة الشيرازية الجديدة •

(٣) Harve : Les Comores : Op.Cit. P. 29 .

(٤) Flobert,Bertand. Op. Cit. P.78.

(٥) شكيب ارسلان المرجع السابق ص ١٤٢•

(٦) Harve. Op.Cit.P.30 • (٧) مخطوطة برهان مكيلى ص ٣٢•

(٨) شكيب ارسلان • المرجع السابق ص ١٤٢•

غير انه فى عام ١٥٩٠ مات عيسى بن محمد امير مايوت وخلفته امرأته فى الامارة وفى هذا الوقت فكرت القمر الكبرى بضم امارة مايوت[1]

وقامت قبيلة " انا فمبايا " التى كانت السيادة قد عادت اليها ببعث احد امرائها ويدعى " بوانا فوم " الى مايوت .[2]

وكان هذا الامير يحمل الهدايا من سلطان سلاطين القمر الكبرى الى اميرة مايوت ويخطبها للامير " بوانا فوم ". ووافقت الاميرة على الزواج منه بعد ان تأكد من عراقة الرجل .[3]

أصبح " بوانا فوم " بهذا الزواج اميرا على مايوت منذ عام ١٥٩٢ ولكنه لم يعمل على الحاق هذه الامارة بسلطنة القمر الكبرى بل استقل بها .[3] وأصبحت كل جزيرة مستقلة عن الاخرى .

وفى عام (١٧٧٥) كان القراصنة الملجاشية قد هاجموا القمر كلها واستباحوها[4] فكانت المقاومة التى قامت فى كل جزيرة لطرد الغزاة من الجزر -[5] ويبدو ان هنزوان استطاعت ان تقدم مساعدات عسكرية الى كل من موهيلى ومايوت وادى ذلك الى وضع مايوت وموهيلى فى تبعية سلطنة هنزوان[6] وسوف يأتى الكلام على ذلك فى موضع آخر .

وفى الوقت الذى شهدت هنزوان ومايوت وموهيلى شيئا من الوحدة بعد طرد القراصنة شهدت القمر الكبرى تقسيما للجزيرة الى 12 مقاطعة .[7]

واعطى هذا التقسيم لكل امير مقاطعة الحق فى الدفاع عن مقاطعته اذا ما تعرضت لاى هجوم من القراصنة .

---

(١) Gaba Djamal-Edine; le manuscrit arabe de Burhan Mkelle (Valbonnais France 1981) P. 68.

(٢) مخطوطة برهان مكيلى ص ٣٢.

(٣) مخطوطة برهان مكيلى ص ٣٢.

(٤) Jean Martin: Comores, quatre iles entre pirates Malgaches (Paris 1983) P.327. Vol.1.

(٥) مخطوطة برهان مكيلى ص ١٨ و ١٩.

(٦) Jean Martin . Op.Cit. P. 328.
كذلك شكيب ارسلان - حاضر العالم الاسلامى المرجع السابق ص ١٥٥.

(٧) Jean Martin. op. cit. p. 340.

وهذه الامارات الجديدة للقمر الكبرى هى :-

١- بمباو -٢- بودى -٣- متسا مهول -٤- بواكو - وهذه المقاطعات كانت تسكنها قبيلة انا بيروسا • وتقع مناطقهم في الجزء - الاوسط والجزء الشمالى الغربى من الجزيرة •(١)

٥- اتسنزا -٦- هامفو -٧- وشيل -٨- ديمان -٩- هماهامى- وهى مقاطعات قبيلة انا فمبايا ومناطقهم جزء من الوسط والجزء الشمالى الشرقى •(٢)
١٠- اتسهيدى - ١١- دومبا -١٢- هامبو • وهؤلاء ينتمون الى قبيلة انا مرمبوزى • ومناطقهم الجنوب المعروف بأسم " باجين".(٣)

(Mjiwaezi)
وكانت لكل مقاطعة " مجى وعز " اى مدينة العز وتعنى العاصمة • فمدن العز عند قبيلة انابيروسا هى " اكونى" و " مرونى" بمقاطعة " بمباو " و " نساوين " بمقاطعة بودى - و " متسامهول مجين" بمنطقة " متسامهول " و " هانسينزى " بمقاطعة " بواكو " وعاصمة القبيلة هى " اكونى " ثم تحولت الى " مرونى "(٤) فى القرن - التاسع عشر الميلادى •

اما "مدن العز " لقبيلة " انا فمبايا " فهى " نسجين " وهى عاصمة القبيلة • و " اتسرامجين " فى مقاطعة " اتسنزا " و كومبانى " بمقاطعة وشيل و " مبين " بمقاطعة " هماهامى " و " باته " و " هاهاى " بمقاطعة " هامفو " و " متساغاجو" بمقاطعة " ديمان (٥)

و " مدن العز " عند قبيلة " انا مرمبوزى " فكانت " فمبونى" وهى عاصمة القبيلة و " بندا ماجى لدومبا "• و " ديمبين " - و " متسوجى ".(٦)

وفى بداية القرن الثامن عشر استقلت قبائل " انا مدمبوزى" ووحدوا مناطقهم وعاصمتهم " فمبونى " - فاصبح الاقليم الجنوبى المعروف باسم " باجين " (٧) ذو الكثافة السكانية يمثل وحدة قائمة بذاتها داخل سلطنة القمر الكبرى بينما اصبحت قبيلتا " انافمبايا " و - " انابيروسا " فى الوسط والشمال تمثلان نوعا ما من الوحدة الاقطاعية ايضا وتتنافسان حول لقب " تيبه " او " تيبا " (٨) أى سلطان السلاطين او ملك الملوك أو امير الامراء •

---

(١) Gaba Djemal Edine: Op.Cit. P.89.
(٢) Ibib.P. 90 (٣) Ibid. P. 90.
(٤) مخطوطة برهان مكيلى ص ٤٤ • (٥) مخطوطة برهان مكيلى ص ٤٤
(٦) مخطوطة برهان مكيلى ص ٤٥ • (٧) مخطوطة برهان مكيلى ص٤٥٠ •
(٨) Du Plantier de Necolas.La Grand-Comore sa colonisation- (paris 1904) P. 23.

ولقب "التيبه " يبدو انه من كلمة تبع لقب ملوك اليمن الحميرية ويبدو انها اصابها تحريف مع مرور الزمن الى ان اصبحت " تيبه " (Tybee) .

وكان هذا اللقب يطلق على السلطان الاكبر الذى يخضع له جميع السلاطين والامراء . ذلك انه رغم تمتع الامارات بنوع من الاستقلال حسب التقسيم السالف الذكر - الا ان سلاطين وامراء هذه المقاطعات الاقطاعية كانو يخضعون لـ " تيبه " السلطنة .(١)

وهذا " التيبه " هو الذى يوافق على تعيينهم فى هذه المناصب ويتوجهم .(٢) وكأن الجزيرة من ناحية اخرى مثلت نوعا من السلطنة اللامركزية وأعطت بعض الاستقلال للامارات لادارة - شئونها الداخلية .

ولقب " تيبه " كانت تتنافس فى حولها قبيلتا " انابيروسا" و " انافمبايا " وكثيرا ما قامت الحروب بين القبيلتين حول كرسى " التيبه " وزعامة السلطنة .(٣)

وكان اذا انتصرت " انابيروسا " على " انافمبايا" يذهب - الامراء وسلاطين المقاطعات الى " ارغوجانى " لتتويجهم .

(٤)
وارغوجانى " هذه كان فيها مقر سلطان سلاطين " انابيروسا " وهى حى من احياء مدينة مرونى فى الوقت الحاضر - وذلك بعد نقل عاصمة القبيلة من اكونى الى مرونى فى عهد السلطان أحمد بن شيخ غومى - وسيأتى الكلام عنه -

اما اذا كان " تيبه " الجزيرة من قبيلة " انافمبايا " فيذهب امراء المقاطعات وسلاطينها الى مدينة " نسجين(Ntsudjini) مقر قصر سلطان سلاطين " انافمبايا " (٥) وعاصمتهم .

---

(١) مخطوطة برهان مكيلى ص ٤٦.

(٢) Du Plantier de Nicolas. Op.Cit. P. 24.

(٣) مخطوطة برهان مكيلى ص ٤٦.

(٤) مخطوطة مجهولة الكاتب بالمركز القومى ص ٣٦.

(٥) Gaba Djamal-Edine. Op.Cit.P.93.

ولعل أهم الحروب واخطرها ما كانت بين السلطان احمد وموسى فوم • ثم ماحدثت بين السلطان موسى فوم وسيد علـــى • وسوف يأتى الكلام عليه •

والخلاصة ان القبائل الشيرازية تداخلت مع القبائـــل العمانية التى قدمت فى القرن السادس عشر والسابع عشر الميلادى وانصهرت مع أهل البلاد الاصليين من عرب وافريقيين • واختلطـوا ببعضهم البعض ونتج من ذلك هذه القبائل القمرية •(١) وكانت مراكز الثقل لهذه القبائل هى القمر الكبرى وهنزوان •

وادى ذلك ايضا الى ان السلطنات التى قامت فى هـــذه البلاد اصبحت تشغل بال الباحثين حول اصل القبائل التى اقامتها وذلك لاتساع الهجرات العربية والشيرازية الى هذه الجزر منـــذ القرن السادس عشر الميلادى •(٣)

ولذلك لا يمكن اعتبار هذه القبائل شيرازية بمعزل عن العربيـة والافريقية • وغاية مافى الامر ان كل من " انابيروسا " و " انافمبايا" و " مبيلا " و " انامدمبوزى " قبائل عربية شيرازية افريقية ملابويـه أى الخليط الفعلى الذى كون المجتمع القمرى عبر القرون الماضية •

المهم ان عشائر وبطون وافخاذ هذه القبائل انتشرت فى كل من القمر الكبرى وهنزوان ومايوت ؛ وموهيلى وتداخلت الاسر مـــن هنا وهناك فى التزاوج والانصهار حتى خلقت المجتمع القمرى الموحد ومن أمثلة التداخل والزواج زواج الامير سيد عمر من اميرة بالقمـــر الكبرى وهو هنزوانى الاب مايوتى الام • ونتج من زواجه هــــــذا السلطان سيد على • وهناك امثلة وشواهد كثيرة ساعدت على ربط الجزر - وبقاء الثقافة واللغة والحضارة الواحدة رمز الوحدة القمرية بنجومها الاربع•

---

(١) Gaba Djemal Edine. Op.Cit. P. 94.

(٢) مخطوطة برهان مكيلى ص ٢٧•

(٣) نتيجة للهجرات العمانية والشيرازية التى حدثت فى هذه الفترة ادت الى الاختلاف حول اصل السلطنات او السلاطين الذين دخلوا وحكموا فى هذه الفترة • فى حين ان ذلك كان مزيجا وخليطا بين العرب والشيرازيين فضلا عن العناصر الاخرى القديمة • كما سبق الاشارة فى اصول القمريين •

المبحـث الثانــى

الحـروب الاهليـــة

الحروب الاهليــة :-

القمـر الكبرى :

سوف نركز فى هذا الفصل على القمر الكبرى وهنزوان مع بعض الاشارات الى مايوت وموهيلى وذلك باعتبار هـنزوان والقمر الكبرى مراكز الثقل للقبائل القمرية والتى سادت فيهـا الخلافات والنزاعات منذ القرن السابع عشر حتى التاسع عشر الميلاديين ٠

لقد سبقت الاشارة الى أن قبيلتى " انابيروســا " و " انا فمبايا " اصبحتا تتنافسان على كرسى " تيبـه " القمـر الكبرى ٠ وذلك بعد طردهم الملجاشيين فى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى ٠

كما سبق الحديث انهم قاموا بتقسيم الجزيرة الـــــى ١٢ مقاطعة على رأس كل مقاطعة سلطان أو امير وكان يطلـــق على هذا السلطان ايضا لقب " مفومى "[١] أى ملك ٠

ولقد استطاعت مقاطعات الجنوب الثلاث ان تتحد وتكون سلطنة موحدة فى بداية القرن التاسع عشر وبالتحديد فى عام ١٨٢٧٠[٢] وتعرف مقاطعة الجنوب هذه بأسم " سلطنة " باجين".[٣] وانحصرت الخلافات بين " انابيروسا" و " انافمبايا " فى منـاطـــق الوسط والشمال الشرقى والغربى ٠[٤]

وفى عام (١٨٣٣) استطاع السلطان احمد بن شيخ غومى الملقب ايضا بأسم " موينى مكو "[٥] بمعنى صاحب السمو والجلالة وهو من قبيلة " انابيروسا " ان يغلب بقبيلته القبيلة المنافسة لها " انافمبايا " ويهزم السلطان " فوم فاو "[٦] "تيبه" الجزيرة والذى فى عهده تم طرد القراصنة الملجاشيين ٠[٧]

---

(١) مخطوطة برهان مكيلى ص ١٩ ـ وكذلك مخطوطة بالمركز القومى القمرى للبحوث والاثار مجهول الكاتب والتاريخ ص ٣٢٠

(٢) Jean Martin: Comores,quatre iles entre pirates Malgache Vol.2. (Paris 1983)P. 204.

(٣) مازال هذا الاسم متداولا حتى اليوم فى هذا الاقليم ٠

(٤) Du Plantier de Nicolas: la Grand-Comore ,sa colonisati-on.(Paris 1904) P. 94.

(٥) Minicacci Jean: l'Archipel des Comores(Tananarive Mada-gascar 1939)P.115.

(٦) Du Plantier de Nicolas; Op.Cit; P. 82.

(٧) [illegible]

ويبدو أن السلطان أحمد هو الذي نقل عاصمة قبيلة " انابيروسا " من اكونى الى مرونى عام (١٨٣٩)(١) حتى تكون قريبة من مواقع " مدينة العز " لقبيلة " انافمبايا ".

واصبح قصر السلطان ومقره فى حى " ارغوجانى " بمرونى - وبدأ سلاطين وامراء المقاطعات يفدون الى " ارغوجانى " - لتتويجهم واعلان فروض الطاعة والولاء لـ " تيبه " السلطنة . وكانت للسلطان احمد ايضا قصوره فى احياء " بهنان " و " أبيد " بمرونى وهى احياء مطلة على البحر.(٢)

واستطاع السلطان أحمد أن يتزوج من بنت سلطان المقاطعة الجنوبية " باجين " التى كانت تبدو أنها شبه منفصلة - وذلك لمحاولة اعادة هذا الجزء الى سيطرته .(٣)

ورغم عدم قدرته على اخضاع ذلك الجزء فى ذلك الوقت الا انه نزع اعتراف سلطان ووزراء الجنوب به كـ " تيبه " على سائر ملوك وامراء سلطنة القمر الكبرى -(٤) كما انه بذر بذرة سلطانيه فقد انجبت الاميرة الجنوبية " الباجينية " ابنا سمى بأسم هاشم(٥) سوف نرى ادواره فيما بعد .

كذلك حضر سيد عمر وهو هنزوانى مايوتى من قبيلة " مسيلا " الى القمر الكبرى .(٦) ربما بايعاز من السلطان أحمد وتزوج ابنته " منى بنت احمد " وانجبت له سيد على(٧) وآخرين.

ويبدو أن السلطان احمد كان يرمى من خلال هذه الروابط الاميرية الى توحيد الجزر تحت سيادته . خاصة انه كان يرى ان توحيد هنزوان والقمر الكبرىيعنى تحقيق الوحدة لان مايوت وموهيلى كانتا قد خضعتا لهنزوان .

---

(١) Jean Martin: Comores ,quatre iles ......Op.Cit; P.53.

(٢) Du Plantier. Op.Cit; P.110.

(٣) Jean Martin: Op.Cit; P. 62.

(٤) Ibid .P. 62.

(٥) Ibid. P. 58 .

(٦) Flobert Thierry:Les Comores(Aix-Marseille,sans date)PP. 233- 234.

(٧) Jean Martin: Op.Cit; P. 79.

وقد حج السلطان أحمد عام (١٨٦٥)[١] وذكرت المراجع[٢] انه اثناء عودته توقف بزنجبار وقابل سلطان زنجبار وعقد معه اتفاقية سياسية وتجارية لتبادل السفارات والتجارة بين السلطنتين•

بيد انه فى عام (١٨٦٩)[٣] تجددت حرب أهلية اخرى بينه وبين الامير موسى فوم الانافمباوى الذى كان اميرا على مقاطعة " اتسنرا " والتى تجاور مقاطعة " بمباو " مقر السلطان أحمد•

ووقعت الحرب الاهلية بين قبيلتى " انابيروسا " و " انافمبايا " ودارت رحاها حول مدينة " مرونى " عام (١٨٦٩) الى عام (١٨٧٠)•[٤]

وكانت جيوش قبيلة " انافمبايا" قد تجمعت فى " نسجين " عاصمة القبيلة وتحركوا منها صوب " اتسنرامجين " واتخذوا الطريق جنوبا صوب مدينة " مرونى " مقر السلطان •[٥]

وكانت خطة موسى فوم على مايبدو هو ضمان عدم تدخل سلطان المقاطعة الجنوبية ثم اغلاق الشمال بالوسط حتى لاتستطيع فروع " انابيروسا " القاطنة فى الشمال من الوصول الى " بمباو " فى الوسط •

ذلك أن مقاطعات " بواكو " و " متسامهول " و " بودى " الانابيروسية " تقع فى الشمال وبينها وبين " بمباو " تقع مقاطعتا " هامغو " و " اتسنرا " الانافمباوية فعمل الانافمباويون علي اغلاق المنافذ من " هامغو الى " اتسنرا " لتتحرك جيوشهم صوب مرونى وهى محمية الظهر •[٦] واصبح السلطان احمد لايجد دعما من بنى عمومته فى الشمال •[٧]

---

(١) Flobert Thierry: Op.Cit. P.236.

(٢) Jean Martin: Op.Cit .P. 86.

(٣) Ibid. P. 88.

(٤) Ibid. PP. 88-93.

(٥) P.L: Histoire de la Grand-Comore(Paris 1936)P.120.

(٦) Verrin Pierre: Guerres civilles comoriennes(Paris 1981) P. 73.

(٧)

وأبلى رجال " انابيروسا " البمباويون بلاء حسنا الا ان الدائرة دارت عليهم وانتصر موسى فوم على السلطان احمد وعاد لقب " تيبه " الى قبيلة " انافمبايا " وذلك عام ١٨٧٠.[١]

وقام السلطان موسى فوم باعتقال السلطان احمد ووضعه في السجن الى ان مات فيه عام ١٨٧٣[٢] وتزوج موسى فوم ابنة السلطان أحمد - واقر على مقاطعة " بمباو " صهره الامير عبدالله بن أحمد.[٣] وهدأت الامور فترة من الزمن الى ان - جاء الامير سيد على لتنفجر الجزيرة من جديد وبشكل أخطر وافظع . وسوف يأتي الكلام عنه في موضع آخر .

(١) Du Plantier de Nicolas: Op.Cit; P. 126.

(٢) Ibid. PP. 126-127 .

(٣) Jean Martin: Op.Cit. P.94.

هـنزوان : -

سبق الاشارة الى انه توجد قبيلة " انامسيلا " وفروع " انابيروسا " و " انافمبايا " وكان محمد بن عيسى الشيرازى - بعد ان دخلها عام ١٥٠٦ (١) اقر عليها ابنه عيسى الـذى حول عاصمة هنزوان القديمة من " تشينغونى " الى موتسامودو" عام ١٥٣٠ (٢)

وكان وزير " موتسامودو " آنذاك يدعى " فانى علي "(٣) وتزوج الامير عيسى ابنة هذا الوزير وتلقب بالسلطان.(٤) وانجبت له ولدا يدعى محمد • وعندما مات عيسى خلفه ابنه محمد فـى سلطنة هنزوان •(٥)

وفى هذا العهد كانت موهيلى قد دخلت فى طاعة هنزوان(٦) وقام السلطان محمد الى مايوت وتزوج بابنة سلطان الجزيرة الـتى تدعى " امينة بنت مصلحة " من قبيلة " مسيلا " فألحقت مايـوت بهذه الواسطة بهنزوان - (٧) وقد حاول محمد هذا اخضاع القمـر الكبرى الا انه لم ينجح لان قبائل القمر الكبرى لم تكن على اتفاق حول هذا الطلب • اذ كانت " انابيروسا " توافق بينما اعترضـت " انافمبايا " التى كانت السيادة " التيبيه " فى يدها •(٨)

ثم مات محمد وخلفه ابنه عيسى وظلت تبعية موهيلـى ومايوت حتى وفاة عيسى ١٦٥٢ ولم يكن له عقب يخلفه فى السلطنة فخلفته امرأته " مولانة " وخرجت مايوت وموهيلى على هنزوان - احتجاجا على تولى امرأة السلطنة • (٩)

ولكن " مونى فانى " وزير السلطنة وهو خال عيسى أخـذ الامر بجزم - وأعاد مايوت وموهيلى الى حظيرة وسيطرة سلطنـة هنزوان ا واستأثر " مونى فانى " بالملك دون الملكة فهربت الـى مدينة "دمونى " (١٠) وذلك عام ١٦٥٤ (١١) وقد زارتها البارجـة الهولندية وكتب احد رجالها اكرام الملكة " مولانة " لهم • (١٢)

---

(١) Pierre L. : Histoire d'Anjouan(Paris 1987)P. 36.

(٢) Ibid . P. 53 .

(٣) شكيب ارسلان • حاضر العالم الاسلامى المجلد ٣ ص ١٥٤ الحلبى القاهرة ١٣٥٢هـ

(٤) شكيب نفس المرجع السابق ص ١٥٤• Jean Martin: Op. Cit

(٥) Jean Martin : Op. Cit. P. 136.

(٦) شكيب • المرجع السابق ص ١٥٤ (٧) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة •

(٨) Jean Martin: Op.Cit. P. 137 (٩) Ibid .P. 138 .

ومات " مونى فانى " وخلفته امرأته " فانته " فى الملك فصارت ملكة فى " موتسامودو " وملكة فى " دمونى "[١] وتمردت موهيلى ومايوت ايضا مرة اخرى[٢].

ثم اتحدت الجزيرة عندما بدأت اغارات القراصنة الملجاشيين يهاجمون على القمر عام ١٧٧٥[٣] وفى عهد احمدى ثم التوحيد النهائى بين " دمونى وموتسامودو "[٤] وتمكن هذا السلطان من مقاومة ودفع غارات القراصنة الملجاشيين عام ١٧٧٩[٥].

كما قدم مساعدات هنزوان المعنوية والعسكرية الى مايوت وموهيلى للوقوف ضد القراصنة[٦] - وبعد تطهيرها من الملجاشيين دخلت مايوت وموهيلى فى تبعية سلطنة هنزوان[٧]. كما سبق الذكر فى البحث السابق .

وبعد وفاة الشيخ احمدى خلفه الشيخ سليم وملك من عام ١٧٨٠ الى وفاته عام ١٧٩٧ -[٨] وبويع ابنه احمد وهو دون البلوغ فقام عمه علوى باحداث ثورة ليستأثر بالملك ولكنه فشل[٩] بوقوف اخوال احمد خلفه .

بيد ان علوى لم يكن قد تخلى عن اطماعه فى السلطنة ولجأ الى زنجبار بعد فشله واقام بها سنتين يهيىء نفسه - ثم عاد بعد ذلك وخلع ابن اخيه الطفل احمد وتولى مكانه - وظل يحكم حتى وفاته عام ١٨٢٠ وخلفه ابنه عبدالله الاول .[١٠]

وكان الهنزوانيون قد ساعدوا مايوت وموهيلى فى اخراج الغزاة الملجاشيين كما سبق الاشارة الى ذلك[١١]. وادى هذا الامر الى اخضاع كلتا الجزيرتين لهنزوان[١٢].

---

(١) شكيب ارسلان - المرجع السابق ص ١٥٤ .

(٢) Pierre L. [illegible]n: Op.Cit.P.36 (٣) شكيب ارسلان - المرجع السابق ص١٥٤ .

(٤) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة . (٥) Piere L. Op.Cit; P.54.

(٣) Jean Martin:Comores quatre iles...Vol.1 . Op.Cit. P.127 .

(٦) Ibid; P. 129.

(٧) Ibid; P. 129.

(٨) Pierre L. Op.Cit . P. 54 .

(٩) Ibid; P. 55.

(١٠) Ibid; P. 55.

(١١) شكيب ارسلان - المرجع السابق ص ١٥٥ .

(١٢) نفس المرجع السابق نفس الصفحة .

وكان هناك بعض امراء من السكالافا قد اسرهم الهنزوانيون وابقوهم فى هنزوان [١]- ولكن يبدو ان عبدالله الاول اراد ان - يخضع الجزيرتين لسيطرته الكاملة • حتى يضمن بقاءهما فى طاعة هنزوان •

وقام بتعيين امراء من السكالافا الذين اسلموا ووثق فى ولائهم للسلطنة - ومن هؤلاء الامير " أندريا سولى " وذلك فى عام ١٨٢٢•[٢] وكان هذا يعنى بالتأكيد ابعاد الامراء المايوتيين الذين خارت قواهم بما احدثته ايدى القراصنة من استباحة الدماء وتخريب وقتل ودمار •

وفى نفس الفترة من ١٨٢٩ [٣] لجأ اليه ملجاشى من قبيلة " الهوفا "[٤] وهم أصحاب مملكة " امرينا " العظيمة التى قامت فى الوسط الشرقى لجزيرة مدغشقر وهى المملكة التى اسسها اندريانا مبومرينا " (١٧٩٢[٥] - ١٨١٠)•
(   )

وهذا الامير يدعى " رمان تيكا " كان قد اختلف مع ابن عمه ردما الاول •[٦] الذى اصبح ملكا على مملكة " امرينا " - (١٨١٠ - ١٨٢٨[٧]) بعد وفاة والده " اندريا مبومرينا " مؤسس المملكة -

وكان رمان تيكا " قد ثار على الملك "ردما الاول " الامر الذى ادى الى قيام الاخير بمطاردته •[٨]•

وفر " رمان تيكا " ومعه رجاله ولجأوا الى جزيرة هنزوان• ورحب به السلطان عبدالله الاول وأحسن منزله [٩] وخصص له مكانا فى مدينة "سيما " شمال غربى السلطنة •[١٠]

---

(١) Verrin Pierre: Guerres civilles comoriennes.Op.Cit;p.188.

(٢) Pierre L. Op.cit. p. 57.

(٣) Ibid. P. 58 .

(٤) Ibid .pp. 58-59 .

(٥) شكيب • المرجع السابق ص ١٥٥•

(٦) Jean Martin.Op.cit.p.205

(٧) شكيب المرجع السابق ص ١٥٥•

(٨) Verrin Pierre . Op.cit.p. 189 .

(٩) شكيب ارسلان• حاضر العالم الاسلامى مرجع سابق ص ١٥٥•

(١٠) Pierre L. Op.cit .p. 71 .

الا أن " رمان تيكا " بدأ يحرك ثورة ضد السلطان عبدالله شيخ البلاد • فأعد له السلطان قوة لمحاربته الا أن " رمان تيكا " فر برجاله الى موهيلى[١] نهاية عام ١٨٣٥[٢] واستولى عليها[٣] وكان عليها امير من قبل عبدالله •[٤]

وجهز السلطان جيشا تحت قيادته عام ١٨٣٦ لمطاردة - " رمان تيكا " فى موهيلى غير ان اعصارا شديدا فرق مراكب جيشه وقذف بالسفينة التى كان عليها الى الشاطىء فوقع فى يـــد خصومه •[٥]

وامر " رمان تيكا " بقتل الرجال الذين كانوا مع السلطان بينما وضع السلطان فى السجن ومنع عنه الطعام الى ان مات فى نفس العام •[٦]

وقام " سولى " امير مايوت وجمع جند عبدالله الذين نجوا من الاعصار وذهب بهم الى هنزوان وبايع ابنه علوى سلطانا علـى الجزيرة غير ان عمه سالما طمع فى الامارة فقامت فتنة اخـــرى فى هنزوان•[٧]

وظل الامير " سولى يدعم علوى ضد عمه سالم مدة اربع - سنوات • وفى هذا الوقت فكر سالم ان يعقد معاهدة مع " رمان تيكا " الذى اصبح سيد موهيلى • وبمقتضى هذه المعاهدة تصبـح موهيلى مستقلة وتحت سيادة " رمان تيكا " على ان يساعد " رمان تيكا " سالما ضد علوى •[٨]

كذلك قام سالم ايضا بدس الدسائس وخلق الاضطرابـــات فى مايوت لتحول دون تقديم نجدات ومساعدات " اندرياسولـــى " الى علوى -[٩] خاصة وان " سولى " كان قد بدأ فى هـــذا الوقت بعقد الاتفاقيات التجارية والسياسية مع الفرنسيين - الامر الذى

---

(١) شكيب ارسلان •• المرجع السابق ص١٥٥
(٢) Verrin Pierre.Op.cit.189. (٣) شكيب ارسلان المرجع السابع ص١٥٥•
(٤) Pierre L. Op.cit.pp.72-73. (٥) شكيب المرجع السابق ص١٥٥•
(٦) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة •
(٧) شكيب ارسلان• حاضر العالم الاسلامى - ص ١٥٥
(٨) المرجع السابق ص ١٥٥• (٩) المرجع السابق ص ١٥٥•

شجع الانجليز فى " موريشص " و " زنجبار " الى الوقوف الى جانب سالم .[(١)]

وفى هذا الوقت كانت جنود " رومان تيكا " وسالم قد اتفقوا على مهاجمة " موتسامودو " عاصمة سلطنة هنزوان التى سقطت فى يد سالم عام ١٨٤٠.[(٢)]

وهرب علوى خفية الى القمر الكبرى بواسطة قارب - صغير[(٣)] وانفرد سالم بهنزوان[(٤)] واستقل " سولى " بمايوت ورفض تبعية سالم .[(٥)]

وفى هذا الوقت بدأ سالم يظهر ميله الشديد للانجليز[(٦)] ويبدو انه خشى من عودة علوى الى عرش السلطنة بمساعدة القمر الكبرى فطلب من الانجليز نفيه من خارج الجزر . وقام الانجليز بالفعل بنفى السلطان المخلوع علوى من القمر الكبرى الى - " كلكتا " بالهند وظل بها حتى مات عام ١٨٤٢.[(٧)]

وكانت فرنسا قد بدات ايضا فى هذا الوقت من القرن التاسع عشر اعادة مجدها الاستعمارى فى مياه المحيط الهندى - بعد فقدانها موريشص عقب الحروب النابليونيه . وهو ماسوف نستعرضه فيما بعد .

---

(١) Verrin Pierre. Op.cit; P. 191.

(٢) Ibid. p. 194.

(٣) شكيب ارسلان - المرجع السابق ص ١٥٥.

(٤) Verrin Pierre. Op.cit. p.194.

(٥) Pierre L. Op.cit; p. 73 .

(٦) Jean Martin ; Op.cit. p. 207 .

(٧) شكيب ارسلان المرجع السابق ص ١٥٥.

المبحث الثالث

العلاقات الخارجية لجزر القمر (قبل وقوعها تحت الاستعمار)

مدغشقر ومدن الساحل وزنجبار

العلاقات الخارجية لجزر القمر (قبل الاستعمار)

— مدغشقر - المدن الساحلية - زنجبار.

اولا : مدغشقر :

العلاقات البشرية :

تذهب الدراسات التاريخية والاثارية الى الاجماع ان اول مجموعة بشرية شهدتها مدن ساحل شرقى افريقيا كانت من القبائل البانتوية الافريقية التى قدمت من الداخل الى الساحل.(١)

هذه المجموعة البشرية انتشرت فى جزر القمر ومنها الى جزيرة مدغشقر -(٢) وذلك فى وقت مبكر قبل الميلاد(٣) كما انتشرت فى غيرها من مدن الساحل.

استقرت المجموعة التى سارت الى جزيرة مدغشقر فى بداية الامر على الجهات الشمالية والغربية من الجزيرة. وكانت نواة لشعوب وممالك " السكالافا " فى الشمال والغرب من مدغشقر.(٤)

وعندما قامت ممالك " السكالافا " و " بوانا " والاخيرة احدى الشعوب السكالافيه كذلك.

بدات فى التمدد نحو الشرق والجنوب - وذلك فى الفترة التى سبقت مجيء الملايو - اندونسيا الى مدغشقر - واصبحت شعوب السكالافا يسيطرون على كل جزيرة مدغشقر.(٥)

ومنذ القرن الرابع الميلادى بدأت تصل الى جزيرة مدغشقر - هجرات ملايوية - اندونيسية من جنوب شرقى آسيا بالرياح الموسمية على السفن الشراعية يحملون بضائعهم من بهارات وقصب السكر وجوز الهندى ونحوه.(٦)

---

(١) Jean Martin:Comores,quatre iles ... vol.1.(Paris 1983)P.66.

(٢) Ibid. p.68.

(٣) Herve Chagnoux: les Comores(Paris 1990)P. 16.

(٤) Edourd Ralaimihoatra: Histoire de Madascar.(Tananarive Madagascar 1966) p. 29.

(٥) Ibid.p.28 .

(٦) Ibid.p.26 .

ووجد هؤلاء أن هواء مدغشقر يشبه هواء بلادهم مع خصوبة اراضيها فاستقروا فى الاجزاء الشرقية منها وبداوا - يتمددون نحو الوسط.[(١)] ويبدو انهم غلبوا على العناصر السكالافيه فى هذه الجهات او ان السكالافا لم تكـــن شوكتهم قد قويت على الاجزاء الشرقية نسبة لكبر حجم - الجزيرة القارة .

واقام هؤلاء الملايو اماراتهم " الهوفا " و " امرينا "[(٢)] فى الفترة من القرون الوسطى والتى كانت نواة لمملكة - " مرينا " "Merina" العظيمة التى ظهرت مع نهاية القـــرن الثامن عشر ١٧٩٢[(٣)] وهى المملكة التى استطاعت فى النهاية ان توحد جزيرة مدغشقر وتخضع كل الممالك الشمالية والجنوبيـة والغربية وحتى الامارات الشرقية التى كانت خارجة عن سيطرة " مرينا "[(٤)].

واصبحت مملكة "مرينا " بذلك الاخضاع وتلك السيادة موحدة للجزيرة قبل وقوعها تحت الحماية الفرنسية عـــــام (١٨٨٥)[(٥)].

وتذهب نفس الدراسات الى القول ان المجموعـــة الملايوية - الاندونيسية دخلت الى جزر القمر فى القرن الخامس الميلادى.[(٦)] وان هناك دلائل اثرية ملايوية وجدت بمدينـــة " سيما " " Sima " بهنزوان ترجع الى القرن الخامس الميلادى.[(٧)]

ويؤكد (برهان مكيلى) فى مخطوطته ان هؤلاء الملايو استقروا فى المدن الساحلية من هذه الجزر وان بعض الاماكن سميت باسماء لها دلالة على استقرارهم بهذه البلاد فى وقت مبكر.[(٨)]

---

(١) Michel Daniel: Malgaches.(Tananarive Madagascar1972)p.39.

(٢) Edourd Ralaimihoatra.Op.cit; p.29.

(٣) Ibid. p. 29.

(٤) Genin,E: Madagascar,les Comores,Maurice,Reunion.(Paris sans date) p.125.

(٥) Herve Chageaux . op.cit. p. 168.

(٦) Herve Chagnoux. op.cit.p. 169.

(٧) Jean Martin. Op.cit. p.76.

(٨) مخطوطة برهان مكيلى ص ٢٨.

ذلك أنه في مدينة " متسامهول " عاصمة الاقليم الشمالى لجزيرة القمر الكبرى توجد بلدة الى جوارها تسمى " جاوه " نسبة لجزيرة " جاوة " احدى جزر شعوب الملايو [١] • الجدير بالذكر ان هذه البلدة اصبحت حاليا حيا من احياء مدينة " متسامهول " وتحمل نفس الاسم وهذا الحى مشهور بصناعة الزوارق والمراكب •

الجدير بالذكر ايضا ان مجموعة الملايو- اندونيسية أو - الاندونسيه الصينية كما يطلق هذا اللفظ ايضا على شعوب شرقى اسيا حملت معها اشجار الموز والجوز الهندى وقصب السكر والقرنفل والارز والزنجبيل وانواع البهارات المختلفة [٢] الى مدغشقر [٣] وجزر القمر ومنها على مايبدو انتشرت هذه الاشياء على طول مدن الساحل حتى مقديشو وجيبوتى شمالا •

العلاقات التجارية :

كانت مدغشقر مشتهرة منذ فترة طويلة بانتاج الارز وانتشار الثروة الحيوانية فيها •[٤] وكانت جزر القمر قبل بدء اتصالها بالاوربيين تشتهر بانتاج القطن وصناعة الغزل والنسيج [٥] كما اشتهرت القمر ايضا بصناعة الزوارق الشراعية القوية بمختلف الاحجام [٦] هذا الى جانب انتشار الورود والزهور القمرية الطيبة •[٧]

وكانت كل من مدغشقر والقمر فى حاجة الى الاخرى• فملوك مدغشقر يريدون الزوارق والمنسوجات القمرية - وسلاطين جزر القمر من جانبهم يريدون ارز ومواشى مدغشقر [٧] فحكمت الحاجة والجوار العلاقات التجارية بين البلدين •

واول ما بدات القمر هذه العلاقات كانت بينها وبين ممالك الشمال والغرب السكالافيه وكانت تجرى على المقايضة • وتطورت علاقات سلطنات القمر التجارية مع الممالك الملجاشية الاخرى فى الجنوب والشرق •[٨]

---

(١) مخطوطة برهان مكيلى ص ٢٨•

(٢) كارلتون ا س• كون• ادوارد أ•هنت : السلالات البشرية الحالية " مترجم " مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٥•ص ١٢٣•

(٣) Edourd Ralaimihoatra.op.cit.p. 29.

(٤) Michel Daniel.op.cit. p.47.

(٥) مخطوطة برهان مكيلى ص ٩

(٦) Jean Martin. op.cit. p.240.

(٧) Ibid.p. 240.

ولكن فى خلال القرن الثامن عشر الميلادى اصبح الطريق البحرى الذى يربط جزر القمر بمدغشقر مهددا بمجموعة من القراصنة الملجاشيين -[١] واصبح هؤلاء القراصنة يستولون على السفن - التجارية القادمة من جزر القمر الا اذا كانت تحت حماية امير ملجاشى • كما بداوا يغيرون على الجزر القمرية •[٢]

غارات القراصنة :

لم يكتف قطاع الطرق البحرية الملجاشيين بالاستيلاء على السفن القمرية التى تبحر فى المحيط الهندى من القمر الى مدغشقر • بل جاوز هؤلاء القراصنة ذلك الى شن غارات مرة كل سنة أو سنتين على الجزر الاربع •[٣]

وكان القمريون خلال القرن الثامن عشر الميلادى فى حالة هلع من غارات هؤلاء الهمج - واخذوا يستعدون لهذه الغارات • وعندما يشن هؤلاء البرابرة الغارة • كان القمريون على مختلف اماراتهم يجتمعون بالزود عن بلادهم ودفع العدو عن جزرهم •[٤]

ولكن فى الثلث الاخير من القرن الثامن عشر كانت المنازعات والحزازات بين السلاطين والامراء قد زادت واصبح كل امير وسلطان يهتم بأمر جزيرته ومقاطعته •

وفى هذا الوقت (عام ١٧٧٥)[٥] قامت مجموعات كبيرة من القراصنة الملجاشيين السكالافا واغاروا على جزر القمر الاربع وابادوا فيها قرى بأكملها[٦] حتى ان مدينة " بومونى" "Pomoni" بجزيرة مايوت كانت قد خربت تماما •[٧]

---

(١) Noel.M.V. Histoire de Mayotte et Sakalava(Sans date.S.L.) p. 85.

(٢) مخطوطة برهان مكيلى ص ١٨ (٣) مخطوطة برهان مكيلى ص ١٨ •

(٤) Noel .M.V. op.cit .p 86.

(٥) Jean Martin. op.cit. p. 205.

(٦) شكيب ارسلان• حاضر العالم الاسلامى- المجلد الثالث •ص ١٥٤ الحلبى القاهرة ١٣٥٢هـ•

(٧) Jean Martin .op.cit. p. 203.

واستولى هؤلاء البرابرة على أكبر جهات القمر الكبرى وهنزوان بأعتبارهما أغنى واقوى الجزر • لكن يبدو انهم سرعان ماتنبهو ان - بقاءهم فى هذه البلاد مهدد بأغتيالات من الاهالى الذين لم يلبثوا ان بدأوا بمقاومة الغزاة • ونجحت مقاومة القمريين فى طرد الغزاة الذين بدأوا يهربون حاملين ما استطاعوا من الاموال والاسرى•(١)

وفى هذا الوقت اجتمعت كلمة امراء القمر الكبرى وتشاوروا فى أمر غارات الملجاشيين • واتفقوا على نبذ الشقاق والتعهد بالاتحاد والتضامن والتناصر على اساس اخضاع سلاطين وامراء المقاطعات الاثنتى عشر التى سبق ذكرها - لسلطان السلاطين " تيبه " الذى يظل ساهرا على أمن السلطنة من الاخطار الخارجية •(٢)

وابلغت سلطنة القمر الكبرى بهذا الاتفاق لسلطنات هنزوان ومايوت وموهيلى(٣) التى كانت قد بدأت وحدة اندماجية بفضل الدعم الكبير الذى قدمته سلطنة هنزوان لمايوت وموهيلى فى دفع الغزاة عن تلك السلطنات •(٤)

واتفقت سلطنات هنزوان والقمر الكبرى ومايوت وموهيلى فى هذا الوقت على تشكيل شرطة بحرية موحدة لمراقبة السواحل حتى لايأخذهم العدو على غرة من جديد •(٥) ويعتبر هذا اول اتفاق وحدوى للجزر الاربع فى العصر الحديث •

وفى عام (١٧٧٩)(٦) نزل العدو من جديد على مياه القمر - واستطاعت السفن المراقبة للمياه القمرية من ابلاغ الخبر الى الامراء والسلاطين فى " نسجين " مركز سلطنة القمر الكبرى آنذاك(٧) - و " موتسامودو " مقر سلطنة هنزوان • و " فميونى " و " زدوزدزى " مقر امارتى موهيلى ومايوت التابعتين لهنزوان(٨) كما سبق القول •

وبدأت مناوشة القمريين ورجوعهم القهقرى حسب الخطة المرسومة • وأخذ العدو يتعقبهم - وفى داخل المدن - السابقة الذكر - انقضى القمريون على القراصنة وتم القضاء عليهم عن آخرهم وفر بقية القراصنة الذين كانوا على السفن فى الموانىء • عندما زحف الشباب القمريون على الساحل للقضاء على تلك البقية •(٩)

---

(١) مخطوطة بالمركز القومى القمرى للبحوث والاثار مجهول الكاتب والتاريخ ص٣١•

(٢) مخطوطة برهان مكيلى ص١٣•

(٣) Flobert,Bertand;Archipel des Comores.(Moroni Comores sans date) P.252.

(٤) Jean Martin.op.cit. p. 210 .

(٥) Ibid;p.204 . (٦) Ibib. p, 210 (٧) مخطوطة برهان مكيلى ص١٩

(٨) مخطوطة بالمركز القومى القمرى للبحوث مجهول الكاتب والتاريخ ص٣٢•

(٩) المخطوطة السابقة بالمركز القومى القمرى للبحوث ص٣٢ ومخطوطة برهان مكيلى ص١٩•

ومنذ ذلك التاريخ عاشت الجزر الاربع بمأمن عن غارات الملجاشيين ولكنها بدأت في نزاعات وخلافات داخلية وحروب - اهلية تحدث بين القبائل والاسر الحاكمة والتى سوف تتخذهـا القوى الاستعمارية ذريعة للتدخل الى هذه الجزر • وسوف يأت ذكر ذلك فى مكان آخر •

ويبدو من دراسة اعتداءات القراصنة السكالافا انه مـع أنها اعمال قرصنة من مجموعات وافراد • غير انها لايمكن ابعـاد ذلك عن مباركة ممالك وامارات شعوب السكالافا الذين يبدو أنهم كانوا يطمعون فى هذه الجزر خاصة عندما يشاهدون الانشقاقات التى تحدث بينها •

ومع أن بعض سكان مدن السكالافا كانوا قد اسلموا الا ان الغالبية العظمى من شعوب السكالافا كانوا على وثنيتهم - ولايستبعد أن تكون الامارات السكالافيه شجعت هذه الاعمال الوحشيـة علـى القمريين باعتبارهم الذين اتوا بالدين الاسلامى الجديد الى بلادهم •

العلاقـات الاداريـة :

شاءت الصدف أن تتزامن اتفاقيات الفرنسيين مع سلاطين جزر القمر مع المعاهدات الفرنسية الملجاشية •

ذلك أنه فى عام ١٨٤١[١] كانت فرنسا قد احتلـت " نوسيبى " "Nose-Be" وهى جزيرة صغيرة على الشمال مـن مدغشقر ومنها خططت لاحتلال مايوت القمرية عام ١٨٤٣[٢]•

وخلال الخمسينات والستينات من القرن التاسع عشـر كانت فرنسا قد عقدت عدة اتفاقيات مع ممالك الشمال والغـرب السكالافية وبدأت فرنسا تحرض هذه الممالك لمقاومة سيطرة مملكـة " مرينا " الملاجاشية التى كانت قد بدأت تدخل فى علاقات - جيدة مع بريطانيا العظمى فى ذلك الوقت[٣] •

بيد أنه فى نهاية الستينات من نفس القرن كانت فرنسا قد بدأت تدخل فى علاقات صداقة واتفاقيات تجارية مع مملكـة " مرينا "• واستطاعت فرنسا ان تقلص نفوذ انجلترا فى هـذه المملكة ابان عهد الملك " رادما الثانى " المرينى الملجاشـى (١٨٦١-١٨٦٣)•[٤]

وعند مطلع عام ١٨٨٥ كان واضح ان النفوذ الفرنسى فـى مدغشقر قد أخذ فى التقدم والتزايد ولم يعد هناك من يقاوم هذا النفوذ[٥] - لان انجلترا فى ذلك الوقت كانت قد اصبحت مشغولة بمشاكلها فى مصر[٦] والازمة السودانية بقيام ثورة المهدى[٧] • هذا فضلا عن اهتمامها بجزيرة زنجبار[٨] والخليج العربى •

وكانت فرنسا فى عام ١٨٨٥[٩] قد عقدت معاهدة حمايـة مع مدغشقر وجددت هذه المعاهدة عام ١٨٨٦[١٠] وتتشابه هاتـان المعاهدتان بتلك التى ابرمت فى نفس الاعوام بين فرنسا وسلطنات جزر القمر الكبرى وهنزوان وموهيلى وسوف يأتى الحديث عنها فـى مكان آخر •

---

(١) Edourd Ralaimihoatra.op.cit.p.138.

(٢) Noel,M.V. op.cit. p. 167.

(٣) Bernard.J.Histoire de Madagascar.(Paris 1978)P. 243.

(٤) Bernard.J. op.cit. p. 243.

(٥) Edourd Ralaimihoatra. op.cit. p.139 .

(٦) دكتور /محمد فؤاد شكرى•مصر والسودان- ١٨٢٠-١٨٩٩•دار المعارف بمصرص٣٨•

(٧) المرجع السابق ص ٢٩٦ ومايلية (٨) Jean Martin op.cit.453 .

(٩) Noel,M.V. op.cit.170 (١٠) Noel.M.V. op. cit. p. 170 .

وفى عام ١٨٩٠ وافقت انجلترا على حماية فرنسا لمدغشقر مقابل حمايتها لزنجبار [١] وفى عام ١٨٩٥ قررت فرنسا احتلال مدغشقر رسميا .[٢] بينما كانت جزر القمر قد تم احتلالها رسميا بترحيل السلطان سيد على الى المنفى عام ١٨٩٢.[٣]

وكانت جزر القمر قد تم احتلالها رسميا عام ١٨٩٢.[٤] وسوف يأتى الحديث عنه - وفى ٩ ابريل ١٩٠٨ . قررت فرنسا الحاق جزر القمر اداريا بمدغشقر.[٥] ويقول بعض الكتاب ان ذلك الالحاق كان عام ١٩١٢[٦] ولكن الراجح هو الرأى الاول[٧] وهو مايميل اليه الباحث .

وظلت جزر القمر منذ ١٩٠٨ تابعة لمدغشقر وعاصمتها " تناناريف " "Tananarive" مع تعيين المقيمين السياسيين فى الجزر الاربع الى عام ١٩٤٦ عندما تم تعيين د. سيد محمد شيخ كأول نائب قمرى يمثل جزر القمر فى الجمعية الوطنية الفرنسية وقام بمطالبة فصل القمر عن مدغشقر اداريا .[٨]

العلاقات الدينية :

تنسب العديد من الكتابات دخول الاسلام الى مدغشقر بعرب مدن الساحل والهجرات القمرية خاصة .

وتذكر هذه الكتابات انه ابتداء من القرن السابع الميلادى بدأت امواج من العرب والقمريين يقدمون الى جزيرة مدغشقر.[٩] هذه المرة لم تكن للتجارة والاستقرار فقط بل كانت لادخال الاسلام الى تلك الجزيرة .

وخلال القرنيين التاسع والعاشر الميلاديين قدمت مجموعات كبيرة من الزيدية والاسماعيلية من مدن " مالبندى ولامو ومقديشو وممباسة الساحلية ومرت بجزر القمر ومنها الى جزيرة مدغشقر.[١٠]

---

(١) Jean Martin;Comores,quatre iles entre pirates Malgaches...vol2 (Paris 1983) p. 232.

(٢) Ibid.p.232.

(٣) Ali Haribou: Les Comores.(Moroni Comores 1980) p. 85.

(٤) Jean Martin;op.cit.p.245.

(٥) Jean Martin.op.cit.p.341.

(٦) Noel.M.V.op.cit.p.173 .

(٧) see Jean Martin.op.cit.p.341.

(٨) Jean Martin. op.cit.p.468 (9) Ali Haribou: op.cit. p.52.

(١٠) Edourd R. op.cit.p.914.

وفى هذا الوقت قامت مجموعات قمرية واتخذت طريقا غير مألوف من قبل ونزلوا شرق جنوب مدغشقر[(١)] واستقروا فى مدن الجنوب والشرق وتوغلوا حتى بلاد " امرينا " " والهوفا " وبدأوا ينشرون الاسلام فى وسط " الهوفا " والقبائل الاخرى القاطنة فى تلك الاجزاء .[(٢)] وعمد القمريون الى بناء المساجد ونشر التعليم الدينى فى " تماتافى " وغيرها من مدن شرقى مدغشقر كما فعلوا من قبل فى بلاد السكالافا الشمالية .[(٣)]

وفى القرن الخامس عشر الى السادس عشر الميلاديين دخلت هجرات عربية وشيرازية قادمة من المدن الساحلية الى مدغشقر عبر جزر القمر خاصة بعد سقوط كلوة -[(٤)] وبلغت اعداد القمريين الذين هاجروا الى مدغشقر فى ذلك الوقت حوالى ٤٥٠٠٠ قمرى حتى اعتبرهم احد الكتاب فى كتابه "Malagasy Republic" ان القمريين اصبحوا مستعمرين لمدن تحولت الى مدن اسلامية قمرية .[(٥)] مثل " مجنغايا "[(٦)] و " ديغو " فى الشمال و "تماتافى " و " تاناناريف " وغيرها فى كل من الشمال والشرق والجنوب والوسط .

والواقع ان كل اجزاء مدغشقر وطأتها اقدام القمريين دعاة الى الاسلام وتجارا وانهم فى تلك المدن تركوا بصماتهم الواضحة حتى يومنا هذا .

وكانت اكثر المناطق تأثرا بهؤلاء القمريين وحضارتهم هى المناطق الشمالية والغربية القريبة من بلادهم - فضلا عن المدن الكبرى كـ " تماتافى " و " تناناريف " العاصمة . فى الشرق والتى شهدت الحضارة الاسلامية التى حملها القمريون الى تلك الجزيرة .[(٧)]

لقد بنى القمريون الجوامع واقاموا الخلاوى ونشروا الاسلام فى وسط " السكالافا " و " امرينا " و " الهوفا "[(٨)] والقبائل الملجاشية الاخرى وحتى ان مفردات لغتهم القمرية قد دخلت فى اللغة الملجاشية فضلا عن المفردات الملجاشية التى دخلت فى القمرية .[(٩)]

---

(١) Noel,M.V. op.cit.p.52.

(٢) Jean Martin; Comores,quatre iles... vol.1. op.cit.pp.178-179.

(٣) Edourd Ralaimihoatra.op.cit. p.41.

(٤) Virginia Thompson & Richard Adolf;Malagasy Republic,Madagascar today.(sans date.S.L.) p.190.

(٥) Ibid.p. 190 .

(٦) انظر شكيب ارسلان. حاضر العالم الاسلامى المجلد الثالث . الحلبى القاهرة ١٣٥٢هـ

(٧) Ibid. p. 11 .

(٨) Edourd R. op.cit. p.11.

(٩) مخطوطة . هلى . مكيل . ص ١٧ .

ولعل هذه الهجرات القمرية المبكرة ودور القمريين في نشر الاسلام في الجزيرة واحتلالهم مراكز القوة في ادارة مدغشقر اثناء الاستعمار وبعد الاستقلال ١٩٦٠ جعل الملجاشيون يشعرون بالغبن لان بلادهم ما زالت في ايدى القمريين الاجانب • وادى الى مذبحة ١٩٧٦• (١)

---

(١) في عام ١٩٧٦ قامت فرق ملجاشية غير حكومية بقتل مئات القمريين المقيمين بمدغشقر - ولما كان القمريون منتشرين في كل مكان بالجزيرة القارة - فقد عمت المذبحة كل مكان •

ولكن المدن الهامة التي كانت الجاليات القمرية بها كبيرة هي " مجانغاى" و "تاماتافي" و " ديغو " وحتى " تاناناريف " العاصمة كانت الاغتيالات فيها كبيرة جدا - حتى ان العالم استنكر تلك المذبحة الرهيبة • وقامت بعض الدول بتقديم المساعدة وانقاذ من نجوا من القمريين واعادتهم الى بلادهم •

ويذكر المعاصرون عدة أسباب لتلك المذبحة - فيقول البعض ان - القمريين مارسوا نوعا من الهيمنة على الجزيرة والاستعلاء على الملجاشيين- وكان الملجاشيون بمثابة خدم للقمريين الاجانب - وكان للقمريين مجالسهم الخاصة التي لايقترب اليها ملجاشي الا اذا كان يحمل سيدا قمريا • وكان السبب المباشر ان احد القمريين شتم ملجاشيا شتيمة قبيحة بحضور مجموعة من الملجاشيين بمدينة مجانغاى - فثارت ثورة الملجاشيين وقاموا بقتل القمرى - وعندما حاول القمريون الدفاع عن اخيهم كان الملجاشيون قد ثاروا ثورة عارمة في وجه كل قمرى في كل مكان في اماكن الجاليات القمرية •

وهناك من يقول ان سبب هذه المذبحة كان من وراءها الرئيس الراحل على صالح - ويقول ان هذا اراد عودة كل القمريين من المهجر للمساهمة في بناء الدولة الحديثة التي عزم على بنائها • واتصلت حكومته بحكومة الرئيس " راتسيراكاه " الذى مازال يحكم مدغشقر حتى اليوم • بقصد تدبير حادثة تؤدى الى ترك القمريين مدغشقر وعودتهم الى بلادهم • ويستدلون بذلك انه فور وصول الناجين الى القمر فتح لهم فرص للالتحاق بالقوات المسلحة القمرية وفي المشاريع الاخرى• وهذا الموضوع يحتاج الى معلومات دقيقة ودراسة منفصلة لتأكيدة - المهم انه لايمكن استبعاد دور حكومة مدغشقر في هذه الحادثة • وعند دراسة الحركة الوطنية سوف تظهر هذه الاحداث بشكل واضح وأدق •

العلاقات بين القمر ومدن الساحل :

التاريخ الذى يجمع شعوب القمر وزنجبار ومالیندی وباته ولامو وممباسة وحتى مقديشو يكاد يكون تاريخا مشتركا ذا جذور واحدة • ولذلك لايمكن الحديث عن علاقات جزر القمر بزنجبار دون التعرض للمدن الساحلية الاخرى فى شرقى افريقيا •

فالبانتو قدموا من الداخل الى مدن وجزر الساحل وانتشروا فى زنجبار وماليندى وجزر القمر ومدغشقر وغيرها من المدن الساحلية شمالا وجنوبا •(١)

وتثبت الكتابات التاريخية عن ساحل شرقى افريقيا ان مجموعة من البانتو كانوا اول جنس بشرى يستقبله الساحل الشرقى للقارة الافريقية - وذلك فى فترة موغلة فى القدم - ترجع الى ماقبل الميلاد•(٢)

ثم جاء التجار العرب من جنوب جزيرة العرب بالرياح الموسميه على السفن الشراعية التجارية فى عهود دول معين (١٣٠٠-٦٣٠ ق.م)(٣) وسبأ (٨٠٠-١١٥ ق.م)(٤) وحمير (١١٥-٥٢٥م)(٥) اليمنية الى هذا الساحل للتجارة فى العاج والذهب والاشجار الطيبة •

ولم يؤثر هؤلاء فى المدن المطلة على البحر الاحمر وحدها بل امتد تأثيرهم جنوبا حتى حزر القمر وغيرها من المدن والجزر الساحلية فى المحيط الهندى •

واستقرت مجموعة من هؤلاء العرب اليمنيين فى زنجبار وجزر القمر والمدن الساحلية المجاورة واثروا فيها فى فنون العمارة والزراعة وشق الترع •(٦)

---

(١) Genin,E. Madagascar,les Comores,Maurice,Reunion(Paris sans date) p.120 .

(٢) Ibid. pp.120-121 -.

(٣) مصطفى ابو ضيف احمد: دراسات فى تاريخ العرب • موسسة شباب الجامعة الاسكندرية ١٩٨٢ ص٢٥• (٤) نفس المرجع السابق ص ٢٩•

(٥) نفس المرجع السابق ص ٣٣ و ص ٣٦•

(٦) مخطوطة برهان مكيلى ص ٣٠•

وتقول بعض الكتابات " ان عرب جنوب الجزيرة العربية هم من عرب الجاهلية التى من بينها تكون المجتمع القمرى.(١)

وفى خلال القرن الرابع الى الخامس الميلاديين كانت الموجه البشرية الملايو ـ أندونيسيه الجاوية التى خرجت من جنوب شرقى آسيا فى تجارة بحرية واسعة الى ان وصلت الى جزر الساحل الشرقى الافريقى .(٢)

واستقرت بعض من هذه المجموعة بمدغشقر بينما خرجت اخرى وانتشرت فى جزر القمر (٣) وزنجبار وممباسة وحتى مدن الصومال الساحلية .(٤)

وتركت هذه الموجه البشرية على هذا الساحل اثارها المتمثلة فى ماجلبوه وحملوه معهم من شجرة الموز والجوز الهندى وقصب السكر وجميع أنواع البهارات وغيرها من المواد التى تؤكد الدراسات التاريخية أن أصلها من آسيا وأن الذين جلبوها الى هذا الساحل هم شعوب الملايو ـ أندونيسيه .(٥)

وفى القرن السابع الميلادى كانت بداية الهجرة العربية الاسلامية الكبرى التى خرجت من الجزيرة العربية فى سبيل نشر الدعوة الاسلامية .

ثم كانت المنازعات والخلافات فى عهد الخلافه الاموية والعباسية مما ادى الى ازدياد الهجرات العربية الى الساحل الشرقى .

وتذكر بعض الدراسات التاريخية أن مدن مقديشو ولامو وممباسة وباته وزنجبار و مالیندى وانجازيجا " جزيرة من جزر القمر" اسسها العرب فى عهد الدولة الاموية .(٦)

---

(١) نفس المخطوطة السابقة ص ٢٧.

(٢) كارلتون اس. كون ـ أدوارد أ.هنت. السلالات البشرية الحالية" مترجم " ص ١٢٣. مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٥.

(٣) Herve Chagnoux; les Comores (Paris 1990) p. 17.

(٤) W.H.Ingrams; Zanzibar its history &its people(printed in Holland 1967) p.88.

(٥) كارلتون ا.س.المرجع السابق ص١٢٣.

(٦) W.H. Ingrams.op.cit. p. 74 .

وتذهب نفس البحوث الى القول ان عبدالملك ابن مروان ـ (٦٨٤ ـ ٧٠٥) كان يعرف أهمية هذا الساحل بالنسبة للعرب.(١) ذلك أن الساحل بجزره ومدنه كان بمثابة مكان يطمئن اليها الفارون من الاضطرابات التى كانت تشهدها عواصم العالم الاسلامى أنذاك.

وتضيف هذه الدراسات بأن الخليفة عبدالملك أرسل اثنين من اولاده هما جعفر وحمزة الى الساحل.(٢) حتى لايقع هذا الساحل ـ المهم فى سيطرة الشيعة أو الخوارج على مايبدو ـ وذلك بعد أن بدأ أتباع عبدالله بن اباض الفرار من عمان (٣) الى جانب هروب مجموعة من الشيعة الى الساحل الشرقى الافريقى.(٤)

ويبدو أن ابناء عبدالملك استقروا فى مالیندى او فى غيرها من المدن الساحلية (٥) ـ الا ان المهم هو أن هؤلاء الامويين بدأوا ينتشرون فى زنجبار وجزر القمر ويتقربون الى الملوك المحليين ويتزوجون من بناتهم ثم يرثون الحكم مع تقادم السنيين.(٦)

وتم اخضاع الساحل للامويين وتفويت الفرصة على الشيعة ـ والخوارج لانشاء دولة شيعية أو خارجية على هذه المنطقة الحيوية بالنسبة للعالم الاسلامى.

ويبدو أن العباسيين عندما أقاموا دولتهم على أنقاض الخلافة الامٔوية ساروا على نهج الامويين فى اخضاع الساحل حتى لايقع فى ايدى الشيعة الذين كثر ثوراتهم ثم فرارهم الى تأسيس دول لهم فى شمال افريقيا (٧) ابان العهد العباسى.

وتقول الكتابات ان مدينة مقديشو أسسها الاخوة السبعة (٨) ـ الذين قدموا من منطقة الاحساء بالجزيرة العربية وكان هؤلاء سنيين شافعى المذهب.(٩)

---

(١) W.H.Ingrams.op.cit.p.74. (٢) W.H.Ingrams.op.cit.p. 77.

(٣) Ibid.p.77.

(٤) Verin Pierre:l'Introduction de l'Islam aux Comores.(Wiesbaden Allemangne R.F.D. 1982)p.29.

(٥) W.H.Ingrams.op.cit;p.77.

(٦) Flobert,Bertand;Archipel des Comores(Morni sans date)p.75.

(٧) د. السيد عبدالعزيز سالم .تاريخ المغرب العصر الاسلامى ـموسسة شباب الجامعة الاسكندرية ١٩٨٢ص٧٧٩ ومايليه

(٨) Ingrams: op.cit. p. 75

(٩) Flobert,Bertand; op.cit; p. 79.

ويبدو أن وقت مجيئهم كان فى نهاية القرن الثامن الميلادى أو بداية التاسع الميلادى - ويذكر "Ingrams"(١) أن مجيئهم كان عام ٨١٣ ميلادية .

ويبدو ان هذا الرأى صحيح لان الامام الشافعى ظهر فى الفترة من ٧٦٧ - ٨٢٢ م (٢) وانتشر مذهبه خلال هذه الفترة فى العراق والحجاز ثم فى مصر بعد أن رحل اليها .

ويرجع المورخون ان هذا المذهب انتشر فى هذا الساحل بفضل قدوم الاخوة السبعة - (٣) وذلك قبل قدوم الشيرازيين الى الساحل فى النصف الاخير من القرن العاشر وتأسيسهم دولة كلوة .

ويبدو أن الامير حسن بن على واخوته الشيرازيين عندما وصلوا الى هذا الساحل وجدوا مدنه من مقديشو حتى جزر القمر فى ايدى العرب - وينتشر فيها المذهب الشافعى - فأنحرفوا جنوب هذه المدن الى كلوة ليوسسوا فيها دولتهم وذلك فى عام ٩٧٥ تحت اسم امبراطورية الزنج أو سلطنة كلوة .(٤)

ويبدو أنه بمرور الزمن تحول الشيرازيون الى المذهب الشافعى - ذلك أن ابن بطوطة الذى زار هذه البلاد فى القرن الثالث عشر يقول ان شعوب الساحل من مقديشو وممباسة حتى كلوة شافعى المذهب .(٥)

ورغم تعرض الباحثين الى مدى العلاقات التى كانت بين المدن والجزر الساحلية وامبراطورية الزنج سوى قولهم أن كل الساحل من مقديشو وجزر القمر حتى سفالة جنوبا كانت تخضع لسلطنة كلوة .(٦)

---

(١) W.H.Ingrams.op.cit. p. 77.

(٢) ولد الشافعى رحمة الله بغزة عام (١٥٠ - ٢٠٥ هـ) انظر . عبدالحليم الجندى الامام الشافعى . ص ٣٧ . دار الكاتب العربى القاهرة ١٩٦٦ .

(٣) W.H.Ingrams.op.cit.p.76. انظر (٤) Flobert,B.op.cit.p.79.

(٥) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة . ص ٢٥٧ . دارصادر . بيروت ١٩٦٠

(٦) انظر . د . السيد رجب حراز . افريقية الشرقية والاستعمار الاوربى دار النهضة ١٩٦٨ القاهرة . ط ٢ ص ٢ .

الا انه يبدو ان هذه العلاقات اعطت المدن والجزر الساحلية مزايا خاصة ظلت تتمتع بها حتى سقوط امبراطورية الزنج .

ويبدو من ناحية اخرى أن العلاقات التى كانت بين جزر القمر وغيرها من مدن الساحل التى كانت قد تأسست على أيدى العرب منذ القرن السابع الميلادى وبين سلطنة كلوة التى تأسست فى القرن العاشر الميلادى كانت علاقات تجارية . وذكر اسم السلطان الكلوى الشيرازى بعد اسم خليفة المسلمين العباسى .

هذا الى جانب ارسال المال الى خزانة كلوة التى كانت تشن الحروب على القبائل الافريقية الوثنية فى الداخل لايقاف غاراتها ولادخال الاسلام ونشره وسط هذه القبائل.

والخلاصة ان الشيرازيين عندما قدموا الى هذا الساحل لم يعلنوا حربا على المدن والجزر العربية التى تأسست قبل مجيئهم بقرون بل ساروا جنوب هذه المدن والجزر وأسسوا دولتهم .

واصبحت هذه المدن والجزر تعترف بسيادة كلوة الاسمية فضلا عن العلاقات التجارية المتبادلة بينهم - هذا الى جانب الدعاء لسلطان كلوة بعد الخليفة فى بغداد لان سلاطين كلوة انفسهم لم يتحملوا لقب خليفة وهذا يدل على انهم كانوا يخضعون بشكل أو بأخر للخلافة العباسية .

وهكذا اصبحت المدن والجزر الساحلية تقدم الدعم والمال اللازم لامبراطورية الزنج التى تحمى ظهورهم فضلا عن بعث الحضارة الاسلامية ونشر الدين الاسلامى وسط القبائل الافريقية الوثنية فى داخل افريقيا .

وقويت بذلك علاقات جزر القمر والمدن الاخرى بكلوة . وكانت جزر القمر من الجزر الساحلية التى لجأ اليها امراء كلوة بعد ذهاب ريحهم وانهيار دولتهم - وقد سبق الحديث عن ذلك فى المبحث السابق.

خصال مشتركة بين المدن الساحلية :-

تشترك مدن وجزر ساحل شرقى أفريقيا فى علاقات مميزة تكاد تشكل وحدة جذرية مشتركة ومترابطة • وتتمثل هذه - العلاقات فى الاتى :-

اولا - الاسلام :-

ذلك أن جميع مدن وجزر الساحل الشرقى للقارة تنتمى الى الاسلام - فاصبح الدين يمثل رباطا قويا لشعوب هـــذه المنطقة • فهذه وحدة العقيدة •

ثانيا - وحدة المذهب :

شعوب شرقى ساحل أفريقيا كلها تعتنق الاسلام وعلـى المذهب الشافعى السنى • ذلك المذهب الذى اتى به الاخـوة السبعة فى بداية القرن التاسع الميلادى ٨١٣م[(١)] الثانـــى الهجرى •

وانتشر هذا المذهب بسرعة على جميع المدن والجـزر الساحلية • وهذا يدل على سهولة التنقل والاتصال بحرا بين - هذه الشعوب •

ثالثا - الطبائع والعادات المتشابهة :

يبدو تشابه العادات فى أوجه عديدة سردها هنا سوف يطول - ولكن لقد شاهد الباحث نماذج من هذا التشابه فـى عادات الناس من مأكل ومشرب وتزاور وتراحم ونحوها وذلـك عند زيارته لزنجبار وممباسة العام ١٩٩١•

---

(١) see W.H.Ingrams.op.cit.p77.

رابعا - فنون العمارة :

تكاد تتشابه مدن وجزر القمر وزنجبار وماليندى وممباسة وغيرها من هذه المدن الساحلية فى فنون العمارة والبناء •

وطريقة العمارة يتم بواسطة استعمال الحجر والجص الابيض • ومازالت هذه الطريقة متبعة مع ادخال بعض التعديلات لمواكبة التطور العمرانى العصرى • وهى طريقة متماثلة بالطابع العربى والشيرازى •

وفى مجال بناء الاكواخ تستعمل شعوب هذه المنطقة سعف الجوز الهندى والاخشاب وبشكل يكاد يكون متشابها بين جزر القمر والمدن الساحلية الاخرى - وهذا يؤكد ان - عوامل الحضارة الطارئة على هذا الساحل كانت تؤثر فى جميع مدنه و جزره •

خامسا - وحدة الغذاءات :

وهذه الميزة تجدها من مقديشو حتى سفالة - أى كل المدن الساحلية تتفق فى غذاءاتها بشكل كبير وشعوب هذه المنطقة مثلا تجعل الموز الاخضر غذاءا رئيسيا وذلك بالقيام بطبخه مع - اللحم أو السمك باضافة زيت الجوز الهندى وبعض البهارات • كما يجوز ايضا عندهم اشوائه مع اللحم بالزيت •

هذا الى جانب اعتبار الارز مع مرقة اللحم او السمك غذاءا رئيسيا لا يمكن الاستغناء عنه - كما يجوز خلط الارز باللحم وبعض البهارات المختلفة لاخراج " ارز البريان " وهذا اسمه عندما يخلط الارز بهذه الطريقة - وهى طريقة هندية دخلت الى المنطقة مع دخول الهنود اليها عبر القرون المختلفة •

الـزى التقليدى :

تلبس المرأة القمرية فوق فستانها الحجاب الاسود كما تلبس نساء المدن والجزر الساحلية الاخرى فى " زنجبار " و " باته " و " ماليندى " و " لامو " كزى قومى - ويلبس الرجل القمرى الجلباب المزخرف مع الازار أو السروال وفوقه عباءة أو جبة أو بدلة وعلى راسه طاقية مزخرفة • ويشبه كلا من الزى القومى النسائى والرجالى القومى القمرى الزى الزنجبارى والممباسى القومى وسائر المدن الساحلية •

سابعا - تشابه القاب الملوك ورؤساء القبائل:

كانت القاب رؤساء القبائل الافريقية لمدن والجزر الساحلية تعرف بأسم " مافى "(١) و " مابيجا " و "موينى مكو " وغيرها - كما انتشرت القاب اخرى بعد ظهور الاسلام كألقاب " شيخ " " مشايخ " - و " امام " و " سلطان " الى جانب تلك الالقاب الاولى •

وكل هذه الالقاب استعملت فى جزر القمر حتى نهاية النظام القبلى القمرى (٢) بوقوع البلاد تحت الاستعمار الفرنسى - ومازالت أثار هذه الالقاب تستعمل فى البلديات القمرية عند انتخاب شيوخ القرى اذ يأخذون لقب " شيخ "•

ثامنا - اللغة :-

على الرغم من أن اللغة السواحلية اصبحت لغة مدن الساحل والاراضى الداخلية لشرقى أفريقيا كينيا ويوغندا وبورندى ورواندا وحتى زائير وهى لغة التفاهم والتجارة لشعوب شرقى أفريقيا - الا ان المدن الساحلية لهانغمة خاصة تسمى نغمة زنجبار أو سواحلية زنجبار •

وتمتاز سواحلية زنجبار بأدائها بشكل يعطيها نغمتها الخاصة وهدوءها وثراء كلماتها العربية التى يجعلها فعلا مختلفة بعض الشىء عن سواحلية البلاد الداخلية التى تحتوى على مفردات كثيرة من لهجات عدة من القبائل الافريقية القاطنة داخل شرقى افريقيا •

---

(١) seeMichael F.Lofchie; Zanzibar background to revolution (London & Nairobi - Ox-Ford-Univ. 1965) pp. 38-39.

(٢) انظر المبحث السابق من هذا الفصل •

وجزر القمر تمتاز بأن لها لغة خاصة بها تختلف عن اللغة السواحلية - غير ان هذه اللغة القمرية يفهمها - الزنجباريون وسكان المدن الساحلية الى حد ما - كذلك يفهم القمرى السواحلية الزنجبارية بدرجة ما ايضا بينما يواجـــه بعض الصعاب للتفاهم مع شعوب الداخل الناطقة بالسواحلية •

ويرجع ذلك الى ثراء اللغة القمرية بالكلمات العربية وتقارب المسيقى اللغوية القمرية بالمسيقى الزنجبارية - حـــتى اصبح بأمكان القمرى بلغته القمرية اجراء معاملته التجاريـــة فى بلدان الساحل دون حاجة الى مترجم •(١)

ورغم عدم وجود اشارات فى المصادر والمراجع حول - الظواهر العامة لجزر القمر واكتسابها لغة متفردة - لا هـــى ملجاشية ولا هى سواحلية صرفه الا انه يمكن الترجيح الـــى ان عدم توحيد لغة جزر القمر بالسواحلية هو انتشار مفردات معتبرة من الملايو - اندونيسية والملجاشية فضلا عن العبريـــة فى تكوين اللغة القمرية •

فى الوقت الذى يبدو ان لهجات الملايو لم تؤثر فى مدن الساحل الاخرى شمال جزر القمر الا فى حدود المصطلحات التجاريـــة والتى ربما صارت قمرية بمرور الزمن •

---

(١) توجد خلافات واضحة فى النظم التصريفية والنحوية بين القمرية والسواحلية عموما • اما مدى التفاهم الذى يحدث والذى نقصد به هنا هو الكلمات الحضارية كالمفردات البسياسية والتجارية ونحوها • وقد سبق وأن وضحنا ان القمرية اخذت من السواحلية والملجاشية فضلا عن العربية والشيرازية والاسرائلية • وهذا جعلها لغة قائمة بذاتها وليست لهجة من لجهات السواحلية • وحتى لو كانت لهجة فى يوم ما الا انها بمرور الزمن استقلـــت بنظمها وقواعد واصواتها • مثلما حدث للسامية واستقلت منها العربية والعبرية وغيرها • وكلها حملت اسم لغة لما تحتويهـا من نظام صرفى ونحوى • وقد سبق بيان ذلك فى ص ٣٦ .

اذ يبدو أن جزر القمر بموقعها الممتاز على مضيق موزمبيق كانت الجسر الذى عبرت به التجارة الملايوية الصينية والملجاشية الى تلك المدن الساحلية فاكتسبت جزر القمر من خلال ذلك هذا الخليط اللغوى الثر من المفردات السواحلية والملايوية فضلا عن العربية والافريقية والشيرازية وقد سبق الاشارة الى ذلك •

والواقع لايمكن اعتبار هذه الصفات المشتركة محض صدفة • بل لابد من الترجيح ان تجاور هذه المدن والجزر مع بعضها البعض جعل ثقافتها تؤثر فى بعضها البعض كما كانت تتجاوب مع التأثيرات الخارجية التى تطرأ على المنطقة •

فأحيانا من داخل القارة مثل قدوم البانتو - واحيانا من الشمال الشرقى مثل مجىء العرب قبل وبعد الاسلام واحيانا اخرى من الجنوب الشرقى مثل مجىء شعوب الملايو - اندونيسية الى مدغشقر ومنها الى جزر القمر والمدن الساحلية •

العلاقات القمرية الزنجبارة الخاصة :

مع كل هذا التشابه والتوحد فى الديانة والعادات ومختلف المظاهر الحضارية والثقافية لمدن وجزر ساحل شرقى أفريقيا • ـ الا ان هناك خصوصية فى العلاقات بين جزر القمر وزنجبار وتتمثل هذه العلاقات الخاصة فى :

١ـ الهجرة القمرية الى زنجبار:

سادت فى القمريين روح المغامرة فى ركوب البحر •[(١)] هذه الروح نشأت بسبب وقوع بلادهم فى خليج موزمبيق ـ ذلك الموقع الهام الذى يجعل جزر القمر تتحكم فى اهم طرق الملاحة الدولية وهم على هذا الموقع من المحيط الهندى كانوا ولا يزالون من الامم البحرية •

وكان القمريون يهاجرون الى مدغشقر جنوبا والى زنجبار وماليندى شمالا •[(٢)] وفى زنجبار كونوا اسر كبيرة واصبح بعضهم وزراء مع قيام سلطنة آل بو سعيد العمانية فى زنجبار•[(٣)] فى القرن التاسع عشر الميلادى عام ١٨٤٠•[(٤)]

ويكاد من شدة اختلاط الاسر القمرية بالزنجبارية واقامة القمريين بها ان يقول كل واحد فى جزر القمر خصوصا القمر الكبرى ان جدى أو جد أبى أو أمى فى زنجبار أو كان فيها وله اولاد هناك•

وهذا هو الذى قاد أحد الكتاب القمريين الى القول ـ " ان زنجبار هى فى الواقع الجزيرة الخامسة للقمر بالرغم من بعدها بعض الشىء شمال القمر • ذلك أن كل أسرة فى زنجبار اذا لم تكن تنتمى لعمان فانها بالتأكيد تنتمى الى القمر" •[(٥)]

وكثيرا ما نشأت مصاهرات بين الاسر القمرية والعربية فى زنجبار • واصبح كل من العرب والقمريين يمثلون الطبقة الارستقراطية ويحتلون المناصب الوزارية فضلا عن القضاة•[(٦)]

---

(١) مخطوطة برهان مكيلى ص• ٥١•(٢) نفس المخطوطة السابقة ص٢١•

(٣) نفس المخطوطة السابقة ص ٥١ •

(٤) د• السيد رجب حراز : افريقية الشرقية والاستعمار الاوربى • دار المعارف القاهرة ١٩٦٨ ص ٩٦•

(٥) Mohamed Hassan :Histoire des Comores(Paris 1982)p. 89.

(٦) مخطوطة برهان مكيلى ص ٥١•

ويقول أحد الكتاب [١] " أن القمريين خدموا دولة زنجبار السعيدية بخدمات جليلة . فوظائفهم كانت من القضاء الشرعى الى الجندية . ومن رجال القضاء الشيخ العلامة محمد فرج من مدينة " اكونى " بالقمر الكبرى . كان قاضيا فى " دونجة " احدى توابع زنجبار - ايام السيد سعيد . والشيخ احمد بن سالم كان قاضيا فى مدينة " زنجبار " ايام السيد ماجد ابن سعيد . وغيرهم كثير .[٢]

العلاقات الثقافية :

كانت زنجبار قد أصبحت مدينة المال والتجارة تجذب العالم منذ أن نقل السيد سعيد عاصمة سلطنة عمان من مسقط الى زنجبار عام ١٨٤٠ وكان الى جانب شهرتها التجارية شهرتها العلمية فى اللغة والادب والعلوم الشرعية .[٣]

ومع انتشار علوم القرآن والشريعة واللغة العربية فى جزر القمر الا أن السلطنات القمرية درجت على ارسال ابنائها الى زنجبار لنيل هذه العلوم التى تطورت فى عهد الدولة السعيدية .[٤] هذا الى جانب الرحلات القمرية الفردية من القمر الى زنجبار .

وهناك من هاجر الى زنجبار وهو عالم علامة من امثال الشيخ منصب بن على الذى كان يعلم القرآن والعلوم الشرعية فى بلدته بمرونى ثم هاجر أيام السيد ماجد بن سعيد[٥] واقام المواعظ والدروس فى جامع زنجبار . وعندما علم السيد ماجد امره عينه قاضيا لمدينة زنجبار وكان اول رئيس لجمعية أهل السنة والجماعة الزنجبارية التى تأسست فى سبعينات من القرن التاسع عشر .[٦]

---

(١) مخطوطة برهان مكيلى ص ٥٤ . (٢) نفس المخطوطة السابقة ص٥٤ .
(٣) مخطوطة السيد عدنان المحاج بالمتحف الوطنى بزنجبار ص١٣ .
(٤) مخطوطة برهان مكيلى ص ٥٣ . (٥) نفس المخطوطة السابقة ص ٥٤ .
(٦) مخطوطة برهان مكيلى ص ٥٤ .

العلاقات السياسية :

تركزت العلاقات السياسية فى عهد سلطنة زنجبار على الود والاخاء وتبادل السفارات والبعثات بينها وسلطنات القمر.(١)

ويبدو أن القمريين المقيمين بزنجبار شجعوا السيد سعيد بضم جزر القمر وانهاء الوضع الاقطاعى والقضاء على الحروبـــات التى تقوم بين الحين والاخر فى تلك البلاد .

وربما شعر السيد سعيد بأن الفرصة قد حانت عندمـــا آل عرش جزيرة موهيلى الى امراة شابة هى " جومبى فاطمـة " عقب وفاة ابيها " رومان تيكا ".(٢)

وفى عام ١٨٥٠ (٣) ارسل السيد سعيد هدايا مـــن المجوهرات النادرة الى ملكة موهيلى وبصحبة هذه البعثة ابـن له يدعى محمد ومعه بعض كبار بلاط زنجبار - وذلك لتزويـــج الامير محمد من الملكة الموهيلية الشابة .

ويبدو ان عدة مراسلات كانت قد تمت بين سلطنة زنجبار وسلطنة موهيلى قبل قدوم الامير ـ لانه بوصوله تمت مراسم الزواج.(٤)

ولكن بعد وفاة السيد سعيد (١٨٥٦)(٥) كانت انجلترا قد كشفت النقاب عن اطماعها فى زنجبار . ثم بدأت الخلافـات بين الاخوين ماجد وبرغش حول عرش زنجبار .(٦) ومن ناحيـــة اخرى كانت قد نشبت خلافات حادة بين ماجد الذى اصبح سيـــد زنجبار وبين أخيه ثوينى سيد مسقط حول الوضع القانونى لزنجبار.(٧)

وتمكنت الامبريالية البريطانية من فصل زنجبار عن مسقط أو بالاحرى فصل الشاطىء الاسيوى العربى عن الشاطىء الافريقى الشرقى ابريل سنة (١٨٦١).(٨)

---

(١) مخطوطة برهان مكيلى ص ٥٤.

(١) مخطوطة السيد عدنان المحاج ص ٦٧. (٢) سيأتى الحديث عن هذه القضية فى مكان آخر.

(٣) Flobert,Bertand: op. cit.p p. 235 - 236.

(٤) Mohamed Hassan: op.cit. p. 99.

(٥) د. السيد رجب حراز : افريقية الشرقية والاستعمار الاوربى ص١١٤.

(٦) انظر السيد رجب حراز : المرجع السابق ص ١١٨.

(٧) السيد رجب حراز المرجع السابق ص ١٢٠.

وكان المجلس السلطانى لسلطنة موهيلى الذى يضم رؤساء العشائر وشيوخ المدن [١] ينظرون الى الامير محمد باعتباره زوجا لملكتهم وليس حاكما - لان القرار الاخير يتخذه هذا المجلس بموافقة الملكة .

الا ان الامير محمد لم يصبح زوجا كما كان يريده البلاط الموهيلى بل اصبح يتدخل فى القرارات ومسيطرا على كل شىء - حتى انه جعل كبار الموظفين والوزراء من زنجبار . واصبح المجلس السلطانى الموهيلى جسدا لا روح له ولا حركة . واستنكر ذلك النبلاء الموهيليون وعملوا على ابعاد الامير محمد الزنجبارى. [٢]

وفى عام (١٨٥٩) تم ابعاد الامير من جزيرة موهيلى وتبع ذلك طلاقه من الملكة . [٣] وكانت زنجبار فى هذا الوقت تعانى من مشاكلها بسبب النزاع الذى نشب بين ماجد وثوينى - وهو النزاع الذى اشار اليه الباحث قبل قليل - وان الامبريالية - البريطانية استطاعت تنفيذ اهدافها بانتهاج سياستها الاستعمارية " فرق تسد " لفصل الشاطئين العربى والافريقى لتسهيل تفتيت وحدة الامة الواحدة حتى تتمكن من وضع يدها على هذه البلاد واستعمارها .

الجدير بالذكر ان فصل زنجبار عن مسقط ١٨٦١ كان احد اسباب توقف الهجرة العربية من الخليج الى شرقى افريقيا التى لم تنقطع منذ ميلاد التاريخ .

وبعد ابعاد الزنجباريين من موهيلى اخذ النفوذ الفرنسى يقوى فى هذه السلطنة .

وكانت المحاولة الثانية لضم جزر القمر الى زنجبار - هى عندما وضحت ان سلطنة هنزوان اوشكت على الوقوع فى يد فرنسا -

---

(١) Flobrt, Bertrand :op.cit.p. 257 .

(٢) Ibid :p. 257 .

(٣) Ibid :p. 259 .

إذ وقفت زنجبار تدعم سياسة انجلترا فى هنزوان • وسوف نرى ذلك فى موضع آخر •

والمحاولة الزنجبارية الثالثة لاخضاع القمر كانت عن طريق دعم زنجبار للسلطان موسى فوم ضد سيد على التى وقفت معه الحكومة الفرنسية • وسنرى هذا ايضا فى غير هذا المكان •

وتظهر المحاولة الثانية والثالثة انياب الامبريالية البريطانية • لان زنجبار فى الثمانينات من القرن الماضى كانت قد وقعت بالفعل تحت النفوذ البريطانى •

الفصل الثاني

الاحتلال والاستعمار الفرنسي

المبحث الاول

احتلال مايوت

المبحث الثاني

احتلال هنزوان

المبحث الثالث

احتلال موهيلي

المبحث الرابع

احتلال القمر الكبرى

مراحل الزحف الفرنسى على جزر القمر :

كانت فرنسا قد فقدت جزيرة موريشص التى كانت تعرف بأسم " ايل دى فرنس " "Ile de France"وذلك عقب معاهـدة باريس الاولى ٣٠ مايو ١٨١٤[(١)] بعد هزيمة نابليون بونابـرت ونفيه الى البا ثم الى جزيرة سنت هيلانة فى المحيط الاطلسى على اثر محاولته لاعادة العرش .[(٢)]

وآلت " موريشص " الواقعة جنوب شرقى جزر القمـر و " سيشل " "Sychelles"الواقعة شمال شرقى القمر - وغيرهـا من الجزر التى كانت فى يد فرنسا الى انجلترا ولم تبقى لفرنسا فى هذا المحيط سوى جزيرة " رينيون "[(٣)] المعروفة بأسم - البربون " ايضا والواقعة جنوب جزيرة موريشص .

ولكن فرنسا لم تكن لتقبل بذلك الوضع وابعادها عن السواحل والمياه الهندية الدولية . وبدأت تتحرك لاعادة مجدها العسكـرى والاستعمارى وللوقوف ندا ضد منافستها بريطانيا .

ولكى نعرف مراحل الزحف الفرنسى على جزر القمر واستعمارها بدقة ينبغى ان نعرض جزيرة فجزيرة لان - كل سلطنة كانت تـبرم اتفاقياتها وتعقد معاهداتها بانفراد باعتبارها سلطنة مستقلة وهـذا ماسوف نعرضه فى الصفحات اللاحقة .

---

(١) شكرى : الصراع بين البرجوازية والاقطاع ١٧٨٩ -١٨٤٨ . المجلد الثانى . دار الفكر العربى ١٩٥٨ ص ٢١٢.

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٤ و ص٢٢٥.

(٣) المرجع السابق ص ٢١٣.

المبحـــث الاول

احتـــلال مايـــوت

١- احتلال مايوت :

كانت جزيرة مايوت تابعة لسلطنة هنزوان منذ وقت سابق كما سبق الذكر فى غير هذا المكان • وكان السلاطين الهنزوانيون هم الذين يقومون بتعيين امراء مايوت من البيت الاميرى لمايوت•(١)

وكان السلطان علوى والد السلطان عبدالله الاول قد عين الامير " بوانا كومب " من البيت الاميرى المايوتى • وكان هذا الامير من أحفاد " بوانا فوم "(٢) الذى قدم من القمر الكبرى وبنى مجده فى امارة مايوت(٣) وقد سبق الحديث عنه فى الفصل السابق •

ولكن يبدو أن السلطان عبدالله الاول عندما تسلم زمام الامور فى سلطنة هنزوان لم يشعر بالاطمئنان للامير " بوانا كومب " وخشى أن يستقل بالامارة كما حدث عدة مرات فى الماضى فقام بتعيين " اندريا سولى " السكلافى عام (١٨٢٢) الذى كان تحت يده بعد أن لمس السلطان فى هذا الامير المدغشقرى الولاء التامللسلطنة فضلا عن اسلامه •(٤)

ولقد قام الامير " سولى " بمساعدة السلطان عبدالله فى حربه ضد " رمان تيكا " الملجاشى عام (١٨٣٦) عندما استولى هذا المغتصب على امارة موهيلى•(٥)

كذلك أثبت اندريا سولى "Andria Soule" ولاءه الكامل لسلطنة هنزوان والسلطان عبدالله الاول وذريته - عندما قام منذ هلاك السلطان عبدالله الاول ١٨٣٦ بدعم حق ابنه علوى فى السلطنة(٦) غير أن عمه سالم استطاع بدهائه أن يستولى على السلطنة عام (١٨٤٠)•(٧)

---

(١) Guy Paul: Mayotte et les Comores ; 1848-1960 (sans date s.l.) p. 30 .

(٢) Ibid; p.30.

(٣) مخطوطة برهان مكيلى ص ٣٢•

(٤) Verrin Pierre: Guerres civilles comoriennes .(Paris 1981 p. 188.

(٥) شكيب ارسلان• حاضر العالم الاسلامى• المجلد٣ ص١٥٥•الحلبى القاهرة ١٣٥٢هـ•

(٦) نفس المرجع السابق ص ١٥٥•

(٧) Allibert,Claude: Histoire de Mayotte avant 1841.(Paris 1977) p.78.

وكان استيلاء سالم على سلطنة هنزوان جعل الامير " سولى" يرفض الخضوع له بأعتباره مغتصب الملك.[١] ولم تكن الظروف الداخلية ودسائس البلاط الهنزوانى والمؤامرات فى هذا الوقت تسمح لسالم بأخضاع " سولى " أو عزلـه . فأستطاع الاخير أن يستقل بمايوت ويتلقب بلقب سلطان.[٢]

وكانت فرنسا منذ الثلاثينات من القرن التاسع عشر قد بدأت تعيد مكانتها كدولة كبرى واستطاعت أن تستولـى على الجزائر ١٨٣٠-[٣] هذا الى جانب رغبة فرنسا بأيجـاد مكان لها تحت سماء المحيط الهندى لتعويضها عن خسارتهـا بفقد " موريشص " هذا الى جانب الحاجة لموقع استراتيجـى فى منطقة المحيط الهندى تصلح أن تكون مرفأ للسفن التجارية والاساطيل ومكان للعمل فى المشاريع الاستعمارية فى المنطقـة لمواجهة انجلترا فى هذه المياه.[٤]

ووضع تنفيذ هذه المشاريع فى يد " جيزو " (١٨٤٠-١٨٤٨) وزير الملك لويس فيلب . والذى احتفظ ايضا بمنصب وزيـر الخارجية الفرنسية.[٥] وصرح أمام البرلمان الفرنسى بأن علـى فرنسا فى سبيل مجدها ان تحتل أقاليم ومستعمرات واسعة مـن الاراضى للتجارة واستراحة السفن والملاحين والرحالة الفرنسيين.[٦] ونتيجة لذلك قامت فرنسا باحتلال " نوس بى " فيما بين(١٨٣٩-١٨٤٠) - وهى جزيرة فى شمال مدغشقر . واقاموا فيها حاميـة[٧] عسكرية .

وكان فى يوليو من عام (١٨٣٩) قد قام الكابتن البحرى - الفرنسى " باسو " بزيارة الى مايوت وهنزوان وموهيلى.[٨] واستطاع أن يطلع على أهمية الجزيرة واستراتيجيتها .

---

(١) Allibert,Claude:op.cit. p.78 .

(٢) Faurec,Urbain,Manicacci,Jean: Histoire de l'Ile de Mayotte (Madagascar 1971) p.126 .

(٣) Allibert,Claude;op.cit.p.80

(٤) Jean Martin:Comores,quatre iles...vol.2.op.cit.p.69.

(٥) Jean Martin:op.cit. p.65 .

(٦) Flobert Thierry:les Comores,evolution juridique et socio-politique.(Paris 1976).p.155.
Fl

(٧) Flobert Thierry.op.cit.p.159

(٨) Doc. no. 233-3/1840 .(CNDRS.Centre National de Documentation et de Recherche Sientifique - Moroni)P.4.

ويبدو أن الفرنسيين رأوا أن يبدأوا زحفهم على مايوت لقربها من مركز حاميتهم فى " نوس بى " وحكومة " رينيون " الفرنسية • فكانت الزيارة الثانية اغسطس عام (١٨٤٠) التى قام بها الكابتن " باسو " والكابتن " جاهين " الى مايوت على السفينة "Grovette" (١).

واستطاع " باسو " و " جاهين " دراسة المواقع الاستراتيجية لجزيرة مايوت • (٢) وكان حاكم جزيرة " البربون " أو " رينيون " الادميرال " هيل " "Hell" قد طلب من " باسو " أن يعمل على التمهيد لعقد معاهدة مع السلطان " اندريا سولى " • وذلك بطلب من وزير البحرية الفرنسى الذى طالب فى خطاب ارسله الى حاكم جزيرة رينيون فى بداية العام (١٨٤٠) بضرورة احتلال هذه الجزيرة بأسرع وقت ممكن • (٣)

وكانت تقارير الملاحين الفرنسيين قد اوضحت منذ عام (١٨٣٩) ان ميناء الجزيرة امين وطويل وان احتلالها سوف يعوض خسارة جزيرة " موريشص " فضلا عن مراقبة سياسة انجلترا فى جزيرة هنزوان • (٤)

معاهدة ابريل ١٨٤١:

كانت التقارير الاولية التى ظهرت عام ١٨٤٠ قد شجعت الادارة العسكرية فى " نوس بى " وحكومة " رينيون " الفرنسية على أن يقوم " باسو " و " جاهين " بالعودة الى مايوت وهم يحملون معاهدة جاهزة للاتفاق مع السلطان " سولى " على وضع الامارة تحت الحماية الفرنسية • (٥)

---

(١) Doc. no. 233-3/1840. p. 5(CNDRS).

(٢) Jean Martin: op.cit. p. 66 .

(٣) Doc.no.233-3/1840. p. 7. (CNDRS).

(٤) Guy Paul. op.cit. p.54 .

(٥) Herve Chagnoux; les Comores (Paris 1990) p. 85.

وكان اخطر ما فى المعاهدة هو تنازل السلطان " سولى " عن جميع املاكه فى الجزيرة للفرنسيين على ان يدفعوا له (١٠٠٠) ريال سنويا.(١) فكانت هذه المعاهدة بمثابة عقد بيع مايوت ممن لا يملك حق إلى قاهر وسالب ارادة الشعوب بالقوة والجبروت .

وتم التوقيع على هذه المعاهدة الخبيثة بين السلطـــان " سولى " والكابتن " باسو " والسلطان جاهل تمام الجهل عـــن نصوص المعاهدة . وذلك فى (٢٥ ابريل ١٨٤١).(٢)

وكان اعلان شروط المعاهدة ان احتج المواطنون المايوتيون على ضياع أرضهم وذهاب استقلال جزيرتهم .(٣) الا أن فرنسا اتخذت سياسة تهدئة أعصاب المايوتيين - وذلك بالقيام بتوزيع الاراضى على الاعيان ليقفوا امام اداعاءات هنزوان.(٤)

وكانت بريطانيا قد بدأت تشجع السلطان سالم ليحتج بشدة ضد فرنسا (٥) بأعتبار " سولى " ليس له حق التصرف القانونى أو عقد اية اتفاقية بشأن مايوت بدون هنزوان صاحبة الحق الشرعـــى والقانونى على الجزيرة .(٦)

كذلك احتج السلطان علوى المخلوع المنفى فى موريشص - ولكن احتجاجاتهم ذهبت فى مهب الريح ولم تبال بها فرنسا -(٧) ومـــات علوى عام ١٨٤٢ فى منفاه بموريشص (٨) وحقوقه فى هنزوان ومايـوت تركت لابنه البالغ من العمر ٣ سنوات .(٩)

وكان سيد عزة وهو أمير هنزوانى سابق نفى الى موريشـــص - قد طلب من حكومة " البربون " مساعدته لخلع سالم عن عرش سلطنة هنزوان على ان لايعترض على احتلال فرنسا لمايوت . غير أن سالمـا عندما علم بتلك المحاولات سحب احتجاجاته فى فبراير من عام ١٨٤٣ للحفاظ على عرشه .(١٠)

---

(١) Ymadoudine Hamidouni: le Probleme de Mayotte (Maroc 1987) p.47 .

(٢) Doc.no. 1283-6/1841.(CNDRS) p.19

(٣) Jean Martin: op.cit. p. 67 .

(٤) Hodhoaer Inzoudine: l'Affaire de l'Ile de Mayotte.(Maroc 1983) p.70

(٥) Jean Martin: op.cit; p. 68 .

(٦) Hodhoaer Inzoudine: op.cit. p. 72.

(٧) Jean Martin: op.cit; p. 68.

(٨) شكيب ارسلان. حاضر العالم الاسلامى . المجلد ٣ - ص ١٥٥ . الحلبى القاهرة ١٣٥٢هـ

وطلب وزير البحرية الفرنسى بسرعة اعلان الحماية على مايوت لايقاف الاطماع البريطانية فى هذه البلاد.[1]

أعـلان الحمايـة :

كان جيزو وزير البلاط قد كتب الى وزير البحريـــة بضرورة مراعاة حقوق المدنيين.[2] وصرح وزير الخارجية بـــأن التوقيع على المعاهدة لايكفى بل يجب العمل على القضاء علـــى هولاء الرؤساء الهمج بأسرع وقت ممكن.[3]

وفى فبراير من عام (١٨٤٣) وقع الادميرال وزير البحرية الفرنسية " روسن " "Rossin" معاهدة (٢٥ ابريل ١٨٤١)[4] وفى الشهر نفسه أرسل الادميرال " بزوش " "Bazoche" الذى خلف الادميرال " Hell" على حكومة " رينيون " سفينتين حربيتين الى " متسامود " عاصمة هنزوان لحصارها.[5]

وامام هذا الحصار الذى قاده الكومندان " فافن لى فك " "Favin l'Eveque" خضع السلطان سالم لمطالب فرنسا وهى عدم مطالبته بأية حقوق فى مايوت.[6]

وكان " باسو " قد أرسل ومعه (٢٩)[7] رجلا من الفرنسيين لاتمام سياسة اعلان الحماية.[8] وفى هذا الاثناء قام " باســو " بأعطاء السلطان " سولى " مع ابنيه نقودا ليغادروا الجزيرة الى رينون.[9]

وفى (١٣ يونيه ١٨٤٣)[10] تم اعلان الحماية ودخول القوات الفرنسية الى مايوت واحتلالها.[11]

---

(١) Doc.no. 1306-3/1843. p. 18. (CNDRS).

(٢) Doc.no. 1306-3/1843. p.19 . (٣) Doc.1306-3/1843.p.19.

(٤) Jean Martin: les Debuts du Protectorat aux Comores(Paris 1973) pp. 144-145.

(٥) Doc.no. 1307-4/1843. p.25. (٦) Doc.no. 1307-4/1843.p. 25 .

(٧) Jean Martin: les debuts du protectorat aux comores.op.cit. p.145.

(٨) Jean Martin. op.cit. p. 146.

(٩) Guy Paul: Mayotte et les Comores. op.cit. p. 56 .

(١٠) Doc.no. 1307-4/1843. p.28. (١١) Doc.no. 1307-4/1843.p.29.

وفى أكتوبر (١٨٤٥) مات السلطـــان سولـى مهمومـا فى رينون • وحاول ابنـه استرداد الجزيرة ولكنه فشل •[١]

---

(١) Ymadoudine Hamidoni: op.cit. p. 53 •

المبحث الثاني

احتلال هنزوان

احتلال هـنزوان :

كان اعلان فرنسا حمايتها على جزيرة مايوت انذارا بأن بقية الجزر وشيكة الوقوع فى حبائل الامبريالية الفرنسية وكانت الاوامر قد صدرت فى اغسطس (١٨٤٣) من " Bazoche" " بازوش " حاكم رينون الى الكومندان " فافن لى فك " - "Favin l'Eveque" بالذهاب الى هنزوان للتوقيع مع السلطان سالم معاهدة حماية (١) واجباره بالقوة على سحب احتجاجاته ضد فرنسا باحتلالها مايوت • (٢)

ولكن سالم رفض التوقيع على معاهدة حماية مع الفرنسيين - ولكنه وافق على اقامة مبنى لاستقبال الجرحى والمصابين الفرنسيين فى حالة تعرضهم لاصابات فى مياه الجزيرة - كما وافق على عدم مطالبته بمايوت والتزامه الصمت • (٣)

التنافس البريطانى الفرنسى على هنزوان:

كانت بريطانيا تسعى منذ وقت سابق ايضا الى ضم هذه الجزر الاستراتيجية اليها - (٤) وكانت تتخذ من سياستها فى محاربة تجارة الرقيق ذريعة للتدخل فى شئون معظم البلاد التى استعمرتها باعتبارها سياسة لانقاذ الانسانية من القسوة والشدة والضياع والذلة (٥) مع أن بريطانيا هى زعيمة تجارة الرقيق واهانة البشرية فى العالم • قبل قيام الانسانيين البريطانيين بالنداء لانقاذ الانسانية المعذبة وهى تلك السياسة التى اتخذتها بريطانيا لتحقيق مصالحها الامبريالية • (٦)

وكانت انجلترا قد الغت تجارة الرقيق فى بلادها عام (١٧٧٢-١٧٧٤) (٧) وفى مستعمراتها فيما وراء البحار عام ١٨٠٧ وعام ١٨٣٤ (٨) وتمكنت فى الفترة من الاربعينيات من القرن التاسع عشر من اقامة علاقات طيبة مع السلطان سالم • خاصة وان انجلترا كانت قد ساعدته فى حربه ضد السلطان علوى ١٨٣٦-١٨٤٠ • (٩)

---

(١) Doc.no. 341-11/1843. (CNDRS)p.53 .

(٢) Jean Martin: les Debuts du protectorat aux Comores op.cit. p. 145 .

(٣) Flobert,B: Archipel des Comores(Moroni)p.350 (٤) Ibid;p.145.

(٥) انظر السيد رجب حراز : افريقية الشرقية والاستعمار الاوربى دارالنهضة ١٩٦٨ص ١٢٦

(٦) المرجع السابق ص ١٢٦ (٧) المرجع السابق ص ١٢٥ •

واستطاع الانجليز اقامة محطة فى هنزوان لمراقبة السفن العاملة فى تجارة الرقيق وذلك فى عام ١٨٤٤.(١)

وكانت تجارة الرقيق منتشرة فى هنزوان ولكن على نطاق اضيق مما كان عليه فى زنجبار وموريشص . وعملت انجلترا على عقد اتفاقية مع سالم عام ١٨٤٤ لالغاء تجارة الرقيق فى الجزيرة.(٢) كما وافق فى نفس العام على دخول قوة بريطانية الى بلاده لحراسة المحطة التى اقامتها بريطانيا لمراقبة السفن التى تحمل الرقيق أو تتاجر فيه .(٣)

غير ان الانجليز ادركوا ان احتلال فرنسا لمايوت يعنى قرب أخذهم هنزوان ايضا - وفى هذا الوقت عملت لندن عام (١٨٤٦) على اقامة قنصلية فى " متسامودو " وعين عليها المدعو " بالمرستون " " Palmerston " قنصلا الذى ظل بها حتى عام ١٨٤٨ ثم عاد الى وظيفته فى الخارجية البريطانية .

وعملت القنصلية البريطانية فى هذه الفترة على التقرب من السلطان سالم لمتابعة تنفيذ معاهدة ١٨٤٤ الخاصة بالغاء تجارة الرقيق والرق فى الجزيرة .(٤)

واستطاع القنصل " بالمرستون " خلال عامين ١٨٤٦-١٨٤٨ من عقد معاهدة سياسية مع السلطان بأن لايسمح لاية قوة اجنبية بدخول بلاده الا بموافقة بريطانيا . وكان المقصود بالقوة الاجنبية فرنسا المنافسة للسياسة البريطانية فى المنطقة .(٥)

وبدى أن بالمرستون استطاع اخضاع السلطان سالم للنفوذ البريطانى - واخذ الانجليز يوجهونه لمقاومة السياسة الفرنسية بشدة.(٦)

---

(١) Gevry,A: Histoire des Comores. (Paris 1970) p.252.

(٢) Jean Martin; les debuts du protectorat. op.cit.p. 148 .

(٣) Flobert,Bertrand: Archipel des Comores(Moroni sans date)p.314.

(٤) Jean Martin: op. cit. p148 .

(٥) Mohamed Hassan: Histoire des Comores(Paris 1982)p. 69.

(٦) Jean Martin:Comores;quatre iles....vol 2. (Paris 1983).p.139 .

وفى عام ١٨٤٨ تم تعيين " وليم سانلى " "W.Senly " قنصلا على القنصلية البريطانية فى هنزوان خلفا للقنصل السابق " بالمرستون " وظل " سانلى " "Senly" يشغل هذه الوظيفة زهاء خمسة عشر عاما .(١) ادرك من خلالها أهمية هنزوان التجارية والاستراتيجية .

وكان وليم ماكينون(٢) "William M." قد اقام مبنى تجاريا كبيرا فى " متسامود " عام (١٨٤٦) ضمن مشاريعه فى شرقى افريقيا . ووكل ادارة هذا المبنى للقنصل سانلى الذى كان قد حصل من السلطان على امتياز لادارة الاراضى الزراعية فى الجزيرة (٣)

واصبح نشاط " وليم سانلى " يقلق حاكم مايوت وطلب من باريس الاذن بالتدخل عسكريا فى هذه الجزيرة ولكن باريس رفضت أنذاك.(٤)

وفى اغسطس (١٨٥٥) توفى السلطان سالم وترك العرش لابنه الوحيد عبدالله الثالث البالغ من العمر (٣٦) سنه.(٥) ورأى السلطان عبدالله أن يغير من سياسة ابيه المتجهه نحو بريطانيا وبدأ السلطان الجديد يميل نحو فرنسا وذلك لمحاولة ايقاف النفوذ الأنجليزى وسيطرة " وليم سانلى " على الاراضى الزراعية (٦) الهنزوانية .

والسلطان عبدالله الثالث يلقب ايضا فى بلاده بالكبير (٧) وذلك لانه قام بأعمال كبيرة فى بداية حكمه فى سبيل تطوير الجزيرة وتنمية مواردها الاقتصادية والاخذ بأسباب التقنية الحديثة لتطوير السلطنة .(٨) هذا الى جانب شل وايقاف نشاطات الانجليز فى الاراضى الزراعية ومنح الاولوية لاهل البلاد فى الاستفادة منها .

وفى سبيل هذه الاهداف قام السلطان عبدالله الثالث باحضار مزارعيين وفنيين من " رينيون " و " موريشص " (٩) كما اقام مصنعا للسكر فى " بمباو " "Bambao" و " بومونى " "Pomoni". واقترض اموالا من بنك موريشص لتنفيذ هذه المشاريع الاقتصادية الحيوية .(١٠)

---

(١) Jean Martin:Comores,quatre iles ... op.cit.p . 149 .

(٢) هو انجليزى ويعتبر أحد بناة الاستعمار البريطانى فى شرقى افريقيا .

(٣) John,A: Histoire d'Anjouan .(Paris 1963) p. 86 .

(٤) John,A. op.cit. p. 87 .

(٥) Jean Martin: op.cit.p. 154 .

(٦) ibid. op.cit. p. 154 .

(٧) شكيب ارسلان . حاضر العالم الاسلامى . المجلد٣ . الحلبى القاهرة ١٣٥٢هـ ص١٥٥ .

(٨) John.A: op.cit.p.88 (٩) [illegible]

ومنذ عام (١٨٥٨) الى (١٨٥٩) كان قد اصبح واضحا ان السلطان قد انصرف عن بريطانيا واتجه نحو فرنسا.[١] ولم تنجح محاولات وليم سانلى لاعادته تحت النفوذ البريطانى • وهذا ادى الى ان يتقدم سانلى باستقالته عن منصبه عام (١٨٦٢) ولكن الخارجية البريطانية ارجأت قبول تلك الاستقالة - وفى الاول - من اكتوبر ١٨٦٥ وافقت وزارة الخارجية البريطانية استقالة وليم سانلى[٢] بعد ان ظهر جليا صعوبة تنفيذ سياسة بريطانيا بواسطة سانلى فى الجزيرة •

وفى عام ١٨٨٢ عملت بريطانيا على اجبار السلطان - عبدالله الثالث على توقيع معاهدة جديدة تضمن الغاء تجارة الرقيق والرق نهائيا فى الجزيرة •[٣] وخاف السلطان من هذا التهديد البريطانى الجديد وطلب مساعدة فرنسا • ووجدت الاخيرة الفرصة ثمينة • وسارعت للوقوف الى جانب السلطان الهنزوانى•[٤]

معاهدة الحماية :

فى الثلث الاخير من القرن التاسع عشر بدأت قوى اوربية اخرى كألمانيا وايطاليا تنزل الى منطقة شرقى افريقيا - وبدأت - تنافس القوى القديمة " بريطانيا وفرنسا " لتحصل على نصيبها من الاسلاب الاستعمارية • وكان ذلك ضمن الاسباب المباشرة التى ادت الى عقد مؤتمر برلين الدولى (نوفمبر ١٨٨٤ فبراير ١٨٨٥)•[٥] حتى يتم تقنين عملية التسابق على تقسيم الاسلاب •

واستطاعت المانيا ان تحتل تنجانيقا على الجانب الافريقى المواجه لجزر القمر • عقب الاعلان عن انتهاء اعمال مؤتمر برلين ١٨٨٥•[٦]

---

(١) Jean Martin:Comores quatre iles vol.2. op.cit.p.154

(٢) Ibid; p. 156.

(٣) Herve Chagnoux:les Comores.(Paris 1990).p.100 .

(٤) John,A: op.cit. p. 89 .

(٥) السيد رجب حراز • افريقية الشرقية والاستعمار الاوربى,النهضة العربية ١٩٦٨ ص ٢٨٧•

(٦) السيد رجب حراز - المرجع السابق ص ٢٨٨•

وتحركت باريس فى هذا الوقت وارسلت بعثة عام ١٨٨٦ لعقد معاهدة مع السلطان عبدالله الثالث وتحذيره من عقد اية معاهدة أو أتفاقية تجارية أو غيرها مع اية دولة أو جمعية أجنبية الا بموافقة فرنسا[١] وكان المقصود بالجهة الاجنبية فى المقام الاول انجلترا.[٢]

وكانت فرنسا قد أبدت رغبتها فى هذه الاثناء امام العالم فى ابطال تجارة الرقيق والرق فى الجزيرة.[٣] ومن جانب آخر كانت باريس قد أوحت الى حكومة مايوت الفرنسية بمنع ادخال أى نوع من الاسلحة الى هنزوان[٤] رغبة فى ايقاف المنازعات التى تنشب بين الامراء عند وفاة سلطان واستخلاف آخر على عرش السلطنة.[٥]

وفى ٢٦ مارس ١٨٨٦ كانت المعاهدة قد أعدت. وفى ٢٦ ابريل ١٨٨٦ وافق السلطان عبدالله الثالث على معاهدة الحماية.[٦]

ونصت المعاهدة على أن المسائل القانونية بين فرنسا والهنزوانيين سوف تتم مناقشتها عند الحاكم الفرنسى فى مايوت.[٧] وقطعت هذه المعاهدة النفوذ البريطانى فى الجزيرة نهائيا.[٨]

وفى ٨ اكتوبر من نفس العام استلم المقيم السياسى مهامه و استقبله السلطان فى قصره " بموتسامود "-[٩] وفى ١٥ من هذا الشهر كان الموظفون والعسكريون الفرنسيون يجتلون مواقعهم الى جانب المقيم السياسى.[١٠]

---

(١) Andre,Oraison: Histoire des Comores(Paris 1983)p.159.

(٢) Jean Martin: les debuts du protectorat aux Comores: op.cit; p. 157 .

(٣) Andre,Oraison: op.cit.p. 159 .

(٤) Doc.no. 351-57/1886. p. 63 .(CNDRS).

(٥) Doc.no. 351-57/1886. p.64. (CNDRS) .

(٦) Doc.no. 351-57/1886. pp.64-65 . (CNDRS).

(٧) Andre,Oraison: op.cit. p. 159.

(٨) Ibid; p. 159 .

(٩) Ibid; p. 163.

(١٠) Ibid; p.160 .

وفى ١٨٨٧ تمت الموافقة على اقامة مدرسة فى الجزيرة تديرها جمعية تبشيرية فرنسية . ورغم احتجاج الهنزوانيين من أن تكون المدرسة اداة لتنصير ابنائهم الا انها أسست فى موتسامود بموافقة السلطان ـ [1] وسوف نرى جانبا من المدارس الفرنسية فى فصل التعليم .

---

(١) Doc.no.351-57/1886. p. 68 .

المقاومة الهنزوانية :

ما أن اعلنت معاهدة الحماية ١٨٨٦ حتى ثارت الجماهير القمرية فى هنزوان على هذه المعاهدة • واعتقدت الارستقراطية الهنزوانية بأن السلطان انما اجبر على هذا التوقيع• وشجعت انجلترا سياسة المقاومة الهنزوانية ضد الحماية الفرنسية•(١)

وفى ابريل ١٨٨٩ قامت بعثة هنزوانية من النبلاء الى - كل من " تنجانيقا " والى " الكاب " وقابلوا القنصل الالمانى والقومسيير الانجليزى وذلك فى محاولة من هؤلاء المعارضين ان - يوضحوا للدولتين المانيا وانجلترا والرأى العام العالمى ان فرنسا انما فرضت على بلادهم هذه الحماية بقوانينها المرفوضة •(٢)

وتدخل المقيم الفرنسى لدى السلطان عبدالله وطالب بأعلان أمام قناصل الدول الموجودين فى المنطقة خاصة انجلترا والمانيا والولايات المتحدة الامريكية ان ما قام به اولئك المعارضون ينافى رضى السلطان وارادة الجماهيرية الهنزوانية •(٣)

ولم يكتف السلطان بهذا التصريح الذى تم تحت ضغط المقيم الفرنسى • بل سمح له بالتدخل فى الشئون الداخلية الا ما يتعلق بالشئون الاسلامية • هذا الى جانب موافقته على الغاء تجارة الرقيق والرق نهائيا فى بلاده •(٤)

غير ان المقاومة زادت حرارتها من جانب الارستقراطية الهنزوانية بسبب هذا الالغاء وحرمانهم من عبيدهم - مما جعل السلطان يتراجع ويصدر قرارا ببقاء هؤلاء مع اصحابهم مدة خمس سنوات على أن يتلقوا أجر الحر • غير أن اصحاب الرقيق طالبوا ايضا بمد المدة الى عشرة سنوات فثار العبيد بذلك•(٥)

وبدأ العبيد يتجمعون بمنطقة " بمباو " من الجزيرة - وظهرت بريطانيا فى هذا الوقت لتدعم ثورة العبيد ومقاومتهم وتشجعهم على دراسة معاهدة ١٨٨٢ الخاصة بالالغاء النهائى لتجارة الرقيق والرق نهائيا وبدون شروط•(٦) وهذا جعلهم ينظرون الى الانجليز بأنهم خير معين لهم على مايبدو•

---

(١) John,A: Histoire d'Anjouan.(Paris) 1963).p.96 .

(٢) Ali Haribou: Les Comores .(Moroni Comores) p.74 .

(٣) Anrde,Oraison: op.cit.p.163 (٤) Andre,Oraison:op.cit.p.163.

(٥) Jean Martin: op.cit.p.166. (٦)- A Ali Haribou:op.cit.p.77 .

وفى عام ١٨٩٠ كانت العلاقات بين المقيم المعتمد الفرنسى بهنزوان وحكومة السلطان عبدالله قد ساءت بفعل تحريض الارستقراطية الهنزوانية للسلطان [١] لتغيير سياسته مع فرنسا • ولكن فرنسا فى نفس العام قررت رفع العلم الفرنسى على مقر حكومة السلطان•[٢] وفى بداية عام ١٨٩١ كان حوالى ٤٠ من الموظفين الاخرين الفرنسيين قد وصلوا الى الجزيرة لتعزيز الوجود الفرنسى فى هذه السلطنة•[٣]

وفى هذا الاثناء طالبت حكومة مايوت الفرنسية من باريس بضرورة تغيير السلطان عبدالله لانه فشل فى ايقاف الاضطرابات والمقاومات التى يثيرها المواطنون [٤] - القمريون هناك •

وفى ١٧ يناير (١٨٩١) قام حاكم مايوت الفرنسى لزيارة هنزوان لتقصى الحقائق - واصطدم الحاكم برفض السلطان مقابلته • فضلا عن المقاومة الشعبية الرافضة للوجود الفرنسى فى الجزيرة - واعتقد الحاكم ان ضم هذه الجزيرة - يتطلب سنين طويلة •[٥]

ومالبث أن مات السلطان عبدالله فى بداية هذا العام وخلفه ابنه الاكبر سالم البالغ من العمر ٢٥ سنة - وكان يريد اعادة الجزيرة الى سيطرته الكاملة ويبعد كل أشكال الحماية الفرنسية •[٦]

بيد أن عمه سيد عثمان ثار عليه واجتمع له العبيد فى منطقة " بمباو " وانقسم الشعب • فالارسقراطية وقفت الى جانب سالم الذى بدأ يرضخ لمطالبهم بضرورة حماية البلاد[٧] من براثن هؤلاء المستعمرين • بينما العبيد والطبقة الوسطى وقفوا الى جانب سيد عثمان الذى يرى انه يدعو الى الديمقراطية الشاملة فى منح كل فرد من افراد المجتمع حقه •[٨] لكنه اظهر ميله للانجليز •[٩]

---

(١) Guy Paul:l'histoire politique des Comores(1978)p.287.

(٢) Doc.no.297-250/1891.p.44

(٣) Doc.no. 297-250/1891.p.44 .

(٤) John,A:op.cit.p.96 .

(٥) Guy,Paul:op.cit;p.287 .

(٦) Doc.no.297-250/1891.p.47

(٧) Doc.no.297-250/1891.p.46.

(٨) Gevry,A.op.cit.p.253 .

(٩) Adre,Oraison:op.cit.p.170.

وسادت الفوضى فى الجزيرة - ونظم سيد عثمان جيشة وبدأ يزحف على العاصمة " متسامود " ولم يكن لسالم جيش • فقد هربت جنوده الى سيد عثمان وآخرون اصبحوا ينهبون المدن والقرى •[1] فلم يبق معه سوى ٣٠٠ رجل بين حر وعبد وزع - عليهم الاسلحة •[2]

وادرك سالم ان هذا الجيش الضئيل سوف لاينقذه من الهزيمة الوشيكة • وفعلا فى مارس ١٨٩١ استطاع سيد عثمان ان يحتل قصر سالم فى منطقة " بمباو " ويعلن نفسه سلطانا وكون حكومته ومستشاريه وموظفيه من الانجليز •[3]

وفى هذا الوقت تدخلت فرنسا ببارجة حربية لايقاف تقدم نفوذ بريطانيا التى بدات تدعم سيد عثمان[4] وحاولت فرنسا فى هذه الاثناء اجبار المعارضين بالقبول على معاهدة الحماية ١٨٨٦• بيد ان الجماهير بدأت تصيح فى وجه الفرنسيين - " لانريد الحماية ولا المقيم نريد الانجليز •[5]

وفى غضون ذلك قام حاكم مايوت بتعيين الامير سيد عمر سلطانا على هنزوان •[6] وبوصول هذا الامير الى سلطنة هنزوان انتهى النظام الوارثى لسلطنة هنزوان •[7] لان فرنسا سوف تبدأ من الان بتعيين من تشاء وترضى به والذى يقبل الحماية •

وسيد عمر هو من أب هنزوانى وأم مايوتية - وكان صديقا حميما لفرنسا منذ احتلالها مايوت • وكان قد ترقى الى رتبة عسكرية عالية فى حكومة مايوت الفرنسية •[8]

وقد اتهمه البعض صراحة بأنه كان وراء التخطيط لضم هنزوان وبقية الجزر القمرية الاخرى•[9] فى حين تتفق اغلب المراجع عندما تتناول الرجل على أنه قدم خدمات جليلة لفرنسا•[10]

---

(١) Guy Paul.op.cit,p290. (٢) Doc.no.297-250/1891.p.44.

(٣) John,A:op.cit.p.98 . (٤) Doc.no. 297-250/1891.p.48 .

(٥) Ibid. p. 98. (٦) John,A:op.cit; p. 98 .

(٧) Mohamed Hassan:op.cit.p.200 (٨) Doc.no.297-250/1891.p.48.

(٩) Guy Paul:op.cit.p.290 . (١٠) Guy paul: op.cit.p. 285 .

وأصبح لهنزوان ثلاثة سلاطين وهم سيد عثمان المغتصب والمقيم بمنطقة " بمباو " ثم السلطان الشرعى المعزول سالم فى " موتسامود " واخيرا السلطان الجديد سيد عمر الذى عينته فرنسا سلطانا على الجزيرة .(١)

وكان السلطان المعزول قد نظم جيشا فى محاولة لاسترداد حقه المغتصب ولكن فرنسا ارسلت فى هذه الاثناء سفنها الحربية وهى تحمل افواجا من الجنود الى " موتسامود " ولم يستطع سالم المقاومة فوقع فى الاسر. كما الحق الفرنسيون الهزيمة بجنود سيد عثمان . وقبض عليه ايضا .(٢)

وفى ٢٠ يونيو ١٨٩١ نفى كل من سالم وسيد عثمان الى مايوت ونقل رجال المقاومة من الارستقراطية الهنزوانية الى " أبوك " ومنها الى نوفيل كالدونيا " NouvelleCaledonie "(٣)

وفى هذا الوقت أجريت مراسم تتويج السلطان سيد عمر بأقرار مجلس الشيوخ الهنزوانى (٤) وبحضور الموظفين والجنود - الفرنسيين - وفى عام ١٨٩٢ توفى السلطان العجوز سيد عمر وخلفه ابنه سيد محمد على سياسة أبيه الموالية لفرنسا.(٥)

وهكذا نجحت فرنسا فى اخضاع جزيرة هنزوان والفوز بالغنيمة وحدها دون خصمها بريطانيا - وقررت فى عام ١٩٠٠(٦) احتلالها رسميا وذلك بأرسال عدد كبير من الجنود اليها.

---

(١) Guy Paul: op.cit. p. 290 .

(٢) Jean Martin:Comores quatre iles...vol.2. (Paris 1983) p. 163 .

(٣) John,A: op.cit . p. 98 .

(٤) يضم هذا المجلس النبلاء ورؤساء العشائر

(٥) Jean Martin: Comores quatre iles....op.cit.p. 163 .

(٦) Ibid; p. 163 .

المبحث الثالث

احتلال موهيلي

احتلال موهيلـى :

لقد رأينا أن رمان تيكا "Ramantika " الملجاشـى
قد استولى على جزيرة موهيلى وأن عبدالله الاول سلطان هنزوان
حاول استردادها منه • ولكنه وقع فى يد عدوه ومات فى سجن
" رمان تيكا " عام (١٨٣٦)• (١)

واصبح رمان تيكا منذ عام (١٨٣٦) سلطان مستقلا بموهيلى
وفى حوالى عام (١٨٤٢) توفى وترك العرش لابنته " جومبى فاطمة"
" Djoumbe Fatima"البالغة من العمر ١٠٥ سنة • وشكل مجلس وصاية
لادارة السلطنة الى بلوغها السن القانونى لتتويجها (٢)

وفى هذه الاثناء كانت فرنسا قد احتلت مايوت ـ وبدأت
تخطط للاستيلاء على اخواتها القمريات •

وفى عام (١٨٤٧) ارسلت حكومة مايوت الفرنسية بعثـة
لجمع معلومات عن الجزيرة ـ وكانت بصحبتها احدى الكيرول
الفرنسية تسمى " مدام درويت "Mm.Drouet"(٣) ـ واستطاعت أن ـ
تدخل الى قصر أميرة موهيلى•(٤)

وأخذت مدام " درويت " تعلم الاميرة اللغة الفرنسيـة
والحضارة الاروبية وبدأت توجهها نحو فرنسا (٥)• وبدأ يلوح فـــى الافق
النفوذ الفرنسى فى السلطنة •

وفى عام (١٨٤٩) كانت الاميرة الشابة قد بلغت (٢٢)
عاما فتوجت ملكة لسلطنة موهيلى • وقربت المعلمة " درويـت "
اليها واصبحت بمثابة الوزيرة الخاصة لشئون الملكة (٦)•

غير أنه فى عام (١٨٥١) طردت هذه المعلمة من الجزيرة
وذلك لانها اصبحت تدعو الى اقامة مدرسة وكنيسة فى البـلاد ـ
الامر الذى خشى منه الشعب فى موهيلى من السياسة التنصيريـة
التى تتبعها هذه المعلمة المبشرة (٧) ـ هذا الى جانب خوف البلاط

---

(١) Jean Martin:Comores,quatre iles....op.cit.p.214 .

(٢) Ibid; p. 357.

(٣) ibid; p. 354 .

(٤) Depolin Ramatoka:Histoire de Moheli 1800-1968:(Madagascar 1983)p. 58 .

(٥) Guy Paul:op.cit.p.293.

(٦) Ibid; pp.357 - 358 .

(٧) Jean Martin: op.cit.p. 357 .

الموهيلى ... من تنصير الملكة مما سيطيح بالبيت الحاكم • لان القمرى بطبعه لايقبل الاستفزاز فى دينه الاسلامى ووجود الكنائس الى جانب المساجد يعنى استفزاز صريح لمشاعر القمريين • ولذلك قاموا بطردها من الجزيرة •

وبعد طرد المدام " دوريت " بدأ ذلك النفوذ الفرنسى الذى لاح بالامس يتراجع • واخذت الملكة الشابة تقترب من زنجبار - بزواجها من الامير سيد محمد ابن سلطان زنجبار •(١)

الا أن سيد محمد لم يعد زوجا للملكة فقط بل اصبح السلطان الحقيقى للامارة فى البلاط الموهيلى - وقرب الزنجباريين فى الوزارات والوظائف الكبرى(٢) - ولم يعد البلاط سوى جسدا لاروح له • وأثار ذلك غضب النبلاء والشعب فى موهيلى - وقاموا عام (١٨٥٩) بطرد الامير سيد محمد بعد أن خلف ابنا عرف بأسم محمد (٣)

وفى هذه الاثناء لجأت الملكة " جومبى فاطمة " تطلب مساعدة حكومة مايوت الفرنسية - وشرحت للفرنسيين المشاكل التى تجرى فى بلادها وسارعت فرنسا بالتدخل •(٤)

وأرسلت حكومة مايوت الفرنسية مجموعة من الجنود الى الجزيرة - وقامت بنقل الوزراء الزنجباريين الى مايوت • وبدأت بذلك علاقات دبلوماسية بين فرنسا وموهيلى • وفى عام ١٨٦٥ أرسلت فرنسا المعروف بـ " لمبيرت " "le Fameux Lambert" الى الجزيرة •(٥)

---

(١) Flobert,Bertand:Archipel des Comores. op.cit. p.236 .

(٢) Jean Martin: op.cit. p.358 .

(٣) Ibid; p. 358 .

(٤) Depolin Ramatoka: op.cit. p.59.

(٥) Jean Martin: op.cit. p. 358 .

لمبيرت :

هو " جوزيف لمبيرت " " Josef Lambert" رجل الاعمال الفرنسى الذى سبق أن اقام فى موريشص فى بداية القرن التاسع عشر - وفى عام ١٨٥٥ خرج منها الى مدغشقر ونال حظوة عند الملكة " رنا فالونا " الاولى ملكة مملكة " امرينا " الملجاشية (١٨٢٨-١٨٦١) • كما نال عقد براءة وامتيازات فى اراضى واسعة من هذه المملكة - حتى انه عين " دوقا " على احدى مناطق هذه المملكة • (١)

وكان" لمبيرت " و " جان لابورد " " Jean Laborde" والاخير مهندس فرنسى كان فى مدغشقر يعتبران ايضا مهندسان اساسيان فى تثبيت الاستعمار الفرنسى فى مدغشقر وابعاد النفوذ البريطانى من الجزيرة (٢)

وأخذ كل من " لمبيرت " و " لابورد " يقتربان من ولى عهد مملكة امرينا الملجاشية " ردما الثانى " الذى كان معجبا ومبهورا بالحضارة الاوربية - والذى تولى عرش مملكة امرينا عام (١٨٦١) بعد وفاة أمه " رنا فالونا "" Ranavalona "• وكانا بمثابة مستشارى ولى العهد • (٣)

ولكن فى عام (١٨٥٧) اتهم كل من لمبيرت ولابورد فى محاولة لاقصاء وازاحة الملكة " رنا فالونا " من العرش وتولية ابنها " ردما الثانى " مكانها (٤) - ويبدو انه كان متطلعا ومستعجلا الى ذلك العرش كى يثبت للاوربين صداقته لهم وحبه لحضارتهم •

غير أن هذه المؤامرة تم اكتشافها قبل تنفيذها - فأصدر البلاط الملكى الملجاشى امرا يقضى بنفى لمبيرت - بينما تدخل ولى العهد وانقذ معلمه لابورد الذى اصبح يناديه بالاب " Mon Pere " وذلك فى عام (١٨٦٠) • (٥)

ونفى لمبيرت الى مايوت واقام بها الى أن أرسلته حكومة مايوت الفرنسية عام (١٨٦٥) الى موهيلى ليعمل على تثبيت الاستعمار الفرنسى فى السلطنة (٦) - وهو أذن من بناة الامبريالية الاستعمارية فى جزر القمر مثله مثل " باسو " فى مايوت " و " هامبلو " فى القمر الكبرى•

---

(١) Jean Martin: op.cit.p.358.

(٢) ibid: p. 358 .

(٣) Depolin Ramatoka: op.cit .p.59 .

(٤) Ibid:p. 59 .

(٥) ibid: p. 60.

(٦) ibid: p. 60 .

معاهدة ١٨٦٥:

على أثر المكاتبات التى تمت بين سلطنة موهيلى وحكومة مايوت الفرنسية منذ عام (١٨٥٩) بعد ابعاد الزنجبار من السلطنة • قامت فرنسا بأرسال عدة بعثات الى الجزيرة لدراستها استراتيجيا واقتصاديا •(١)

وكانت النتائج التى ابرزتها تلك التقارير ان الجزيرة خصبة للغاية وانها صالحة لكل المشاريع الزراعية هذا بالاضافة الى انتشار الاشجار الصالحة لبناء السفن والزوارق فضلا عن الورود والزهور القيمة وقلة الحميات •(٢)

أما من الناحية الاستراتيجية فهى لا تختلف عن مايوت فى موقعها على المضيق الموزمبيقى زد على ذلك موانئها التى تصلح لرسو السفن الكبيرة مثل ميناء " فمبونى " •

وعلى ضوء هذه التقارير بعثت حكومة مايوت لمبيرت فى يناير من عام (١٨٦٥) الى موهيلى لعقد اتفاقية تجارية مع الملكة " جومبى فاطمة ".(٣)

ووصل لمبيرت الى الجزيرة فى ١٥ يناير من العام (١٨٦٥) واستطاع مقابلة الملكة فاطمة وكسب صداقتها وقام بزيارة أراضى الجزيرة وشاهد خصبتها وصلاحيتها الزراعية •(٤)

وفى هذا الوقت كانت المعاهدة قد أعدت وجرت المفاوضات بين لمبيرت والملكة و وزرائها وطمأن لمبيرت الجميع بأن المعاهدة ما هى سوى تطوير الجزيرة بمواردها الاقتصادية •(٥)

وفى ١٣ فبراير ١٨٦٥ تم التوقيع على المعاهدة التجارية • وأعطت لمبيرت هذه المعاهدة حق امتياز"concession" لادارة جميع اراضى موهيلى الزراعية • لمدة "٦٠" عاما(٦) • وغدا لمبيرت بهذه المعاهدة المتصرف فى شئون الجزيرة اقتصاديا وسياسيا •

---

(١) Doc.no. 347-35/1859 .

(٢) Depolin Ramatoka: op.cit. p.56 .

(٣) Jean Martin: op.cit .354 .

(٤) Guy Paul : op.cit .p. 343 .

(٥) Guy Paul : op. cit . p. 343 .

(٦) Ibid: p. 346 .

وأدركت الطبقة الارستقراطية ان حقوقهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية قد سلبت • كما ادرك أصحاب الاراضى والمزارعون كذلك أنه بهذه الاتفاقية سوف يشردون من أراضيهم • فقام الشعب القمرى فى موهيلى بمقاومة هذه المعاهدة •(١)

(١) Guy Paul: op.cit. pp.342-343 .

مقاومة معاهدة ١٨٦٥:

كان لمبيرت قد سافر " فى يوليو (١٨٦٧) الى " رينيون" لشراء الادوات والالات الخاصة بالمشاريع الزراعية التى ينوى - اقامتها بالجزيرة ".(١)

وكانت الملكة فى هذا الوقت تحاول أن تبدى للموهيليين أنها تعمل على الغاء المعاهدة وأعادة اراضيهم بعد أن تبينت لها حقيقة هذه الاتفاقية وادركت خطورتها(٢) وأن عرشها مهدد من قبل الشعب القمرى الثائر على هذه الاتفاقية الظالمة .

وفكرت الملكة فاطمة ايضا امام هذه المقاومة الساخطة أن تتنحى عن السلطنة وتقيم أبنها محمد بن سيد محمد البالغ من العمر (١٣) سنة سلطانا على الجزيرة - واذيعت أن الملكة تنازلت وأنها تقف الى جانب الشعب وتعمل على ايجاد معاهدة بديلة عن معاهدة ١٨٦٥ .(٣)

وفى هذا الوقت كان الشعب القمرى فى موهيلى قد حاصر منزل لمبيرت الذى عاد على الفور الى عاصمة الجزيرة " فمبونى " على متن سفينة حربية وبدأ بفتح نار المدفعية على المدينة (٤) ولكن الشعب القمرى رفض هذا التهديد . وقاوم بشدة وطالب بألغاء هذه المعاهدة .(٥)

واثناء ذلك كانت سفينة حربية زنجبارية قد وصلت الى موهيلى لمساعدة حق السلطان الشاب محمد بن سيد محمد (٦) والذى كانت زنجبار ترى انه مازال تابعا لزنجبار قانونيا .

ولكن فرنسا حذرت زنجبار من مغبة تدخلها فى شئون سلطنة موهيلى - ومالبثت زنجبار أن سحبت سفينتها وعادت ادراجها الى بلادها . واستطاع لمبيرت ان ينزل على الجزيرة وينجح برجاله فى قمع المقاومة بعنف شديد .(٧)

---

(١) Guy Paul:op.cit . p.342 .

(٢) Jean Martin: op.cit ;359 .

(٣) Depolin Ramateka: op.cit. p.61.

(٤) Depolin Ramatoka: op.cit. p.61 .

(٥) Ibid: p. 64 .

(٦) Ibid: p. 64.

(٧) Ibid:p. 63 .

ولم ترض سياسة لمبيرت القمعية الملكة فاطمة . فحاولت السفر الى زنجبار لتحثها بالتدخل ولكن الفرنسيين منعوها من السفر .(١)

وفي هذا الوقت ايضا كانت فرنسا قد ارسلت سفينتين حربيتين لتعزيز الوجود العسكرى فى الجزيرة واجبار القمريين فى موهيلى بالموافقة على معاهدة (١٨٦٥).(٢)

وتحت الضغط والقمع على القمريين وتهديدهم - وافق النبلاء على المعاهدة فى ١٣ ابريل (١٨٦٨)(٣) كما وافقوا على تولية السلطان الشاب عرش السلطنة . ولكن الملكة طالبت فى هذه الاثناء ابعاد لمبيرت عن بلادها.(٤)

اكمال الاحتلال :

كان لمبيرت قد تمكن من الاستيلاء النهائى على اراضى الجزيرة بمعاهدة ١٥ فبراير ١٨٦٥ - وأن المقاومة قد انتهت واستعاد الفرنسيون سيطرتهم من جديد بالحديد والنار . وبالرغم من مطالبة الملكة بأبعاد لمبيرت الا ان صيحاتها لم تبال بها فرنسا .

وقررت الملكة فاطمة فى مطلع عام ١٨٦٩ السفر الى باريس - وفيها قابلت الامبراطور نابليون الثالث . ووضحت للفرنسيين ان لمبيرت تجاوز الاتفاقية التجارية المبرمة واستولى على جميع الاراضى . وان سياسته هى التى تخلق الاضطرابات فى البلاد . وأبدت باريس رغبتها فى تحسين العلاقات بينها وبين - موهيلى . وانهاء المشاكل القائمة . (٥)

ثم اتجهت الى لندن وقابلت الملكة فكتوريا التى أكرمت وفادتها وعقدت حكومتها مع ملكة موهيلى اتفاقية تجارية تسمح للبضائع البريطانية بالدخول الى موهيلى .(٦)

---

(١) Jean Martin :op.cit.p.359. (٢) Ibid:p.360 .

(٣) Herve Chagnoux:Les Comores. (Paris 1990) p.103 .

(٤) Andre,Araison:op.cit.p.213 .

(٥) Jean Martin; op.cit. p 359 .

(٦) Jean Martin : op.cit .p. 400 .

وبعد الانتهاء من زيارة ملكة موهيلى فاطمة لبريطانيا قفلت راجعة الى بلادها عن طريق مصر • وتوقفت بالاسكندرية واستقبلهـا الخديو "Kheidive" اسماعيل باشا ثم واصلت رحلتها مع الوفد المرافق الى القمر بعد ان عقدت مع الخديو اتفاقية تجارية وسياسية بـين بلديهما •(١)

وخشيت فرنسا فى هذه الاثناء من أن تتجه الملكة نحـو بريطانيا • وقامت باجبار لمبيرت على تعديل المعاهدة - وانه فـى حالة مغادرته للجزيرة فأن امتيازاته وحقوقه ستؤول الى حكومـة فرنسا لتدفع له الاخيرة (٦٠٠٠٠) ريال قيمة حقوقة (٢)

وفى (١٤ يونيو ١٨٧١) وقع لمبيرت مع السلطان الشاب محمد معاهدة جديدة عدلت نصوص معاهدة (١٨٦٥) وأعطت للمبيرت حق امتياز نصف اراضى الجزيرة والنصف الثانى يكون فى يد القمريين (٣) وفى عام (١٨٧٣) توفى لمبيرت وترك حقوقه لابنه (٤)

وفى عام ١٨٧٨ توفيت الملكة جومبى فاطمة (٥) ودخلت البلاد فى فوضى واضطرابات عنيفة • ووجدت فرنسا الطريق معبدا لضـم الجزيرة نهائيا •

ويبدو ان السلطان الشاب محمد عزل أو قتل اذ لانسمع عنه شيئا بعد هذا التاريخ • وبرز أحد الرجال اسمه عبدالرحمن واصلـه مجهول ولكن يبدو أنه من الارستقراطية فى السلطنة واعلن نفسـه سلطانا على الجزيرة •(٦) وبظهور هذا الرجل انتهى النظام الوراثـى لسلطنة موهيلى •

وبدأ هذا السلطان المغتصب يتقرب من السلطان برغـش سلطان زنجبار والبريطانيين • واكتشفت فرنسا ذلك • وقامت حكومة مايوت بتحذيره من ذلك التقارب ونجحت فرنسا بابعاده عن نفـوذ زنجبار والانجليز •(٧)

---

(١) Andre,Oraison:op.cit.p.216.

(٢) Guy Paul.op.cit.p.343.

(٣) Jean Martin:op.cit.p.390.

(٤) Depolin R.op.cit.p.69.

(٥) Andre,Oraison:op.cit.p.216.

(٦) Jean Martin:op.cit.p.390

(٧) Andre,Oraison:op.cit.p.218.

وقام الفرنسيون فى موهيلى بتدبير خبيث فى احراق مدينة " فمبونى " - عاصمة الجزيرة ونسبوا ذلك الى السلطان عبدالرحمن ورجاله • فثارت الجماهير القمرية فى موهيلى وقاموا بأغتياله فى يونيو عام ١٨٨٥ •(١)

وخشيت فرنسا هذه المرة ايضا من التدخل الزنجبارى - والبريطانى اذا لم تسارع الى عقد معاهدة الحماية وقامت فى البداية بتعيين سلطان جديد اسمه " مرجانى " ويبدو انه كان من وزراء الملكة فاطمة •(٢)

وفى ابريل (١٨٨٦) نجحت فرنسا فى ابرام معاهدة الحماية مع السلطان مرجانى(٣) • ولكن هذا السلطان المغلوب على امره آثر التنازل عن العرش فى نفس ذلك العام(٤).

وعينت فرنسا مكانه الاميرة " سالمة مشيمبا " " Salima Machimba " البالغة من العمر ١٤ سنة وهى ابنة أخت السلطان مرجانى الذى تنحى عن العرش • ولكن الفرنسيين قاموا بارسالها الى مايوت لتتعلم هناك • واصبح الامر فى يد الفرنسيين •(٥)

وفى عام (١٨٩٦) كان قد تم تعيين مقيم معتمد يتبع حكومة مايوت الفرنسية(٦) وقامت فرنسا عام ١٩٠٢ بارسال مجموعة من الجنود السنغاليين الى الجزيرة لتعزيز الوجود العسكرى الفرنسى هناك •(٧)

وفى عام (١٩٠٣) اعلنت فرنسا احتلال هذه الجزيرة احتلالا فعليا(٨) - فأصبحت موهيلى منذ هذا التاريخ تحت الهيمنة والجبروت الفرنسى • وانضمت الى اخواتها مايوت وهنزوان تحت هذه السيطرة الامبريالية •

---

(١) Jean Martin:op.cit. p. 390 .

(٢) Ibib: p. 392.

(٣) Depolin;Ramatoka:op.cit. p.67.

(٤) Jean Martin. op.cit. p.358 .

(٥) Guy Paul :op.cit. p.343 .

(٦) Ibid; p. 343 .

(٧) Ibid; p. 345.

(٨) Jean Martin;op.cit.p.361.

المبحث الرابع

احتلال القمر الكبرى

احتلال القمر الكبرى ·-

بعد الاحتلال الفرنسى لمايوت ١٨٤٣ كانت فرنسا قد بدأت ترسل البعثات الكشفية الى بقية الجزر القمرية لدراسة استراتيجيتها وامكانية استغلال مواردها ·

وفى عام ١٨٤٧ كانت حكومة مايوت قد بعثت الكابتن "جاهين" وهو الذى سبق ان عمل مع باسو فى التمهيد لاحتلال مايوت-الى القمر الكبرى(١) لدراسة اهميتها البحرية وموانئها ·

ورفعت هذه البعثة الاستكشافية تقاريرها بأن الجزيرة لها اهمية بحرية قصوى فهى تقع فى الطريق المباشر لمضيق موزمبيق(٢) كما انها اقرب هذه الجزر الى اليابسة الافريقية(٣).

كذلك وضحت التقارير(٤) ان هذه الجزيرة تتمتع بهواء جميل.وتنعدم فيها الحميات والامراض المعدية-(٥) هذا الى جانب انتشار الموانىء الكثيرة الصالحة لرسو السفن والاساطيل · وانها فى الواقع محطة استراتيجية لمراقبة الانجليز فى زنجبار(٦).

واضافت تقارير هذه البعثة ان الحرب بين الامارات الاقطاعية لهذه السلطنة تكاد لاتنطفىء نارها · وان سيوفهم وخناجرهم تجدها دائما فى وسطهم(٧).

ويبدو ان هذه الفقرة من التقرير لم تشجع الفرنسيين فى هذا الوقت من الاربعينيات لبدء تدخلهم فى هذه الجزيرة وذلك خشية ضياع ارواحهم فى بلاد لم تتبين بعد طبغرافيتها امامهم · فضلا عن الامارات الاقطاعية التى تمثل كل واحدة منها شبه دولة مستقلة ·

---

(١) Flobert Thierry:les Comores,evolution juridique et socio-politique.(Paris 1976).p.207 .

(٢) Ibid;p.207 .

(٣) Herve Chagnoux:les Comores .(Paris 1990).p. 12 .

(٤) Doc.no. 364-17/1847. p.38 .

(٥) شكيب ارسلان · حاضر العالم الاسلامى المجلد ٣ ص ١٤٤

(٦) Flobert Thierry: op.cit. p.207 (٧) Doc. no. 364-17/1847.

وهذا ادى الى ان كل امارة لم تكن تستطيع وحدها ان تعقد معاهدة خاصة بالجزيرة دون موافقة الامراء الاخرين · لان ابرام أى اتفاق بين الامارة وطرف أجنبى = يعنى أن هذا الاتفاق يخص تلك الامارة وحدها · وهذا لايمكن الا بموافقة " تيبه " السلطنة و" تيبة " السلطنة لايقبل ان يكون هناك من هو اكبر منه فى ملك السلطنة خاصة اذا كان اجنبيا لانه دخيل وليس صاحب حق ·

ولذلك كان هذا النظام المعقد والذى يقيد الامراء مع منحهم حق الدفاع عن امارتهم فى حالة الهجوم عليهم مع إلزامهم بالخضوع لسيادة " تيبة " الجزيرة ـ هو ما ابعد الفرنسيين فى هذا الوقت عن هذه الجزيرة ·

ذلك لانهم لم يعرفوا من يعقدون معه المعاهدات والاتفاقيات حيث ان " تيبة " السلطنة وحده ايضا مقيد ولا يستطيع اتخاذ اى قرار يخص التعامل مع الاطراف الاجنبية الا بعد موافقة المجلس السلطانى الذى يضم الاثنى عشر سلطانا من ١٢ امارة وجدت فى هذه الجزيرة منذ نهاية القرن الثامن عشر الميلادى كما سبق ذكره ·

ولكن ظلت البعثات والمحاولات الفرنسية لضم هذه الجزيرة مستمرة ـ وكان سيد عمر الذى اصبح يعمل فى الجيش الفرنسى ومقربا من الفرنسيين فى مايوت[1] قد اصبح معبرا الى اخضاع القمر الكبرى للفرنسيين على مايبدو · ذلك لانه فى عام ١٨٤٧[2] تزوج بنت الامير احمد بن شيخ غوص · وقد سبق الحديث عنه فى الفصل السابق ·

ويصعب على الباحث القول أن الفرنسيين كانوا وراء هذا الزواج لان القمريين بمختلف جزرهم من مايوت وهنزوان وموهيلى والقمر الكبرى كانوا يتزاوجون ـ وتنصهر البيوتات من هنا وهناك ولكن بالرغم من عدم تعرض الدراسات السابقة لهذا الموضوع

ـ

---

(١) Jean Martin: Comores,quatre iles...vol.2. op.cit.p.287 .

(٢) Manicacci Jean:l'Archipel des Comores.(Tananarive Madagascar1939) p.173 .

إلا انه من الممكن القول هنا ان الفرنسيين ربما شجعوا زواج الامير سيد عمر من الاميرة بنت الامير احمد بن شيخ الغوص حتى يسهل تحقيق المطامع الفرنسية فى هذه الجزيرة مادام استحال عقد اتفاقية مع امير واحد من امراء السلطنة كما هو الحال فى مايوت وهنزوان وموهيلى التى كان يحكم كل واحدة منها سلطان واحد .

المهم ان هذا الزواج اثمر بأنجاب سيد على بن سيد عمر وآخر يسمى سيد حسن ويهمنا كثيرا فى هذا البحث سيد على .

سيد على .—

ولد سيد على عام (١٨٤٨) بمرونى[1] — ودرس القرآن والفقه فى خلوة جده السلطان أحمد يحى " بجنان" بمدينة مرونى . و ظهر منذ نعومة اظافره نبوغه فى الادب والشعر العربى[2].

وعندما بلغ الثالثة عشر من عمره اخذه ابوه الامير سيد عمر وارسله الى مايوت ليتعلم اللغة الفرنسية فى مدرسة مايوت[3].

وفى عام (١٨٧٧) ارسله والده الى الجزائر ومنها الى مصر والتحق الامير سيد على بالازهر الشريف[4]— ودرس الادب العربى وعلوم الشريعة ثم عاد الى مايوت وكان قد تحصل على العالمية الازهرية — ويعتبر اول من حصل على ذلك المؤهل من القمريين[5].

---

(١) Jean Martin: op.cit.p.290 .

(٢) مخطوطة برهان مكيلى ص ٤٤—٤٥ .

(٣) Jean Martin: op.cit; p. 290 .

كذلك شكيب ارسلان . حاضر العالم الاسلامى — المرجع السابق ص ١٤٦ .

(٤) مخطوطة برهان مكيلى ص ٥٧ .

(٥) Du Plantier de Necolas: la Grand-Comore,sa colonisation.(Paris 1904) p. 93 .

وكان سيد على مثقفا وعالما بالشريعة وشاعرا[١].

وفى عام ١٨٨٠ زار القمر الكبرى[٢] وكانت سيادة السلطنة فى يد السلطان موسى فوم الانافمباوى الذى سبق وان هزم جده السلطان احمد عام ١٨٧٠[٣] ثم عاد الى مايوت ومنها ذهب الى الحج[٤].

ويبدو انه تمكن فى زيارته هذه اجراء اتصالات مع زعماء قبيلتـــه " انابيروسا " فى منطقة " بمباو " . الذين ضمنوا له المساعـــدة والوقوف الى جانبه عندما يعلن نفسه سلطان السلاطين " تيبة " ـ الجزيرة .

وفى نهاية العام (١٨٨٢) كانت الاستعدادات فى مايوت قـد تم ترتيبها لدعم سيد على ضد السلطان موسى فوم[٥].

وكانت سلطنة هنزوان وموهيلى فى هذا الوقت قد دخلت تحـت النفوذ الفرنسى ذلك ان السلطان عبد الله الثالث كان عام ١٨٨٢ قد طلب مساعدة فرنسا ضد التهديدات البريطانية[٦] وقد رأت الحكومة ـ الفرنسية ان الفرصة قد حانت لها لضم هذه السلطنة .

وكذلك الامر بالنسبة لسلطنة موهيلى منذ وفاة الملكة فاطمة عام ـ ١٨٧٨[٧] اذ تدخلت فرنسا فى ذلك الوقت واصبحت تعين سلاطين الامارة كما تشاء وهذا يعنى انه منذ مطلع الثمانينات من القرن الماضى كانـــت فرنسا قد ضمنت نجاح اهدافها فى الجزر القمرية وظهرت على الافق أن العقبة الكؤد التى كانت قائمة بالقمر الكبرى بدأت تزول بظهور سيد على .

---

(١) مالرسم الاخيال دل عن جسد ×× وماحواه من الاداب مستور
الجسم يفنى ويبقى ذكر صاحبه ×× مؤرخ فى صدور الناس مسطور
من مخطوطة برهان مكيلى ص ٤٧ .

(٢) Guy Paul: Histoire politique des Comores.op.cit; p.85 .

(٣) Jean Martin: op.cit.p. 80 .

(٤) مخطوطة برهان مكيلى ص٥٧ .

(٥) Damir Ben Ali:la Fin de Moussa Foum.(Moroni Comores)p.34 .

(٦) Jean Martin: op.cit; p. 154 .

(٧) Ibid; p. 35 .

وعملت فرنسا فى هذا الوقت من نهاية العام ١٨٨٢ على تسخير مساعداتها لسيد على . حتى يصبح السلطان الوحيد فى القمر الكبرى وتتمكن فرنسا من ابرام معاهداتها واتفاقياتها معه .

وفى مطلع العام (١٨٨٣) وصل سيد على الى القمر الكبرى.(١) وطلب من موسى فوم الزواج من ابنته التى هى بنت خالة سيد على(٢). ذلك أن موسى فوم كان له بيت فى " مرونى " بزواجه من ابنة السلطان أحمد أخت ام سيد على . كما كان له بيت فى "النسجين " عاصمته(٣).

ولكن موسى فوم رفض هذا الزواج - وطلب سيد على من موسى فوم ان يوليه حكم منطقة " بمباو" التى كانت فى يد صهره الامير عبدالله وهو خال سيد على ولكن موسى فوم رفض ايضا(٤) .

وثار ذلك حفيظة سيد على وادرك ان سياسة اللين مع السلطان - موسى فوم لن تنجح ولن تحقق شيئا من طموحاته نحو عرش " تيبه " سلطنة " غازيجا " القمر الكبرى(٥).

وكان يرى انه يطالب بحق جده السلطان أحمد ولقب " تيبه " لقبيلته " انابيروسا ".(٦) والذى سبق وأن اخذه موسى فوم بالقوة بعد انتصاره على جده عام ١٨٧٠ وبدأ يستعد للحرب(٧).

---

(١) Du Plantier: op.cit; p. 95 .

(٢) Damir Ben Ali: op.cit.p. 36 .

(٣) يقول شكيب ارسلان فى كتابه / حاضر العالم الاسلامى . المرجع السابق ص١٤٦ أن السلطان احمد هو عم سيد على - وهذا ليس صحيحا . كما يقول ايضا فى نفس الصفحة ان السلطان احمد اوصى بأن يكون سيد على خلفه . وهذا ايضا غير صحيح - لان للسلطان احمد كان له من الاولاد الامراء اخوال سيد على الذين يصلحون لهذا المنصب . وكان سيد على حتى وفاة السلطان احمد فى مايوت مع ابيه سيد عمر . انظر Jean Martin : op.cit. p. 290 .

(٤) Ibid.p.290 .

(٥) Chakind Siday:l'histoire politique de la Grand-Comore(Paris 1983)p.87.

(٦) Verrin Pierre:Guerres Civlles Comoriennes.(Paris 1981) p.120 .

(٧) Du Plantier: op.cit; p.95 .

وخرج الى مدينة " اكونى " وهى عاصمة قبيلة " انابيروسا" القديمة وفيها الرجال الشجعان وضمن مساعدتهم - ثم انتشرت الدعاية له فى وسط عشائر وبطون قبيلة " انابيروسا " فى الامارات المختلفة ووعدت بمناصرتها لابن القبيلة وحفيد السلطان أحمد [١].

ثم سافر كذلك الى "باجين " المقاطعة الجنوبية وقابل السلطان - هاشم بن السلطان احمد وهو خال له غير شقيق لامه [٢]، وقد سبق الاشارة الى زواج السلطان أحمد من بنت سلطان " باجين " عام (١٨٤٠) - وضمن سيد على مساعدة السلطان هاشم [٣] فضلا عن وقوف قبيلته لمؤازرته . هذا الى جانب مساعدة مايوت وهنزوان وموهيلى [٤].

وفى هذه الاثناء ادرك السلطان موسى فوم وهو فى عاصمته " نسجين" نوايا سيد على وحاول ارضائه واعطائه حكم امارة " بمباو " [٥] التى سبق سيد على ان طلبها منه - ولكن الاخير هذه المرة رفضها واكد لـ " تيبه " موسى فوم ان مايريده الآن هو لقب " تيبه " [٦] اى سلطان سلاطين القمر الكبرى وليس أمير منطقة أو مقاطعة. وأن على موسى فوم اذا اراد الخير أن يتنازل عن هذا العرش .

واستعد موسى فوم فى اللحظات الاخيرة للحرب الوشيكة . لكن استعداده لم يشمل الا حماية عاصمته - لانه لم يتمكن من تحريض عشائر قبيلته " انافمبايا " لمناصرته . ومع ذلك فقد طلب مساعدة زنجبار والانجليز . ولكن فرنسا حذرت زنجبار وابلغت انجلترا ان هذه البلاد هى مناطق نفوذ فرنسية [٧].

---

(١) Hocquet,Yves:Histoire politique de l'Archipel des Comores.(Mproni 1962) P.32 .

(٢) Ibid. p. 33 .

(٣) Jean Martin: op. cit. p.81 .

(٤) Hoquet,Yves: op.cit. p.33 .

(٥) Verrin Pierre: op.cit . p.120 .

(٦) Chakind Siday: op.cit. p. 89 .

(٧) Chakind Siday: op.cit; p. 89 .

ولم يجد موسى فوم حوله سوى رجال منطقة " اتسنرا "[١] — وكان سيد على قد أعلن الحرب عليه بعد أن جاءته كل المساعدات من قبيلته ورجال السلطان هاشم فضلا عن مساعدات مايوت وهنزوان وموهيلى[٢].

وحاصر عاصمة موسى فوم منذ ابريل عام ١٨٨٣ الذى استطاع بفلول من رجاله ان يدخل مدينة " اتسنرا مجين " ويتحصن بحصونها القوية . ويترك عاصمته تسقط فى يد سيد على[٣].

وتعقبه رجال سيد على وحاصروه على " اتسنرا مجين " وطالت مدة الحصار[٤] — وكان فى داخل الحصن الاطفال والنساء . وخشى سيدعلى سقوط هؤلاء الابرياء ضحايا فى حالة هجومه على الحصن[٥].

وفكر سيد على فى طريقة اخرى لتقليل خسائر القتلى وانهاء هذه الحرب بانتصاره . وقام كل من سيد على والسلطان هاشم بارسال وفد الى زعماء قبيلة انافمبايا فى منطقة " وشيل " و " همهامى " وكانا منعزلين عن هذه الحرب الاهلية — يخبرهما بضرورة عزل موسى فوم عن زعامة القبيلة والبلاد لانه وراء هذه الحرب التى تقع على المسلمين[٦].

واقتنع زعماء " انافمبايا " بما قاله السلطان هاشم وسيد على — وعمل هؤلاء الزعماء على القبض على موسى عن طريق المكر والخديعة . فأرسلوا اليه رسولا يخبره أن زعماء " شيل " و " همهامى " اتوا للوقوف الى جانبه وان عليه ان يتصل بهم فى بلدة " بنداماجى " على مسافة كيلو متر واحد من مدينة " اتسنرا " القديمة[٧].

---

(١) Verrin Pierre: op. cit; p.121 .

(٢) Jean Martin ; op.cit; p. 81.

(٣) Verrin Pierre :op.cit. p. 121 .

(٤) Ibib. p. 121 .

(٥) Damir Ben Ali:op.cit; p.37 .

(٦) Damir Ben Ali:op.cit. p. 35 .

(٧) Verrin Pierre:op.cit ; pp.121-122 .

لم يشك موسى فوم فى بنى قبيلته لانه كان فى امس الحاجة الى مساعدتهم فضلا عن ان المؤن والغذاء بدأ يوشك على النفاذ . وخرج اليهم وليس معه رجال سوى حراسته[1] فى الوقت الذى كان رجال سيد على وهاشم مع الزعيمين الانافمباويين .

وعندما وصل موسى فوم الى " بنداماجى " وجد نفسه محاصرا فألقى رجال سيد على القبض عليه بعد أن ابلى بلاء نادرا فى محاولة الدفاع عن نفسه[2].

ونجحت بذلك خطة سيد على وهاشم وانتهت هذه الحرب الاهلية بأقل خسائر بشرية - واودع موسى فوم فى السجن بحى " ابيد " بمرونى ولم يطل بقاءه فيه حتى مات فى نفس العام ١٨٨٣ . وقد عرف عنه التقوى والورع[3].

وانتقل بذلك لقب " تيبه " سلطنة القمر الكبرى الى سيد على من قبيلة - " انابيروسا "[4]. وكما سبق الحديث انه كانت فى هذا السلطنة ١٢ امارة سلطانية تخضع لـ " تيبه " السلطنة - ثم توحدت امارات الجنوب الثلاث واصبحت امارة واحدة هى " باجين " .

وعند اعتلاء السلطان سيد على عرش " تيبه " الجزيرة عام ١٨٨٣ كانت هذه السلطنات التسع تتمتع بامتيازاتها القديمة من استقلال ونحو ذلك مع خضوعها لسلطان السلاطين[5].

ولكن ما ان وصل السلطان سيد على الى كرسى " تيبه " سلطنة الجزيرة حتى قام فى ذلك الوقت باعلان الغائه السلطنات الاخرى الاقطاعية واعلن ان للجزيرة سلطان واحد هو السلطان سيد على بن سيد عمر . فثارت السلطنات الاخرى على سيد على . فاضطر الاخير الى استثناء بقراره امارات " باجين " و " اتسنرا " و " وشيل " و " بودى "[6] ولكن الى حين .

---

(١) Du Plantier: op.cit . p.95 .

(٢) Ibid: p. 96 .

(٣) Jean Martin: op.cit. p. 210 .

(٤) Ibid. p. pp.210-211.

(٥) انظر مخطوطة برهان مكيلى ص٦٠٤ .

(٦) Jean Martin: op.cit .211.

معاهدة ١٨٨٥

كانت فرنسا قد بعثت مساعداتها العسكرية والمالية لسيد على اثناء حربه مع موسى فوم وكانت هذه المساعدات بواسطة ليون هامبلو (الفرنسى وهو احد بناة الاستعمار الفرنسى فى الجزر القمرية)(١)

وليون هامبلو "Leon Humblot" ولد عام ١٨٥٠ فى بلدة "Nancy" (نانسى) بجنوب فرنسا من اب مزارع وبدأ حياته بستانيا ثم عمل بالمتحف التاريخى بباريس(٢)

وفى عام ١٨٨١ وصل الى جزيرة مابوت القمرية تطلعا الى العمل فى المستعمرات الفرنسية(٣) لتأمين حياته مثل غيره من الاوروبين الذين بدأت الاخبار التى تصلهم من خيرات افريقيا والشرق تسيل لعابهم وبدأت دولهم تشجعهم على الهجرة الى المستعمرات للاستعمار والاستيطان.

وفى عام ١٨٨٣ عندما قررت فرنسا الوقوف الى جانب سيد على فى حربه ضد موسى فوم بالقمر الكبرى كان هامبلو على رأس هذه القوة الفرنسية(٤)

(١) Jean Martin: Comores,quatre iles ...vol.2. op.cit.p.81 .

(٢) Capmartin,Colin,Epidariste:Essai sur les Comores(Paris sans date) P. 226 .

(٣) Cadhi,Umar: Histoire des Comores.(Aix-en-province France 1978) p.118.

(٤) Du Plantier de Necolas: op.cit; p.97 .

وبعد انتصار سيد على خصومه عام ١٨٨٣. كانت الترتيبات قد اتخذت لابرام المعاهدات والاتفاقيات معه باعتباره سلطان الجزيرة الوحيد. غير ان امراء المقاطعات الاخرى عارضوا اتجاه سيد على للانفراد بالجزيرة وثاروا عليه فاستثنى بعض الامارات القوية من قرار الالغاء.(١)

بيد ان الفرنسين ضغطوا عليه بواسطة هامبلو بحيث يمضى الى الغاء هذه الامارات الاقطاعية ويوحد الجزيرة تحت اسمه ويبرم معهم المعاهدات فوقع سيد على تحت هذه الضغوطات(٢) فأصدر قرارا فى اول نوفمبر (١٨٨٥) الغى فيه جميع الامارات دون استثناء.(٣)

وفى ٥ نوفمبر من هذا العام ابرم معاهدة تجارية وسياسية مع هامبلو(٤) وأعلنت قرارات المعاهدة على القمريين فى القمر الكبرى وثاروا على هذه القرارات والفرنسين.(٥)

وكانت المعاهدة تنص على ان لهذه الجزيرة سلطان واحد هو السلطان سيد على بن سيد عمر ولقد عقد معاهدة " Traite "مع هامبلو ممثل الحكومة الفرنسية.(٦)

---

(١) Verrin Pierre: op.cit. p.123 .

(٢) Jean Martin :op.cit. p. 82 .

(٣) Chakind Siday: op.cit. p. 90 .

(٤) Chakind Siday:op.cit . p.90 .

(٥) Verrin Pierre: op.cit.p. 124 .

(٦) Doc.non.338:444/1885. p. 56 (CNDRS).

واعطت المعاهدة هامبلو حق اقامة المشاريع الزراعية وحق اقتطاع الاشجار على جميع اراضى الجزيرة - وعلى السلطان أن يتعهد بتزويد العمال لمدة خمس سنوات وأنه فى حالة الاختلاف على بعض المسائل بين الفرنسيين والقمريين فانها تعرض أمام المحاكم المختلطة بمايوت(١). كما منعت المعاهدة سيد على وضع بلاده تحت أي حماية سوى الحماية الفرنسية(٢).

مقاومة المعاهدة :

ما ان اعلنت نصوص هذه المعاهدة حتى قام سلاطين وامراء الجزيرة بمعارضة ضد الاتفاقية واعتبروها مهينة لكرامتهم ومذلة لاستقلالهم فأنتشرت فى الجزيرة الاضطرابات وعمت الفوضى واستعد الامراء والسلاطين للحرب دفاعا عن اماراتهم(٣)

بيد أن هذه الثورات والاضطرابات تم قمعها بيد الفرنسيين الذين بدوا ينتشرون فى جميع الامارات الا أن مقاومة السلطان هاشم فى الجنوب كانت اقوى ولم يكن من السهل قمعها الا بعد التقاء الجمعان فى معركة وقتال عنيف(٤).

والسلطان هاشم هذا هو أخ غير شقيق لام سيد على(٥) - وقد وقف بالامس الى جانب سيد على فى حربه ضد موسى فوم بل كان وراء النصر الذى تحقق للسيد على دون اراقة دماء كثيرة - وذلك لسياسة الدهاء التى أوحى بها الى السيد على والتى استطاعوا بها القبض على السلطان موسى فوم(٦) - وبدون خسائر فادحة فى الارواح.

---

(١) Jean Martin :op.cit.p. 82 .

(٢) Hocquet,Yves: Histoire politique de l'Archipel des Comores, op.cit .p. 32 .

(٣) Verrin Pierre : Guerres civilles comoriennes.op.cit.p.123

(٤) Ibid. p. 123 .

(٥) Hocquet,Yves ;op.cit.p. 32 .

(٦) Verrin Pierre: op.cit.p. 124 .

أدرك السلطان هاشم أن وراء سيد على القوى الفرنسية التى ضغطت عليه حتى أبرم معهم تلك الاتفاقية التى قضت على استقلالهم ومع أنه لايملك رجالا كثيرين ومشهورين بالقوة وشدة المراس الا أنه عامل السلاح النارى الذى كان فى يد القوى الفرنسية ابان الازمة مع موسى فوم - كان هو الحاسم -

وكانت المانيا فى ذلك الوقت من العام (١٨٨٥) قد احتلت تنجانيقا المقابلة لجزر القمر والقريبة جدا من القمر الكبرى فأرسل الى الالمان يطلب دعمهم فى حربه ضد سيد على والفرنسيين - واوضح لهم أن امارته مستقلة وليس هناك احد سواه يملك الحق فى عقد اتفاقيات خاصة بأمارته[١] .

واندفع الالمان نحو القمر الكبرى بسفينتين حربيتين تحملان الجنود والسلاح والذخائر[٢] . ووصلت هذه القوى الالمانية حتى وقفت على شواطىء مدينة (فمبونى)[٣] عاصمة الاقليم الجنوبى واثار ذلك ثائرة سيد على وحذرت فرنسا الالمان من مغبة[٤] التدخل وذلك بأعتبار هذه الجزر مناطق نفوذ فرنسية - فسحبت المانيا سفنها من شواطىء الجزيرة[٥] .

---

(١) Jean Martin: Comores,quatre iles...vol.2.op.cit.p.83 .

(٢) Du Plantier de Necolas: op. cit.p. 95 .

(٣) Cadhi ,Umar: op.cit .p. 125 .

(٤) Jean Martin :op.cit . p.83 .

(٥) Du Plantier de Necolas :op.cit .pp.100-101 .

وكان هامبلو فى هذه الاثناء فى باريس يطلب رووس الاموال لاقامة مشاريعه الزراعية والتجارية الخاصة باتفاقية نوفمبر (١٨٨٥) وسارع بالعودة الى مرونى.[١]

وكانت القوى (الباجينية) بزعامة السلطان هاشم قد زحفت حتى وصلت الى (زلماجو)[٢] بحوالى كيلو متر من مدينة مرونى القديمة[٣] وكادت عاصمة سيد على ان تسقط.

وفى ذلك الوقت تدخلت المدافع الفرنسية وحصدت رجال هاشم الذين كانوا يستخدمون سلاحهم الابيض وهرب هاشم مع فلول جنوده حتى وصل الى بلدة (نومامليما) بالقرب من عاصمته (فمبونى)[٤]

وتعقبه السلطان سيد على والقوى الفرنسية حتى دخل عاصمة (فمبونى) فاستولى عليها وبلغه الخبر ان السلطان هاشم مختفى ببلدة (نومامليما) فتحرك الاول حتى دخل البلدة.[٥]

وهناك جرت بعض المناوشات بين جنود هاشم وقوة سيد على انتهت باستسلام السلطان هاشم ووضعه فى السجن بالبلدة تحت حراسة رجاله[٦] وظل به حتى توفى فى ٢٠ يونية عام ١٨٨٩ بالبلدة.[٧]

---

(١) Du Plantier de Necolas :op.cit.p.101 .

(٢) Verrin Pierre ; op.cit .p. 125 .

(٣) Cadhi,Umar : op. cit. p. 125 .

(٤) Cadhi,Umar: op.cit. p. 125 .

(٥) Jean Martin:op.cit .p. 83 .

(٦) Ibid:p. 83 .

(٧) Ibid: p. 84 .

معاهـــدة الحماية (١٨٨٦)

ادركـت فرنسا ان استمرار الاضطرابات فى الجزيرة يشكل خطورة علـى مصالحها وربما تدخلت قوى اخرى كما حاولت المانيا فى العام (١٨٨٥م) فسارعت الخارجية الفرنسية الى ابلاغ حكومة مايوت بضرورة الاسراع بتقديم اتفاقية حماية مـع سلطان الجزيرة.[1]

وفى ١٥ يناير ١٨٨٦) وقعت[2] معاهدة الحماية بين السلطان سيد على(وليون هامبلو الذى اصبح ممثلا لفرنسا الى جانب ادارة اعمالـــه الزراعيـــة والتجارية.

وكانت معاهدة يناير (١٨٨٦) بشأن حماية القمر الكبرى تشبه تلك التى عقدت فى ابريل مـع سلطنة موهيلى[3] وتلك المبرمة فى مـارس من نفس العام مع سلطنـة هنزوان[4]

وتصاعدت حـــدة المقاومـــة مـع اعلان معاهدة الحمايـة هذه واستمرت اعمال العنف فى مختلف انحاء الجزيرة[5]

---

(١) Doc.no. 349:255/1886 . p. 5 . (CNDRS) .

(٢) Doc.non.349:255/1886. p. 5 . (CNDRS) .

(٣) Jean Martin : op.cit. p. 167 .

(٤) Doc. no. 351- 57/1886 .p p. 55 -56 . (CNDRS).

(٥) Jean Martin : op.cit : p.167 .

وخاف السلطان سيد على من غضب وسخط القمرين فى القمر الكبرى وهرب فى ديسمبر ١٨٩٠ الى جزيرة موهيلى ولكن فرنسا اعادته الى عرشه فى نفس العام (١)

غير ان السلطان لم يستطع ان يسيطر على زمام الاحداث الامر الذى دفع بهامبلوا الى اتهام السلطان انه وراء هذه الاحداث ثم محاولته اغتياله بيد انه عدل الفكرة من قتله الى ترحيله الى مايوت بعد ان فشل فى اخضاع المعارضين له (٢)

وفى عام (١٨٩٢) قام هامبلو بترحيل السلطان سيد على الى مايوت بعد ان وقع معه معاهدة جديدة فى ٦ يناير (١٨٩٢) تؤكد اتفاقية ١٨٨٥-١٨٨٦ (٣)

ولكن ذلك لم يوقف الاضطرابات واعمال العنف المنتشرة فى البلاد ضد الوجود الفرنسى والمعاهدات المبرمة التى وضعت مصائرهم فى كف عفريت حتى انهم قاموا باحراق منزل هامبلو بمرونى فى ١٣ يونية ١٨٩٢ (٤)

---

(١) Du Plantier de Necolas:op.cit .p. 103 .

(٢) Ibid; p. 104 .

(٣) Ibid; p. 1o4 .

(٤) Jean Martin: op. cit . p. 169 .

اكمـــال الاحتلال:

بترحيل السلطان سيد على الى مايوت اصبح هامبلو السيد الاعلى فى الجزيرة وابقى وزراء السلاطين السابقين وابناءهم رؤساء على المدن والقرى.(١)

وفى ١٣ سبتمبر (١٨٩٣) كان حاكم مايوت الفرنسى قد جهز نصا يقضـــى بان السلطان سيد على قد تخلى عن جميع حقوقه فى القمر الكبرى لفرنسا.(٢)

وفى نوفمبر من ذلك العام كان الحاكم الفرنسى فى مايوت قد دعا السلطان الى الغداء على متن سفينة حربية واجبره على التوقيع على ذلك النص.(٣) وكان توقيعه على النص دليل على وقوع البلاد تحت الاحتلال الفرنسى الفعلى.

وبعد نهاية الغـداء اعلن بان السلطان سيد على معتقل لدى السلطات الفرنسية وصدر القرار بنفيه الى دغوسوارز " Diego-Suarez" بمدغشقر ثم غير قرار النفى الى "نوفيل كلدونيا" بيد ان باريس ابدت رغبتها فى ان يرحل الى (رينيون) وفى منفاه بجزيرة (رينيون) كان السلطان القديم يتلقى مرتبا فى ميزانية القمر الكبرى.(٤)

---

(١) Chakind Siday:l'histoire politique de la grande comores:op.cit. p. 94 .

(٢) Jean Martin: op.cit. p.174 .

(٣) Hocquet,Yves: op.cit p. 41 .

(٤) Hocquet,Yves: op.cit .p. 41 .

وفى عام ١٩٠٩ سمحت له السلطات الاستعمارية الفرنسية بزيارة القمر الكبرى تحت حراسة مشددة ولم تسمح له السلطات بمقابلة احد سوى افراد اسرته فى مرونى واطفاله الذين كان قد خلفهم فى "اكونى" و"فمبونى" .(١)

وبعد هذه الزيارة الاخيرة لبلاده نفته السلطات الاستعمارية الى منفاه الجديد (دغوسوارز" ومنها الى تاماقى) بمدغشقر وظل فيها حتى مات فى ١٠ فبراير ١٩١٦.(٢)

ضم القمر للمستعمرات الفرنسية (٣) • فى عام ١٩٠٨ قررت فرنسا ضم هذه الجزر الاربع لمستعمراتها فى افريقيا وتطبيق عليها القوانين السارية فى المستعمرات الفرنسية فيما وراء البحار وهو القانون الاستيعابى "Assimilation"

---

(١) Jean Martin :op.cit . p. 178 .

(٢) Flobert Thierry: les Comores,evolution juridique et socio-politique.(Paris 1976) . p. 229 .

(٣) Noel,L,M: Histoire de Mayotte et des Sakalavas.(sans date.S.L.) Op.cit. p. 183 .

الخلاصة هى ان القمرين قد اتهموا سيد على انه الذى جاء بالفرنسين الى هذه البلاد ليس الى القمر الكبرى فحسب بل ايضا الى هنزوان وموهيلى ومايوت وقد سرى هذا الاتهام فى اولاده واحفاده الى اليوم.

وهذا الاتهام ليس صحيحا لان مابوت كانت قد وقعت تحت الاحتلال قبل ولادة سيد على ثم ان كل جزيرة كان لها استقلالها الداخلى ولايرتبط بغيرها من الجزرالافى حدود العلاقات العرفية والدينية والاجتماعية والثقافية والتجارية والسياسية فى تبادل الوفود والبعثات وذلك باعتبار القمرين على مختلف جزرهم امة واحدة ترتبط بالدم والدين والثقافة والحضارة.

وفى راى الباحث انه حتى سيد عمر نفسه لا يمكن توجيه اتهام صريح اليه بخصوص موضوع وقوع القمر تحت الامبريالية الفرنسية لان سيد عمر لم يكن وراء دخول فرنسا الى مايوت ولكن بعد احتلال مايوت واخضاعها تحت القوة والسيطرة الفرنسية تقرب الى الفرنسين للعمل معهم من اجل كسب العيش الذى اصبح فى يد المستعمرين لان الظروف لم تكن مساعدة للقمرين فى مايوت لتكوين جبهة معارضة ضد الاجانب..

والحق ان اوروبا فى النصف الاخير من القرن التاسع عشر الميلادى كانت قد شحنت اسلحتها وقررت الزحف على أفريقيا لاستعمارها واستغلال لمواردها تحت غطاء ادخال المسيحية والحضارة الى القارة المظلمة .

وهى تلك الحضارة التى لم تجن منها افريقيا وكل بلاد الشرق سوى الاستعباد والنهب وكل مظاهر التخلف - واعادت اوروبا افريقيا وبلاد الشرق كلها الى عصور اكثر ظلاما لانها لم تعمل على تطويرها كما كانت تدعى بانها تحمل الحضارة التى سوف تطور تلك البلاد بل عملت على نهب موارد الشرق الى اوروبا وترك المستعمرات خاوية على عروشها ..

وتشهد بذلك كل بلاد الشرق فى انها لم تبدأ العمران ومظاهر التقدم البطئ فى معظم بلدان العالم المستعمر فى الماضى الا بعد خروج الاستعمار البغيض من تلك البلاد .

فلم يكن من المستطاع للسيد على او الملكة فاطمة او للسيد عمر او غيرهم من زعماء الشرق مهما بلغت درجة ثقافتهم ومعرفتهم للعالم ايقاف ذلك الزحف لان المرحلة نفسها كانت مرحلة تم الاتفاق الاوروبى فيها على تقسيم افريقيا وبلاد الشرق وكانت قد شحذت كل انواع اسلحتها ووسائلها المشروعة وغير المشروعة لتحقيق اهدافها الامبريالية .

وسيد على لم يكن اقوى من الخديو المصرى او سلاطين الدولة العثمانية او اشراف الحجاز او الشام والعراق من امراء وملوك وزعماء الشرق وقـــد وقعوا كلهم تحت النفوذ الاوروبى وسقطت بلادهم تحت الاستعمار.

وذلك بسبب عدم درايه هولاء الزعماء الكاملة لحقيقة المعاهدات والاتفاقيات واعتبارها مجرد علاقات طيبة فى الوقت الذى كانت تُجمعات الاوروبين الخطط الاخطبوطية الامبريالية الخفية التى تخلق المشاكل بين الشعوب لزيادة التفرقة والانشقاق (فرق تسد) لتسهيل اخضاعها وفرض هيمنتها واستعمارهـا.

الفصل الثالث

النظم الادارية الفرنسية

المبحث الاول :

نظام السلطنات القمرية قبل الاستعمار

المبحث الثاني :

نظم الادارة الفرنسية

نظام السلطانات القمرية قبل الاستعمار ·-

رغم أن كل جزيرة مثلت نوعا ما من الاستقلال بأعتبارها سلطنة قائمة بذاتها الا أن الشريعة الاسلامية كانت هى ماتتبعه كل سلطنة فى نظامها الدستورى والسياسى والاقتصادى[(١)] · وكان الكتاب والسنة هما المصدران الاساسيان للتشريع اضافة الى الاجماع والقياس على هدى المذهب الشافعى[(٢)] فضلا عن الحكم العرفى السائد فى المجتمع فيما لايخالف الشرع · وكانت اللغة العربية هى اللغة الرسمية لجميع دواوين السلطنات - والامارات[(٣)] ·

وقام النظام على اعتبار السلطان مطاع مادام يقوم بحماية وتنفيذ الاحكام الشرعية · وكان هذا الامر فى جميع امارات الجزر الاربع من القمر الكبرى وهنزوان ومايوت وموهيلى[(٤)].

النظام الاقتصادى ·-

على ضوء ماتقدم كان النظام المالى والاقتصادى متمشيا مع الشريعة الاسلامية من خلال بعث الزكاة الى بيت مال الامارة لمواجهة الاخطار والكوارث والحروب والانفاق على المساكين والفقراء واليتامى والارامل · فضلا عن بناء المساجد والخلاوى · فكان لكل مقاطعة صندوقها او بيتها المالى الخاص · كما أن المقاطعات المختلفة كانت ترسل ماهو مقرر عليها من مال الى بيت مال السلطنة[(٥)] ·

ولم يكن ما تقدمه الامارة أو المقاطعة عبارة عن نقود - بل كان فى معظم الاحوال تقدم جزءا من محصولاتها الزراعية كالذرة والقطن والجوز الهندى وخلاف ذلك حسب ماتشتهر المقاطعة بانتاجها من محصولات[(٦)]

---

(١) Jean Martin: Comores, quatre iles....vol.2 . op.cit. p.352 .

(٢) مخطوطة برهان مكيلى ص ٣٢ ·

(٣) مخطوطة برهان مكيلى ص٢٨ ·

(٤) Flobert Thierry: les Comores, evolution juridique et socio-politique (Paris 1976) op.cit.p. 410 .

(٥) Ibid: p. 423.

(٦) Ibid: p. 423 .

وتقوم السلطنة ببيع هذه المحصولات للدول المجاورة كزنجبار والمدن الساحلية ومدغشقر[1] أو بمبادلتها بغيرها مع سلطنة قمرية اخرى[2] هذا فضلا عن توزيع بعضها على الفقراء والمساكين واليتامى وطلبة العلم ٠

ذلك أن طلبة العلم كانوا يرحلون من مقاطعاتهم الى مقاطعات اخرى بقصد طلب العلم ٠ وكانت فى كل امارة دار خاصة بهؤلاء ـ وغالبا ما تكون هذه الدار بالقرب من الجامع الكبير أو زاوية من زوايا الطرق ـ الصوفية ٠ ويتم فيها تقديم الطعام والمأوى من زكاة الامارة التى تحصل عليها[3]

وفى المجال الزراعى كانت لكل مقاطعة اراضيها الزراعية الخاصة على حسب حدودها الجغرافية ٠ وكانت كل قرية لها شبه إكتفاء ذاتى فى الحبوب ـ ولكن جرت بين القرى والمدن وحتى المقاطعات المختلفة معاملات تجارية فيما بينها حسب الحاجة.[4]

ففى المدن والقرى الساحلية كانت تميل الى صيد السمك أكثر مما تميل الى الزراعة ـ فكانت فى حاجة الى القرى البعيدة عن الساحل ٠ التى كانت هى لاخرى فى حاجة شديدة الى سمك الساحل ـ ولذلك قامت الاسواق الكبيرة فى المدن الساحلية لاستقبال منتجات القرى البعيدة التى كانت تحمل محصولاتها من الارز والذرة والجوز الهندى والزيت والفاكهة وخلاف ذلك الى تلك الاسواق لمقايضة اهل الساحل ٠ هذا فضلا عن بيع فائض السلطنات للدول المجاورة ٠

ومن أشهر الاسواق سوق " دزاودزى " بمايوت وسوق " وانى " بهنزوان وسوق " فمبونى " بموهيلى ـ واسواق " اكونى " و اتسنرا مجين " و " جومانى " و " مال " بالقمر الكبرى[5] .

---

(1) Gevry,A: Essai sur les Comores.(Paris 1970)p.224.

(2) Jean Martin: op. cit. p.351 .

(٣) مازال هذا العمل متبعا حتى اليوم .

(4) Flobert Thierry: op.cit .p. 423 .

(٥) مازالت هذه الاسواق الى جانب أسواق أخرى تنال رواجا ٠ من البضائع والمنتجات المختلفة ٠

وكانت السلطنات القمرية قد عرفت العملات منذ زمن بعيد بسبب وقوع بلادهم فى منطقة بحرية ممتازة تستريح عندها الامم العابرة ومن العملات التى عرفت بها الريال النمساوى والجنيه الانجليزى[١].

وكان السلطان سيد على قد ضرب عملة فضية عام ١٨٨٣ عرفت بأسم " مبيسه " كذلك ضرب عبد الله الثالث سلطان هنزوان عملة فضية عرفت بأسم " ريال " عام ١٨٥٩[٢] ـ ومازال المصطلحان جاريين فى لغة اهل القمر حتى اليوم ـ اذ يقولون " مبيسة " ويعنون بها النقود عموما كما يقولون " ريال " عندما يحددون قيمة النقود كريال وريالين وثلاثة الخ . هذا عند التحدث باللغة القمرية . ولكن العملة اليوم تحمل اسم فرنك ـ قمرى .

النظام العسكرى :ـ

لقد كان لكل سلطنة جيشها الخاص يكون من افراد السلطنة ـ اضافة الى شرطة لحفظ الامن ولم يكن هذا الجيش يتلقى مرتبات لانه لم يكن جيشا منظما ـ اذ بسبب تفشى النزاعات بين الامارات خاصة القمر ـ الكبرى كان افراد السلطنة يتدربون منذ الصغر على استعمال السلاح استعداد لاى معركة[٣].

ولذلك يمكن القول أن أفراد كل امارة أو كل سلطنة كانوا هم بمثابة الجيش حتى اذا ما اندلعت الحرب واستنفر الامير كان الجميع على اهبة الاستعداد ـ وهذا ادى الى أن كل قمرى فى ذلك الوقت كان قادرا على استعمال السيف والنبال والرماح .

ومع ذلك فقد كانت هناك حراسة منظمة خاصة للامير[٤] ـ ربما كانت من الشرطة . ويبدو أن السلطان سيد على حاول ايجاد جيش منظم فى القرن التاسع عشر الميلادى . ولكن يبدو أنه بعد انتصاره على السلطان موسى فوم وزيادة حدة الثورات ضد معاهدة الحماية التى عقدها مع " هامبلو " عام ١٨٨٦ اودت بتلك المحاولة الى الفشل وذلك لهرب كثير من رجاله حتى لايقاتلوا اخوانهم الى جانب الفرنسيين ـ المسيحيين .

---

(١) Gevry,A: Essai sur les Comores. op.cit. p.224 .

(٢) Jean Martin :op. cit . p.352 .

(٣) Tixier Chantal - Emmanuelle: Une Colonisation,la faire de Comores.(Clermont - France 1981).p.348 .

(٤) Ali Omar:l'Exploitation des Comores(Saint-Denis Reunion)sans da-

وكانت اذا مانشبت حرب بين امارة واخرى تدخلت الامارات المحايدة لاصلاح ذات البين . وكثيرا ماتدخل سلطان السلاطين " تيبه " لفض النزاع بأعتباره السلطان الاكبر فى السلطنة والذى ينبغى على الجميع الانصياع له[1].

اما اذا ماقامت حرب بين قبيلة واخرى من اجل منصب سلطان - السلاطين فكان كل فرع من القبائل باماراتهم المختلفة يحارب الى جانب القبيلة التى ينتمى اليها . كلحروب التى وقعت بين السلطان احمد بن شيخ غوص وموسى فوم والاخير مع سيد على فى النصف الاخير من القرن التاسع عشر الميلادى[2].

غير أنه اذا قامت حرب بين سلطنة واخرى فكان على كل قادر من السلطنة أن يحمل السلاح الى جانب السلطان كالمعارك التى وقعت بين عبدالله الاول سلطان هنزوان و " رمان تيكا " الذى اغتصب امارة (موهيلى) وكذلك ماحدث بين " سولى " امير مايوت والسلطان سالم فى هنزوان فى النصف الاول من القرن التاسع عشر الميلادى[3].

بيد انه اذا ماتعرضت الجزر لخطر خارجى فكان السلاطين والامراء بمختلف جزرهم يتحدون لمواجهة الخطر كأخطار القراصنة الملجاشيين الذين كانوا يغزون هذه الجزر خلال القرن الثامن عشر الميلادى . وقد رأينا كيف دفعت هنزوان برجالها الى مايوت وموهيلى للدفاع عنها[4]- وكأنهم يقولون انا واخى على ابن عمى وانا وابن عمى على العدو .

وكان سلاح المحاربين هو السيف والرماح والنبال والدروع والختاجر والمنجنيق[5] - وكانت هذه الاسلحة تصنع محليا ولازالت . ويبدو انه مع الزحف الاوربى على المنطقة عرف القمريون السلاح النارى ولكن يبدو انهم لم يستعملوه قبل عام ١٨٨٣ ابان الحرب الاهلية بين سيد على وموسى فوم ثم بين الإول والسلطان هاشم وقد سبق ذكر ذلك فى الفصل الثانى .

---

(١) see, Jean Martin : Comores,quatre iles...op.cit.p.108 .

(٢) انظر الفصل الثانى المبحث الرابع . (٣) انظر الفصل الاول المبحث الثانى .

(٤) انظر الفصل الاول المبحث الثالث .

(٥) انظر مخطوطة برهان مكيلى ص ١٦ .

المجلس الاميرى :-

كان المجلس الاميرى أو السلطانى بمثابة برلمان يتحدث عن الشعب - وقد وجد هذا المجلس مع قيام السلطنات القمرية ٠

ففى هنزوان مثلا التى شهدت نوعا ما من الاستقرار رغم ما كان يحدث فيها من نزاع حول العرش عند وفاة سلطان وتولى آخر ، كان السلطان يقوم بتعيين رؤساء من العشائر على المقاطعات الجنوبية والشرقية والغربية والشمالية ٠ وكان يراعى عند تعيين هؤلاء الرؤساء عراقة الاصل من حيث العشيرة أو الفخذ فى المقاطعة.(١) وعرف هؤلاء الرؤساء بأسم شيوخ المقاطعات ومقرهم فى عاصمة المقاطعة(٢) التى تعرف بأسم (مْجِىِ وَعِزّ) أى مدينة العز ٠ وكان شيخ القبيلة يقوم بتعيين شيخ قرية الذين يتم اختياره من البطون الرئيسية للقرية ويتم ذلك بمباركة السلطان ٠ وكانت الوزارة من شيوخ العشائر(٣)

وكان امراء البيت الحاكم المسيل يظلون مقيمين بالعاصمة (موتسامودو " ٠ وذلك لكثرة الثائرين والمتمردين من افراد البيت الحاكم من بنى قبيلة " وذامسيلا "(٤) حتى لايشكلوا تهديدا على السلطان وكان هؤلاء الامراء من اخوان السلطان هم قادة الجيوش كما كان من بينهم الوزراء وكان منصب ولاية العهد من المناصب الخطيرة التى كثيرا ما ادت الى تمرد المطالبين بالعرش.(٥)

---

(١) Colin,Epidariste:Essai sur les Comores.(Paris Sans date) p. 62 .

(٢) Ibid : p.63 .

(٣) Ali Omar :op.cit.p.43 .

(٤) Robineau Claude:Societe et economique d'Anjouan(Paris 1966) p. 89 .

(٥) Jean Martin op. cit . p.124 .

ذلك أنه رغم التركيب الاموى للمجتمع القمرى الا أنه جرت العادة منذ قيام السلطنات فى الفترة التاريخية التى أشار اليها الباحث فى القرن السادس عشر الميلادى . أن يعين السطان أبنه البكر لولاية العهد بموافقة أمراء البيت الحاكم وشيوخ المقاطعات . ولكن من خلال دراستنا لهذا النظام اتضح لنا عدم استقرار الامور لولى العهد اذ ما يكاد يموت سلطان حتى تظهر انياب تمرد جديد من أعمام و أخوان السلطان .

وعلى اى حال فقد كان المجلس السلطانى يضم الامراء والوزراء و شيوخ المقاطعات الذين كانوا غالباً من رؤساء العشائر(١). ولم يكن يحضر هذا المجلس شيوخ القرى ولكن شيوخ المقاطعات كانوا يقومون بتبليغ القرارات الصادرة من المجلس اليهم . وكان المجلس ينعقد تحت رئاسة السلطان وبحضور قاضى القضاة الذى كان بمثابة المرجع الدينى للسلطنة(٢).

وعندما تم تكوين الاتحاد بين امارات موهيلى ومايوت وهنزوان على اثر القضاء على القراصنة الملجاشيين فى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى - كان السلطان فى هنزوان يقوم بتعيين امراء على الامارتين مايوت وموهيلى وكان هؤلاء الامراء يقومون بدورهم بتعيين شيوخ المقاطعات والقرى(٣). وكان امراء مايوت وموهيلى فى هذه الفترة يذهبون الى عاصمة هنزوان " موتسامودو " ويشاركون فى اعمال المجلس السلطانى(٤).

اما بعد خروج كل من مايوت وموهيلى على هنزوان وتكوين كل منهما سلطنة مستقلة على اثر احداث النصف الاول من القرن - التاسع عشر الميلادى اصبح لكل سلطنة مجلسها السلطانى الذى يضم شيوخ المقاطعات فضلا عن قاضى قضاة السلطنة(٥).

---

(١) Jean Martin : op.cit. p. p. 140 .

(٢) Ali Omar: op.cit .p. 44 .

(٣) Jean Martin : op. cit . p. 140 .

(٤) ibid: p.142 .

(٥) Colin,Epidariste :op.cit .p.63 .

وفى القمر الكبرى والتى كانت موجات العنف القبلى فيها على اشدها والتى تم تقسيمها الى ١٢ مقاطعة تمثل كل واحدة منها امارة لها مزايا استقلالية مع خضوعها لسلطان السلاطنين (تيبة) فقد كانت فيها عدة مجالس أميرية (١) .

اذا أن كل امارة لها مجلسها الخاص الذى يضم قاضى الامارة وشيوخ القرى والارياف وملوك العشائر وينعقد المجلس فى (مدينة العز) عاصمة الامارة . كما كان لعموم سلطنة الجزيرة مجلسها الذى يضم قاض القضاة وأمراء الامارات برئاسة (تيبة) السلطنة وحاشيته (٢) .

وكان المجلس يتردد فى انعقاده بين عاصمتين (نسجين) او (أكونى) ثم (ارغوجانى) بمرونى الحالية .

فاذا كان سلطان سلاطين السلطنة من قبيلة (ونابيروسا) فالمجلس يعقد اجتماعاته فى (ارغوجانى) أما اذا كان السلطان من قبيلة (ونا نمبايا) فالمجلس يعقد اجتماعاته فى (نسجين) عاصمة القبيلة (٣) كما كان فى ايام السلطان احمد بن شيخ غومى وحفيده سيد على فى الحالة الاولى . او ايام السلطان موس فوم فى الحالة الثانية -

وتكاد المجالس السلطانية القمرية تتشابه من حيث مواقيت انعقادها ورغم عدم اشارات المصادر والمراجع لدورات انعقاد هذه المجالس الا أن الباحث من خلال الدراسات التحليلية الوصفية والاستفادة من الرويات السمعية - يستطيع القول أن دورة انعقادها كانت مرة فى السنه .

---

(١) Jean Martin: op.cit.p. 137 .

(٢) Colin,Epidariste:op. cit.p. 63 .

(٣) Jean Martin: op.cit . pp.137-139.

وذلك بعد عملية الحصاد وحمل الامراء والشيوخ المحصولات الفائضة للامارات والمقاطعات فضلاً عن الزكاة الى رئاسة السلطنة لتجديد الولاء للسلطان • وتسويق المحصولات الى الخارج •

ولكن ذلك لايمنع أن اجتماعات ولقاءات مختلفة كانت تجرى بين الامير وشيوخ المقاطعة حول ما يجد من أحداث • كما انه لايمنع أن ينعقد المجلس الاميرى و السلطانى اكثر من مرة حسب الحالات الطارئة •[1] ولاشك أن اجندة الاجتماعات عموماً فى المجالس السلطانية او الاميرية على مختلف الجزر كانت تناقش عدة موضوعات منها — الجوانب الزراعية والاقتصادية والحالات الامنية للجزر وعلاقتها بين بعضها وبينها وبين جيرانها من الدول والمدن المجاورة • هذا الى جانب المستجدات التى تتعلق بالنزعات الاهلية فى حالة نشوبها والعمل على حلها عبر مناديب الامارات المحايدة •

ولاننسى فى هذا المجال أن نذكر أنه كان لكل امارة من امارات الجزر سجن خاص لاعتقال الخصوم السياسين مثل سجن (ابيد) بمدينة مرونى والذى اعتقل فيه السلطان موس قوم بعد هزيمته من قبل سيد على[2] — فضلاً عن سجن لمرتكبى الجرائم المختلفة •

والخلاصة أن جزر القمر مثل غيرها من البلاد الشرقية التى عرفت الحضارة منذ الماض البعيد • وباعتبارهم امه بحرية وعلى منطقة استراتجية — احتكت بكل الامم والشعوب العابرة والمستقرة ببلادهم • واستفادت من تجاربهم وكان للاسلام اثر كبير فى تنظيم شئون اداراتهم رغم كثرة النزاعات والحروب الاهلية

---

(١) see, Jean Martin :op.cit.p.137 .

(٢) انظر الفصل الثانى المبحث الرابع -

ورغم ما كان من تجاذب وخلافات بين هذه الجزر الا ان هناك شيء ينبغى الالتفات اليه وهو امر الْعَلَمُ .

ذلك أنه كان لكل جزيرة علمها الخاص باللون الاخضر عليه هلال باللون الابيض يحيط بنجمة بيضاء[1] ـ وفى هذا ايحاء ودلالة واضحة على تسمية (القمر) ـ بالفتحتين ـ التى سبق ان تناول الباحث انها جاءت من العرب .

هذا الى جانب انه يبدو أن كل نجمة كانت تسعى الى اخواتها ـ وهذا ماقام به رجال الحركة الوطنية فى الاربعينيات من القرن الحالى بتصميم علم البلاد باللون الاخضر عليه هلال يحيط بأربع نجوم رمزا لوحدة الجزر القمرية الاربع وسوف نرى ذلك فى دراسة أخرى .

(١) Jean martin : op.cit.p. I3o .

المبحث الثانـي

نظـم الادارة الفرنسيـة

بالرغم من اختلاف النظم الاستعمارية في ادارة المستعمرات الا أن هناك اتفاق عام بين جميع الدول الاستعمارية وان الاساس من ادارة هذه المستعمرات انما هو تحقيق هدفين اساسيين •

الهدف الاول كتم انفاس الشعوب المستعمَرة عن طريق الهيمنة والاستعلاء واستعمال اى سلاح لضرب اى مقاومة •

الهدف الثاني استغلال موارد البلاد المستعمَرة لصالح الدولة الام صاحبة السيادة • ويأتى ذلك عقب تمكين الاستعمار من تحقيق الهدف الاول •

ويأتى الخلاف بين النظم الاستعمارية فى ان انجلترا مثلا كانت تنتهج سياسة هدفها اعداد الافريقيين لحكم ذاتى فى دائرة الكومونولث - وذلك عن طريق " الحكم غير المباشر الذى يعنى ادارة - البلاد بواسطة الزعماء الوطنيين[1]•

وذلك من ناحية اخرى فى تفسير الزعماء الامبرياليين الانجليز ان الرجل الافريقى يختلف عن الرجل الاوربى فى تركيبته الاجتماعية والثقافية والسياسية[2] - ولذلك يصبح ضروريا فى توكيل الامور الى الزعماء المحليين لادارة المستعمرة تحت اشراف الادارة الاستعمارية •

بينما كانت فرنسا تطبق النظام الاستيعابى على جميع مستعمراتها - وهذا النظام يعتبر الافريقيين بمثابة مواطنين فرنسيين لهم ما للفرنسيين وعليهم ما على هولاء • اى بمعنى اخر سياسة المطابقة بتحويل الافريقيين الذين يسكنون فى مستعمراتها[3] الى صورة طبق الاصل من الفرنسيين[4]•

---

(١) نزيه نصيف ميخائيل - النظم السياسية فى افريقيا تطورها واتجاهها نحو الوحدة - وزارة الثقافة المصرية - القاهرة ١٩٦٥ ص ١٨ وص١٩ •

(٢) نزيه نصيف - المرجع السابق ص ٢١ •

(٣) صلاح صبرى • افريقيا وراء الصحراء • النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٠ ص١٧٣

(٤) د• زاهر رياض - استعمار القارة الافريقية واستغلالها • دار المعرفة بالقاهرة ١٩٦٦ ص٣٠ •

ولذا لم تحاول فرنسا تدريب الافريقيين على ممارسة الحكم الذاتى • بل كان يتولى الفرنسيون مقاليد الامـــور فى هذه المستعمرات ويسعون الى تحويل الشعور الوطنى الافريقى فى افريقيا الاستوائية او فى جزر القمر او مدغشقر او غيرها بفتح ابواب الثقافة والمدنية الفرنسية امامهـــم باعتبارهم مواطنيين فرنسيين[١].

وعلى الرغم من ان هذا النظام الاستيعابى الفرنسى ازال التفرقة العنصرية[٢] الى حد ما على عكس ماكان شائعا فى بعض المستعمرات البريطانية، الا ان المستعمرات الفرنسية تعتبر من ناحية اخرى اكثـــر تخلفا من غيرها - لان فرنسا عملت على توجيه المفاهيم - والمشاعر الوطنية الى فرنسا الام[٣].

كانت جزر القمر ضمن هذه المستعمرات الفرنسية التى شملها النظام الادارى الفرنسى وقد مر هذا النظام بتغييرات على مر السنيين الا ان حدود البحث تجعله لا يتعمق اكثر من العام ١٩١٥ - لان ذلك هو الحد النهائى لهذه الدراسة على ان تكون الدراسة القادمة عن الحركة الوطنية فى ذكر هذه التطورات - والتغييرات الادارية التى شهدتها هذه الجزر منذ الاربعينيات من القرن الحالى •

وقد تمثل النظام الادارى الفرنسى فى البداية على هذه الجزر على النحو التالى :

---

(١) انظر زاهر رياض • المرجع السابق ص ٣٠ - ايضا نزيه نصيف - المرجع السابق ص٢٢•

(٢) انظر زاهر رياض نفس المرجع السابق ص٣٠•

(٣) انظر صلاح صبرى - المرجع السابق ص ١٧٤•

الحاكم العام:

كانت فرنسا قد عينت حاكما عسكريا منذ عام ١٨٤٣- وكان مقره " دزاوزدزى "[١] "Dzaoudzi" عاصمة جزيرة مايوت القمرية • وكان فى البداية يتبع هذا الحاكم العسكرى حاكم جزيرة " رينيون "[٢] غير انه منذ تطور نشاطات واهتمامات - الفرنسيين للجزر القمرية ولمحاولة منع التحركات البريطانيه فيها خاصة فى هنزوان وموهيلى أدى ذلك الى فصل تبعية حاكم مايوت عن حاكم رينيون[٣].

وذلك حتى يستطيع حاكم مايوت متابعة الاحداث الجارية فى هذه الجزر دون انتظار صدور الاوامر من رينيون • فأصبح حاكم مايوت يقوم بالاتصال بباريس مباشرة منذ عام ١٨٥٩[٤] ولكن كان هناك تنسيق كامل بين حاكم مايوت وحاكم رينون حول مصالح فرنسا فى المنطقة فضلا عن مراقبة خصومها بريطانيا[٥].

ومن مايوت استطاعت فرنسا تنفيذ سياستها على بقية أخوات مايوت القمريات واخضاعها تحت سيادتها واستعمارها عقب ابرام المعاهدات التجارية والسياسية التى سبق ذكرها•

المقيم السياسى :

بعد سقوط هذه الجزر تحت الاستعمار الفرنسى • قامت فرنسا بتعيين مقيم سياسى معتمد لكل جزيرة من الجزر الثلاث - هنزوان وموهيلى والقمر الكبرى[٦] " غازيجا "•

وكان هؤلاء المقيمون المعتمدون يتبعون الحاكم العام بمايوت.[٧] فكانت عاصمة هذه الجزر منذ ذلك التاريخ " دزاودزى " بمايوت حتى عام ١٩٦٢[٨]-عندما نقلها د• سيد محمد شيخ الى مرونى بالقمر الكبرى[٩].

---

(١) Tixier Chantal-Emanuelle:Une colonisation,la faire de Comores .op.cit. p.40 .

(٢) Jean Martin. op.cit.p.367 .

(٣) Moustakime Said:les Enjeux juriques et politiques de la question de Mayotte.(Lemo-Togo 1987)p. 52 .

(٤) Flobert Thierry. op. cit .p. 412 .

(٥) Jean Martin: op. cit .p. 367 .

(٦) Soilih Mahmoud: Prespectives de reglement de la question de Mayotte(Dakar Segal 1983) p. 83 .

(٧) Ibid.p. 84 .

(٨) Flobert Thierry : op.cit.p. 412 .

(٩) [illegible]

رؤساء المدن والقرى :

قام المقيمون المعتمدون بتعيين رؤساء المدن والقرى - وكان هؤلاء الرؤساء من بقايا النظام الاقطاعى والسلطانى السابق من ابناء الامراء والسلاطين والوزراء وشيوخ القبائل.[١]

واصبحت مهمة هؤلاء الرؤساء هى جمع الضرائب وانهاء النزاعات القائمة بين الافراد[٢]. او الابلاغ عن الخلافات والمشاكل التى تحدث بين الافراد والعشائر التى تصعب على زعيم القرية أو المدينة حلها الى السلطات المختصة[٣] • فى عواصم الجزر •

ولقد تطور نظام تعيين الرؤساء عقب ١٩١٥ وذلك عقب قيام الثورات المبكرة ضد الاستعمار فى هذه البلاد.[٤]

وأصبحت الادارة الفرنسية منذ ذلك التاريخ تقوم بتعيين الموظفين الفرنسيين أو الاجانب لادارة المقاطعات والاقاليم • كذلك تطور هذا النظام الى تعيين المثقفين منذ الاربعينيات من هذا القرن[٥]

ضم جزر القمر الى مدغشقر :

فى عام ١٩٠٨ أصدرت الحكومة الفرنسية قرارا بضم جزر القمر بملحقاتها الى مدغشقر والغى هذا القرار وظيفة الحاكم العام بمايوت وعين فيها مقيم معتمد مثل بقية الجزر[٦]

ومنذ ذلك الوقت اصبحت الوثائق والتقارير الحكومية تكتب وتدون بأسم حكومة مدغشقر والقمر - وأصبحت عاصمة مدغشقر " تناناريف " هى عاصمة هذه المستعمرة وملحقاتها الجديدة.[٧]

---

(١) Jean Martin: op.cit. p.370 .

(٢) Du Plantier:la grand-Comore,sa colonisation.op.cit. p.153 .

(٣) Jean Martin: op.cit.p.371 .

(٤) Flobert Thierry: op.cit .pp. 435-436 .

(٥) Ibid:p. 336 .

(٦) Jean Martin: op. cit .p. 179 .

(٧) Mohamed Ahmada Mli:Origines et evolution de l'Affaire de Mayotte.(Moroni Comores 1982) p.198 .

وبدأت " تناناريف " تصدر القرارات والاوامر الصادرة من باريس الى المقيمين المعتمدين فى الجزر القمرية لتنفيذها[١] ومع ذلك فقد كانت مايوت بمثابة العاصمة لهذه الجزر .

وظل الامر كذلك حتى عام ١٩٤٦ عندما قام د. محمد شيخ وهو اول نائب قمرى يدخل الجمعية الوطنية الفرنسية بمطالبة فصل جزر القمر عن مدغشقر اداريا[٢]. وذلك لاختلاف الثقافات والحالات الاجتماعية ونحوها بين القمر ومدغشقر .

المحاكم المختلطة :

كانت فى كل سلطنة من سلطنات الجزر محاكم شرعية قبل الاستعمار وكانت مهمة هذه المحاكم الفصل فى القضايا الشرعية - والاحوال الشخصية من عقود زواج وميراث وطلاق[٣] وخلاف ذلك . وظلت هذه المحاكم تعمل اثناء الاستعمار - وكان يتولاها فقهاء قمريون . ولكن مع دخول الاستعمار وجدت محاكم اخرى - هى المحاكم المختلطة .

والمحاكم المختلطة عبارة عن محاكم تفصل فى القضايا والمسائل والنزاعات التى تنشأ بين القمريين والفرنسيين أو الاجانب الاخرين وكانت هذه المحاكم تضم قاضيين قمريين واثنين فرنسيين الى جانب السكرتير القضائى الفرنسى الذى يوقع على العقوبات وكان هذا - السكرتير غالبا هو المقيم المعتمد[٤]

وكانت مقار هذه المحاكم هى " دزاوزدى " العاصمة السابقة و "لامرونى"[٥] العاصمة الحالية .

وقد تطورت أعمال هذه المحاكم مع بروز الحركة الوطنية أو - قبلها . وذلك بتقسيم كل جزيرة حسب تعداد سكانها ومساحتها الى مديريات وأقاليم[٦].

---

(١) Flobert Thierry:op.cit. p.229 .

(٢) ibid: p.436 .

(٣) Jean Martin .op. cit .p. 371 .

(٤) Meunier Alexis :le Statut politique et administratif de l'Archipel des Comores de l'Annexion a lautonomie restreinte. 1912-1968.(S.L. 1970). p.132 .

(٥) Meunier Alexis:op. cit. p.132 .

(٦) Ibid:pp. 132-134 .

الضرائـــب :

يمكن اعتبار الحسنة الوحيدة التي تحسب في ميزان فرنسا في جزر القمر - هي توحيد هذه البلاد[١] - بعد أن كانت كل جزيـــرة تمثل سلطنة مستقلة تكاد ان تتشابه دول المدن في تاريخ اليونان القديمة .

لكن رغم هذه الحسنة فقد صاحبت الادارة الاستعماريـــة الفرنسية في جزر القمر مساوىء كثيرة جدا . ومن هذه المساوىء الضرائب الباهظة والعمل الاجباري .

بعد قرار ضم جزر القمر الى المستعمرات الفرنسية عام ١٩٠٨ اصدر الحاكم العام في مايوت قرارا يقضي بفرض ضرائب على الشعب القمري . وتمثلت هذه الضرائب في ضريبة الـــرأس وضريبة المزارع[٢].

ولم يكن الشعب القمري مستعدا لقبول هذه الضرائب - لانه عاش قرونا طويلة في حرية واستقلال جزره واماراته وتحت ظروف اجتماعية قبلية متشددة[٣].

وكانت هذه الضرائب الباهظة أحد اسباب المقاومة الشعبية المبكرة التي قامت في هذه الجزر ضد السيطرة والسيادة الفرنسية.[٤]

والحقيقة أن الضرائب كانت عالية جدا بالمقارنة مع ظروف هذه البلاد التي قامت على مجتمع القرية - واعتماد هذا المجتمـــع على مزرعة القرية الصغيرة في اكتفائها الغذائي[٥].

ذلك انه بالرغم من أن النقود عرفت في هذه البلاد وان - كل جزيرة كانت لها عملتها الفضية قبل الاستعمار خاصة هنزوان

---

(١) انظر مخطوطة برهان مكيلي ص ٤٩ .

(٢) Tixier Chantal-Emanuelle:Une colonisation,la faire des Comores. op.cit. p.67 .

(٣) Flobert Thierry: op.cit .p. 437 .

(٤) Said Soilih Youssouf:le legs agraire colonial aux Comores (Alger- Algerie 1980)p.258 .

(٥) Ali Omar : l'Exploitation des Comores.op.cit .p.39 .

والقمر الكبرى[١] - والاولى كانت قد ضربت عملتها الفضية منذ ايام السلطان عبدالله الاول - ثم تطورت فى أيام عبدالله الثالث - وكانت الاخيرة " القمر الكبرى " قد ضربت عملتها ايام السلطان أحمد وتطورت كذلك فى عهد السلطان سيد على[٢].

وكانت هذه العملات متداولة فى كل من هنزوان و مايوت وموهيلى والقمر الكبرى هذا الى جانب انتشار الريال النمساوى والجنيه الانجليزى فى هذه الجزر[٣]. غير ان هذه النقود كانت قليلة نسبيا .

ذلك لان الاقمشة التى كانت تأتى من ايران والهند وعُمّان وزنجبار الى هذه البلاد . كانت اسعارها زهيدة جدا - وغالبا ماكانت المعاملة التجارية تتم بواسطة المقايضة . وكان بأمكان أى أحد من افراد الشعب القمرى شراء ما يحتاجه من اشياء - والتزامات خاصة به[٤] .

فلم تكن الحاجة لحيازة النقود كبيرة لوجود الاكتفاء الذاتى للغذاء ولاجراء اغلب المعاملات التجارية بواسطة المقايضة والمبادلة[٥].

فكانت الضرائب المفروضة على الشعب تعنى فتح مجال جديد للحصول على المال[٦] - وهذا يعنى من ناحية اخرى الخروج على تقاليد المجتمع القبلى فى زراعة القرية الى عالم جديد هو عالم طلب المال لدفعه للادارة الاستعمارية خوفا من الاعتقال والسجن والاهانة والتعذيب والعمل الاجبارى[٧].

وكانت الضرائب تتراوح بين (٣) الى (٤) ريالات[٨] - وبعض المراجع تقول أنها كانت تتراوح بين (٤) الى (٦) ريالات[٩]. وكانت مفروضة على كل البالغيين رجالا ونساء[١٠].

---

(١) Gevry,A.: Essai sur les Comores.op.cit.p.224 .

(٢) Robineau Claude:Societe et economie d'Anjouan.op.cit.p.26.

(٣) Doc.no.317:12/1883. (CNDRS) p.14 .

(٤) Gevry,A. op.cit .p. 224 .

(٥) Said Soilih Youssouf: op.cit. p.249 .

(٦) Jean Martin: op. cit . p.392 .

(٧) Ali Omar :op.cit .p. 39 .

(٨) Gevry,A: op. cit .p.225 .

(٩) Ali Omar: op. cit .p.39 .

(١٠) Jean Martin :op. cit . p. 393 .

غير ان كاتب فرنسي[١] يقول ان الضرائب كانت على الرجال البالغيين فقط = ولم تتعرض اية امرأة قمرية لاى نوع من الاذى من جانب الادارة الفرنسية • الا اذا حاولت اخفاء احد رجالها عند المطالبة بدفع الضرائب او الى العمل الاجبارى •

ويبدو أن النساء اللائى كن يدفعن الضرائب هن من المالكات للمزارع والبيوتات التجارية اذ يذكر بعض الكتاب ان الضرائب التى فرضت على النساء تم الغاءها بعد مقاومة ١٩١٤[٢].

العمل الاجبارى:

اعتمدنا فى هذا المبحث على اقوال المعاصرين لان المراجع القليلة التى ذكرت او تناولت هذا الموضوع كانت تبرر هذا العمل وذلك بقولهم انه كان لتعليم هؤلاء الكسالى العمل لتطوير بلادهم[٣] •

وهذا اتهام غير صحيح لان القمرى رجل نشيط ومجتهد فى العمل ومستعد للعمل الليل والنهار فى سبيل اكتفائه الغذائى له ولاهله وذلك حماية لكرامته • فتكاد تكون كل اسرة فى المدينة أو فى القرية مكتفية وبالتالى تتعاون القرية فى سد حاجاتها من الغذاء وبيع الفائض الى القرية المجاورة أو نحو ذلك[٤].

فهذا العمل الجديد لم يكن لتعليم القمريين العمل والانتاج• ولكنه كان عملا مهينا لكرامة الانسان كما يقول الذين عاصروا ذلك العمل الاجبارى[٤].

اذ كان الجنود الفرنسيون يدخلون البيوت بطريقة بربرية[٥] ويأخذون الناس قسرا الى مواقع العمل لقطع الاشجار وحملها على الاكتاف

---

(١) see,Gevry,A: op.cit. p.235 .

(٢) Jean Martin: op. cit .p. 393 .

(٣) Capmartin,Colin,Epidariste:Essai sur les Comores(Paris S.L.) p. 108 .

(٤) أحمد معوار، مقابلة - مدينة متساعا ميرديماني - القمر الكبرى ١٢/٢/١٩٩١.

(٥) Ali Omar: op. cit .p. 39 .

والرؤوس الى الموانىء الكبرى كمدينة "مرونى" و"موتسامود" و "دمونى" و "فمبونى" فترحل الى خارج البلاد.[١]

وكان هذا العمل فى البداية عقابا لمن لم يدفع الضريبة ولكن أدركت الادارة الفرنسية أن المشاريع الزراعية واصلاح طرق المرور تحتاج الى قوة عاملة اكبر من اولئك الافراد الذين يؤخذون الى هذا العمل بسبب عدم دفع الضرائب[٢].

وكان التحليل الفرنسى عندما قررت فرض العمل الاجبارى - على كل القمريين القادريين هو أنه سوف يكون بمرور الزمن فى امكانية هؤلاء المتهربين من الضرائب دفعها للنجاة من هذا العمل . وهذا يعنى انعدام الايدى العاملة فى المشاريع الزراعية والتجارية واصلاح الطرق[٣] وخلاف ذلك .

وبناء على هذه التصورات قامت الادارة الفرنسية عام ١٩١٣ بأصدار قانون محلى يقضى بالعمل الاجبارى على كل قادر[٤].

وفرضت الادارة الاستعمارية على كل مواطن حمل بطاقة أوكرت يعرف بأسم " كيباندى "[٥] "Kipanda" تدل انه أدى العمل . واذا لم يحمل هذه الـ " كيباندى " فأنه يعذب ويرسل على الفور الى مواقع العمل[٦].

ويقول بعض الكتاب أن هذا يختلف عما كان عليه فى شرق افريقيا البريطانية لان فرنسا ساوت بين المواطنين فى مستعمراتها بالمواطنين الفرنسيين . ولكن هذا العمل كان من اجل مصلحة الشعب القمرى فى تحسين الطرق والزراعة وتعليمهم فنون التجارة[٧].

---

(١) أحمد مغوار - مقابلة - مدينة متساغامو ديمان - ٢٠/١٢/١٩٩١.

(٢) Ali Omar:op.cit. p. 56 .

(٣) Said Soilih Youssouf:op.cit .p. 116 .

(٤) Jean Martin :op. cit . p. 397 .

(٥) Gevry,A: op. cit . p.235 .

(٦) Ali Omar:op. cit .p. 56 .

(٧) Gevry,A: op. cit .p. 235 .

والواقع ان تطور النظام الفرنسي الى مساواة المواطنين في المستعمرات بالفرنسيين بدأ بشكل واضح أو تطور الى واقع بعد الحرب العالمية الثانية - ولكن قبل ذلك أو بالاحرى في بداية الاستعمار واخضاع البلاد تحت الهيمنة والسيادة ؛ كانت العنجهية الاوربية والاستعلاء الامبراطوري يظهر في الفرنسيين تجاه أهالي - المستعمرات مثل البريطانيين وبقية الامبرياليين .

ولم يكن صحيحاً أيضاً أن هذا العمل لتطوير هذه الجزر اذ ان - هذه البلاد لم تشهد تطورا في عهد الاستعمار . فأذا لم تتخلف أكثر مما كانت فأنها وقف نموها بمجيء الاستعمار الفرنسي والشاهد على ذلك أن كل قمري حتى اليوم عندما ينسب بعض الانجازات الحضارية من طرق ومدارس ومباني ومطارات ونحو ذلك ينسبها الى د. محمد شيخ الذي ظهر (١٩٤٦-١٩٧٠)[١] عقب الحرب العالمية الثانية اضافة الى رجال الحركة الوطنية الاخرين .

فالامر كما يقول المعاصرون ان اصلاح الطرق في ذلك العهد كان لتمرير موارد البلاد الى الخارج - وتسهيل مرور الفرنسيين على رؤوس القمريين[٢].

وقد الغى د. شيخ هذا العمل المشين عام ١٩٤٦ فور توليته منصب نائب ممثل للقمر في الجمعية الوطنية الفرنسية[٣].

وكانت مدة العمل الاجباري أسبوع من كل ثلاثة شهور[٤]- يظل الفرد يعمل بعيدا عن أهله واولاده - وعندما يرجع قد لايأمن أن - تأتيه جنود الادارة الاستعمارية في اى وقت[٥].

وهذا يعني أنه رغم هذا الاسبوع المحدد في قانون هذا العمل على مايبدو الا انه كان من الممكن اداء العمل اكثر من ذلك - خصوصا اولئك الذين لم يدفعوا الضرائب .

---

(١) مقابلة مع مبارك سالم بمدينة " متسمهول " عاصمة الاقليم الشمالي بالقمر الكبرى بتاريخ ٩١/٤/٢٢ .

(٢) مقابلة مع الشيخ امل نوراجي بمدينة " واني " بجزيرة هنزوان ٩١/٣/٥.

(٣) Chakind Siday: l'histoire politique de la Grand-Comore.(Paris 1983) op. cit.p. 162 .

(٤) Ali Omar: op. cit .p. 56 .

(٥) مقابلة مع الشيخ غناري (هانيزى) ٩١/٤/١٤.

الشركات الامبريالية وادارة المشاريع:

على أثر الاتفاقيات التجارية وغيرها التى تمت بين لمبيرت والملكة جومبى فاطمة ملكة موهيلى عام ١٨٦٥ [١] والتى منحت لمبيرت بمقتضاها امتلاك جميع اراضى الجزيرة - كذلك الاتفاقيات التى ابرمت بين هامبلو والسلطان سيد على عام - ١٨٨٥ [٢] وغير هذه الاتفاقيات التى تم عقدها بين الفرنسيين وسلاطين الجزر القمرية • على اثر ذلك بدأت الشركات - الاستعمارية العمل فى المشاريع الزراعية والتجارية داخل الاراضى القمرية •

كذلك ضمت هذه الشركات فى البداية المصانع التى كانت قائمة بهذه الجزر قبل دخول الاستعمار مثل مصانع السكر بجزيرة هنزوان ومايوت ومصانع الاقمشة بالقمر الكبرى واصبحت هذه المصانع تحت ادارة هذه الشركات [٣]

وفى عام ١٩١٠ وضعت الادارة الاستعمارية فى جزر القمر مشروعات هذه الشركات بما فيها المصانع تحت ادارتها [٤] - وابقت لاصحاب الشركات اراضى يديرونها فى مشاريعهم الاخرى هذا الى جانب منحهم الاموال التى تمكنهم من ادارة مشاريعهم الخاصة [٥]

وكان هامبلو الذى يعتبر من أهم بناه الاستعمار الفرنسى فى بلادنا والذى كانت له مشاريع خاصة فى القمر الكبرى وهنزوان - قد اقام مشاريع خاصة فى " شنغودوندا " و " مفى غون " بالقمر الكبرى - و " بومونى " بهنزوان وتفرغ لها منذ عام ١٩١٠•

---

(١) Guy Paul: Histoire Politique des Comores.op.cit.p.343 •

(٢) Verrin Pierre: Guerres civilles comoriennes.op.cit.p.123

(٣) Jean Martin: Comores,quatre iles...op.cit.p.353 •

(٤) Ali Omar: op. cit. p.78 •

(٥) Jean Martin:op.cit. p.353 •

(٦) Gevry,A: op. cit . p.221 •

وظلت الادارة الاستعمارية تدير هذه المشاريع الى جانب المصانع القائمة منذ عام ١٩١٠ الى الستينيات من هذا القرن[١] عندما لاحت علامات التحرير فى الافق ـ اذ قامت الادارة ـ الاستعمارية بتخريب مصانع السكر والزيوت والاقمشة ـ وهذا سوف يظهر بوضوح فى الحركة الوطنية ٠

وهذا يوضح من ناحية اخرى ان الادارة الفرنسية لـم تعمل على تطوير هذه البلاد واصلاحها كما يزعم البعض[٢] بل كانت مهمتها تدميرها وتخريب ماكان قائما ونهب مافيها وتركها هيكلا لا روح لها ٠

والخلاصة انه ـ كما سبق الاشارة ـ ان الاستعمار فـى ظل اى علم كان له مدلول واحد لا يتغير هو الاستغلال والتسلـط واستهلاك موارد الشعوب ـ وتنتهى الغاية الى مظاهر واحدة ماديـة ملموسة[٣].

ومن ثم يضعف الشعب المغلوب على امره واذابة شخصية هذا الشعب وطمس معالمها وتراثها وحضارتها وربط هذا الشعـب بعجلة الاستبداد والاستغلال[٤].

ولقد ظهر من خلال ما امكن الان عرضه فى هذا الفصـل من وحشية الادارة الفرنسية من ضرائب عالية وعمل اجبارى وتجريد المشروعات التى كانت قائمة من اهلها الى الامبرياليين وتسخـير الاهالى الى عمال بدون أجر ـ الامر الذى افرز رد فعل قوى فـى المقاومة المبكرة ضد هذا الظلم الادارى الدخيل ٠

---

(١) Flobert Thierry: op. cit .p. 452 .

(٢) Gevry,A: op. cit .p. 235 .

(٣) صلاح صبرى ـ افريقيا المدارية ـ مكتبة النهضة ١٩٦٠ ص ١٧٢ ٠

(٤) انظر صلاح صبرى ـ المرجع السابق ص ١٧٢٠

اما افظع مافى النظم الادارية الاستعمارية الفرنسية هى سياسة التشابه أو المطابقة او الاستيعابى[١] - وهدف هذه السياسة - كما سبق الذكر - هو ادماج الاقاليم المستعمرة ادماجا كاملا وتشبيه شعوب تلك الاقاليم بالشعب الفرنسى فى وحدة سياسية واقتصادية واجتماعية وفى مظاهر ثقافية وفكرية ومذهبية واحدة .

وهذا الاستعمار - كما يشير صلاح صبرى[٢] - على خلاف النظم الاستعمارية الوحشية الاخرى لانه استعمار ابادى - اى لابادة تراث وثقافات وحضارات تلك الشعوب وهو أبشع نظام استعمارى لانه حتى هذا التشابه فأن العدالة كانت معدومة - وظل - الافريقى الاسود يحمل الابيض فى حين ان الابيض لم يحمل الافريقى.

---

(١) د. زاهر رياض - استعمار القارة الافريقية واستقلالها . دار المعرفة القاهرة ١٩٦٦ ص ٣٥.

(٢) صلاح صبرى - المرجع السابق ص ١٧٢.

الفصل الرابـــــع

التعليم

المبحث الاول

التعليم قبل الاستعمـــار

المبحث الثانـــى
التعليم تحت الادارة الاستعمارية

المبحـث الاول

التعليم قبل الاستعمـــار

الخـــلاوى :

كان التعليم السائد فى جزر القمر قبل الاستعمار هو التعليم الخلوى وكانت الخلوة القمرية مزدوجة ـ تقبل الاطفال بنين وبنات على حد سواء • ولم تكن هناك مقاعد ـ ولكن كانوا يفترشون الارض وكان للاولاد اماكنهم او جانبهم الذى يجلسون عليه • والبنات فى الجانب الاخر(١)•

ولا نجد صفوفا دراسية فى الخلاوى القمرية • ولكـــن نستطيع من خلال قياس الطريقة التى تقدم بها الخلاوى موادهـــا التعليمية ان نحدد صفوفا تقريبية من خلال اعمار التلاميذ•(٢)

كان عمر الطفل عندما يلتحق بالخلوة ٤ سنوات وذلـــك بأعتبار الخلوة مؤسسة تربوية شاملة فيها مرحلة الحضانة أو ـ الروضة ثم مرحلة الانتظام فى الصف الدراسى •

ومن عمر ٤ الى ٧ سنوات يكون الطفل فى الصف الاول ومن ٧ الى ٩ سنوات يكون فى الصف الثانى ـ ومن ٩ الى ١١ سنة يكون فى الصف الثالث ـ ومن ١١ الى ١٣ سنة يكون فـــى الصف الرابع ـ ومن ١٣ـ ١٤ أو ١٥ سنة يكون فى الصف الخامس ـ وهو الصف النهائى فى الخلوة القرآنية(٣) •

---

(١) تطورت العملية التعليمية فى الخلاوى واصبحت توفر مقاعد للجلوس•

(٢) دراسة ميدانية على عدد من الخلاوى القمرية منها ـ خلوة الشيخة فاطمة اسلام مدينة " هانسينرى " وخلوة الشيخ سيد عبدالله مدينـــة " مرونى " وخلوة الشيخة بركة ناصر مدينة " موتسامودو " •

(٣) دراسة ميدانية على الخلاوى السابقة •

التعليم قبل الاستعمار:

كان التعليم فى هذه الجزر فى بداية الامر وقبل وقوعها تحت الاستعمار • فى يد الخلاوى - التى قامت مع دخول الاسلام الى هذه البلاد فى القرن الاول الهجرى ومن الخلاوى القرآنية تطورت عملية التعليم الى المدارس الفقهية •(١)

وكانت الدراسة فى هذه الخلاوى هى تعليم القرآن والعبادات والتوحيد ونحو ذلك من امور الدين الاسلامى(٢)

وتطورت عملية التعليم فى الخلاوى حتى أصبحت النساء - يحتلن مكانة ممتازة فى ادارتها وتشغيلها كمعلمات للقرآن الكريم والتربية الاولية للطفل فى تلقينه الاخلاق والمبادىء الاسلامية الفاضلة (٣)

وكان هناك برنامج منظم وُضع فى جميع الخلاوى القمرية - لتدريس الاطفال حتى يصلوا الى مرحلة التخريج •

ويتمثل هذا البرنامج فى المنهج التعليمى الخلوى فى المقررات التعليمية والنشاطات التى كان التلاميذ فى الخلوة يقومون بها خارج الخلوة والمكافأت التى كان يتلقاها معلم الخلوة ونحو ذلك (٤)

---

(١) David Inous:l'Education comorienne(Paris,1973)p.17 •

(٢) مخطوطة برهان مكيلى•

(٣) David Inous :op.cit.p. 18 •

(٤) دراسة فى خلاوى عديدة منها خلاوى الشيخة فاطمة اسلام" هانسيز " والشيخ عبدالله " بمرونى " والشيخة بركة ناصر " بموتسامودو " بالقمر الكبرى وهنزوان•

المنهج والمقررات :

كانت المقررات فى الخلاوى القمرية موزعة على الالواح والكراسات والمصحف ثم المحاضرات التى كانت تلقى على التلاميذ فى حثهم على الصلاة وطاعة الوالدين والصوم وفعل الخيرات - واتباع سيرة النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة.(١)

وكانت هذه المحاضرات التربوية تلقى على مسامع - التلاميذ الصغار - ولايطلب منهم سوى سماعها والاهتداء بهديها.(٢)

أما الالواح وتعرف بالقمرية "مْبَاوُ" ومفردها" وُوَاوُ" فكانت هى البداية التى يبدا بها الطفل عندما يلتحق - بالخلوة.(٣)

اذ يقوم المعلم بكتابة الحروف الابجدية العربية الاولى على اللوحة . ويبدأ بتدريس هذه الحروف واحدا تلو آخر . حتى يجيدها التلميذ اجادة تامة حفظا وكتابة وقراءة.(٤)

وبعد ذلك يقوم المعلم ايضا بكتابة الحركات من فتحه وكسرة وضمة وسكون ويشكل بها على الحروف تشكيلات مختلفة - فمرة يضع الفتحة على الباء أو غيرها من الحروف ومرة أخرى يضع الكسرة واحيانا يضع الضمة . وذلك حتى يتبين للتلميذ أن كل هذه الحركات تصلح وضعها على كل حرف من الحروف.(٥)

---

(١) Jamilat Achraf:l'education islamiqueaux Comores.(Paris 1980) p.45 .

(٢) Ibid : p. 45 .

(٣) دراسة فى خلاوى عديدة منها خلاوى الشيخة فاطمة اسلام والشيخ سيد عبدالله . والشيخة بركة ناصر (السابقة)

(٤) David Inous :op.cit .p.23 .

كذلك : شكيب ارسلان . حاضر العالم الاسلامى . المجلد الثالث الحلبى القاهرة ١٣٥٢هـ ص١٥٣.

(٥)

ويبدأ التلميذ بقراءة هذه الحروف المُشَكَّلة كأن يقول : " بَ بِ بُ " و " تَ تِ تُ " ونحو ذلك وعندما ينتهى من هذه المرحلة التى يكثف فيها المعلم جهده تجاه هذا الطفل لترسيخ هذه المعلومات الجديدة فى ذهنه • تقف مهمة اللوحة هنا لتستريح بعض الشيء• وينتقل التلميذ بعد ذلك الى " الكراسة "[١]•

و " الكراسة " وهو الاسم الذى يطلق على هذا الكتاب وهو عبارة عن كتاب صغير الحجم يضم جزء عم • وبعض الكلمات البسيطة السهلة التى تكون فى بداية هذه الكراسة اضافة للحروف الابجدية التى سبق وان درسها وحفظها •

وكانت الكلمات السهلة هذه عبارة عن قواعد نحوية ولكنها لا يطلب من التلميذ فهم هذه القواعد بل المطلوب منه فقط قراءتها وحفظها[٢]•

ومثال هذه الكلمات •" أنا - أنتَ - أنتِ - هو - هى ••• الخ كذلك - كتبَ وكتبتُ - كتبنا - كتبتم وضَربَ وأضْربُ - ضربوا - ولعلَّ - لعلك - لعله - وكان - أنَّ - لكنَّ - أبِى - أخوك ونحو ذلك[٣]•

ومن سلسلة هذه الكلمات والالفاظ التى لا يطلب من التلميذ فهم قواعدها ونحوها وصرفها بل تتطلب معرفة قراءتها وهى مشكلة بصورة سهلة من حيث كتابتها بخط واضح وعدم ازدحام الكلمات فى الاسطر والصفحات تتكون الكراسة[٤]•

---

(١) Zakiya Idjihad:l'Islam et l8Education aux Comores.(Alger Algerie 1979).p. 150 •

(٢) Ibid:p.150.

(٣) دراسة على الكراسة " فى الخلاوى السابقة

(٤) Zakiya Idjihad:op.cit.p.150 •

وكان النظام فى تعليم هذه الكلمات أن يقرأ المعلم كلمتين أو ثلاث أو أكثر حسب استعداد التلميذ الذكائى والنفسى • وبعد أن ينتهى المعلم يأمر التلميذ بقراءة هذه - الكلمات مرارا وتكرارا ثم يأتى اليه المعلم بعد وقت وجيز ويستمع اليه فأن حفظها وأجادها اعطاه غيرها وهكذا الى أن يكمل هذه الكلمات[١] •

وبعد أن ينتهى التلميذ من قراءة هذه الكلمات ويكمل الصفحات التى فيها هذه المفردات والتى تبلغ فى أغلب الكراسات عشرة صفحات - ينتقل التلميذ الى سور جزء عم[٢] •

ويبدأ بسورة الناس ثم الفلق فالصمد وهكذا الاسهل الى الاصعب حتى يصل الى سورة النبأ • وذلك بمتابعة المعلم الذى يقوم بأعطائة سورة تلو الاخرى بعدما يتأكد من اجادته وحفظه للسور السابقة[٣] •

وعندما يصل الى سورة النبأ ويختم جزء عم يقوم المعلم ويستمع اليه وهو يقرأ جزء عم كاملا بحضور اقرانه الذين فى هذا الصف • ويكون هذا التلميذ فى هذا الوقت قد انتهى من صفين - الصف الاول وكان فى " الالواح " والصف الثانى فى - " الكراسة[٤] "

ويصعد التلميذ الى الصف الثالث وهو أصعب وأخطر الصفوف • لانه صف لا يفارقه المعلم اطلاقا ويضم التلاميذ النابغين وتبرز فى هذا الصف الخلوى الفروق الفردية فى الذكاء والفهم والاستيعاب وحتى الظروف النفسية[٥] •

---

(١) Jamilat Achraf:op.cit.p. 46 .

(٢) دراسة على الخلاوى السابقة •

(٣) دراسة على الخلاوى السابقة •

(٤) Jamilat Achraf :op.cit.pp.46-47 .

(٥) Ibid :p.48 .

ويكون بمقدرة المعلم فى هذا الصف التنبؤ بمستقبل التلاميذ التعليمى والتربوى وذلك من خلال متابعته المستمرة واشرافه المباشر لهذا الصف[١]. وليس كل ما يتنبأ به المعلم عن مستقبل التلاميذ التعليمى أن يكون صحيحا . ولكن متابعة المعلم المكثفة لتلاميذ هذا الصف يقدر على تحليل قدرات التلاميذ التربوية والنفسية والسلوكية ونحو ذلك[٢].

وهذا الصف الصعب هو مرحلة " حمل المصحف " وقراءة بعض آيات القرآن الكريم بحضور الاقران والانداد وبأستماع المعلم[٣].

وتمتاز صعوبة هذا الصف فى ان هناك تلاميذ لم يصعدوا - الى الصف الرابع فهم بأمكانهم تصحيح القارىء الجديد . فضلا عن تنبيهات المعلم وتصحيحه والذى تكون تصحيحاته مصحوبة فى بعض الاحيان بسوط غير مبرح على جسد التلميذ[٤].

وتظهر فى هذه المرحلة الظروف الجديدة التى بدات تدخل فى شخصية التلميذ من ضرب ونقد وتنبيهات عنيفة فى بعض الاوقات . الى جانب قراءته أمام التلاميذ وبصوت عال[٥].

كل هذه العوامل تجتمع لتخلق شخصية التلميذ التربوى - والسلوكى والنفسى .. ويمكن بذلك اعتبار الخلوة موسسة تربوية تشمل كل الجوانب المتعلقة بحياة الطفل[٦].

ذلك لان هذا المعلم عندما يكشف أن هناك عوامل نفسية تعترض سبيل تحصيل التلميذ فى هذا الصف المهم أمام اقرانه يقوم بالاتصال بأسرة التلميذ لمعرفة أسباب ذلك من والديه[٧].

---

(١) Jamiłat Achraf: op.cit.p.47 .

(٢) دراسة على خلاوى عديدة - منها خلاوى الشيخة فاطمة اسلام والشيخ سيد عبدالله والشيخة بركة ناصر - (السابقة).

(٣) Zakiya Idjihad:op.cit.p.154 .

(٤) دراسة على الخلاوى السابقة

(٥) ibd:p.154 .

(٦) ibid:p. 152 .

(٧) دراسة على الخلاوى السابقة .

هذا الاتصال المباشر بين المعلم و والدى الطفل يجعل المعلم قادرا على دراسة مشكلة هذا التلميذ الصغير وتجاوزها والعبور به الى الصف اللاحق[١].

وهذه اللقاءات تتم غالبا فى الخلوة - وذلك بقيـام المعلم بدعوة ولى أمر الطفل ليحضر الى الخلوة لامر يخص ابنه - وعندما يحضر هذا الاب يشرح له المعلم مشاكل التلميذ فيشتركان فى حلها[٢].

وفى هذا الصف كما سبق يجلس التلاميذ فى حلقـة دائرية كل واحد معه مصحف - والمعلم يجلس على كرسى عـال بعض الشىء ليقدر على استماع قراءة تلاميذه بوضوح وعلـى ملاحظة جميع التلاميذ خاصة اولئك المشاغبين[٣].

ويقرأ كل واحد من التلاميذ الحاضرين فى الحلقة آيـات من القرآن ويستمع اليه كل من المعلم وزملائه التلاميذ وتـدور التلاوة هكذا الى ان ينتهوا من الجزء الذى يحدده المعلم[٤].

وكان فى أغلب الخلاوى يبدأ تلاميذ هذا الصف من - جزء " آلم " أى من سورة البقرة وكان من الممكن لهم فـى اليوم الواحد ان يقرأوا جزء الى جزأين حسب عدد تلاميذ الحلقة خاصة الخلاوى التى تعمل فترتين صباحا ومساء[٥]. وبأمكان المعلـم " المعلمة " أن يحفظ أسماء تلاميذه فى الخلوة - فالذى يتغيب عن الخلوة كان المعلم يوقع عليه عقابا وينذره من عواقب هـذا الغياب[٦].

---

(١) Abdou Bacar: l'Education aux Comores (Paris, 1985) p. 16 .

(٢) دراسة على الخلاوى السابقة .

(٣) " " " "

(٤) " " " "

(٥) أغلب الخلاوى القمرية تعمل فترتين من الساعة ٧ صباحا حتى الساعة ١٢ ومن الساعة ٣ - الساعة ٦ .
دراسة على الخلاوى السابقة .

(٦) دراسة على الخلاوى السابقة .

وكان عقاب الخلوة متمثل فى الغالب حبس التلميذ بعد نهاية اليوم الدراسى الساعة الثانية عشر ظهرا الى ساعة متأخرة من المساء • واجباره على تلاوة جزء كامل - وكان المعلم يظل فى مراقبته بين الحين والاخر أو يأمر أحد التلاميذ الكبار بمراقبة ذلك المخطئ[١]•

ويظل المعلم يتابع هذا الصف ويعمل على تصحيح تلاوة تلاميذه وتجويد القرآن - حتى اذا ما بدا له بعض الذين جودوا ورتلوا القرآن احسن ترتيل صعّدهم الى الصف الرابع[٢].

والصف الرابع يختلف عن الصف الثالث لان هذا - الصف الخلوى الجديد يستقل فيه التلميذ بمصحفه على ركن من أركان الخلوة - ويبدأ من البقرة الى أن ينتهى من الجزء - الثلاثين[٣]• ويمر عليه المعلم بين الحين والاخر ليستمع من مدى اتقانه وتجويده التلاوة[٤].

ولا يحدد له المعلم فى هذه المرحلة عدد الاجزاء التى يجب أن يتلوها فى اليوم - بل يترك له المعلم الحرية[٥] - ويجتهد التلميذ ويقرأ أكثر من جزء أو ثلاثة الى أن يتم المصحف • ويبدأ مرة أخرى ويكرر ذلك أكثرمن ثلاث الى أربع مرات[٦]•

وعندما يتأكد المعلم ان تلميذه بأمكانه أن يرتل بوضوح وبتجويد أمام جماعة أخرى خارج الخلوة - يرشحه للصف الخامس وهو صف التخريج • ويعرف " بالختمة "[٧]•

---

(١) دراسة على الخلاوى السابقة •

(٢) دراسة على الخلاوى السابقة •

(٣) Jamilat Achraf : op. cit .p.48 .

(٤) دراسة على الخلاوى السابقة •

(٥) Jamilat: op. cit .p. 49 .

(٦) دراسة على الخلاوى السابقة •

(٧) دراسة على الخلاوى السابقة •

الختمـــة :

و " الختمة " أو اذا جاز تسميته الصف النهائى للتخرج من الخلوة هى المرحلة الاخيرة التى ينتظرها كل التلاميذ وكل - أسرة - وغالبا مايكون عمر التلميذ فى هذه المرحلة ١٢ الى ١٤ سنه (١).

وتأتى هذه المرحلة لتوضح ان التلميذ قد جود تلاوة القرآن الكريم وأتقنه • وأن بأمكانه الاشراف على من هو ادنى منـــه • لانه يستطيع أن يختم القرآن دون اشراف (٢).

ذلك أن المعلم عندما ينقل التلميذ من الصف الرابع الى " الختمة " أى الصف الاخير يأمره بالاشراف على تلاميذ الصـــف الاول والثانى " الالواح والكراسات " (٣).

ويظل المعلم يعتمد عليه فى تعليم تلاميذ الالواح والكراسات ويرفع مايشبه التقارير اليومية الى المعلم يشرح له مدى تقدم أو - تخلف مستوى التلميذ الفلانى - فيقوم المعلم بتشجيعه أو تدخلـــه اذا كانت هناك مشاكل تقف فى طريق هذا التلميذ المساعد (٤).

ويمكن اعتبار مهمة تلميذ " الختمة " هى مهمة تدريبه ليعرف المعلم مدى استطاعة هذا التلميذ وهو على عتبة التخرج من الخلـوة توجيه من هم ادنى منه • ومدى قدرته على استيعاب الدروس الـتى يتلقاها من المعلم الى اولئك الصغار • ثم مدى تحمله لمتاعـــب ومشاكل هؤلاء التلاميذ •

وهذا النظام مفيد جدا لانه يؤهل هذا التلميذ الصغير تأهيلا تربويا كاملا ويجعله يعمل كمساعد تدريس فى هذه المرحلة المبكـــرة من عمره - ويكتسب بذلك مهارات عالية فى معرفة كيف يشرف علـى الاصغر منه (٥).

---

(١) Abdou Bacar :op.cit. p. 22 .

(٢) David Inous :op.cit.p.24 .

(٣) دراسة على الخلاوى السابقة •

(٤) دراسة على الخلاوى السابقة •

(٥) David Inous :op. cit .p. 23 .

هذا الى جانب أن المعلم يختار مجموعة من التلاميذ فى صف " الختمة " ويوزع كل واحد على مجموعة من الصفوف الادنى. ويظل هو مشرفا على هذه المجموعات.(١)

ويعمل كل واحد من المعلمين الصغار على منافسة زميلـه فى أن يظهر بمجموعته بصورة متقدمة حتى ينال الرضا والقبـول عند المعلم الكبير(٢).

وبعد فترة من هذه التمرينات التى يخضع لها تلاميـذ الختمة يعقد المعلم امتحانا للتجويد والترتيل الجيد لتلاميـذه والمساعدين • ولا يعلن النتيجة امام الكل بل يحفظ هو وحـده حق معرفة النتيجة - وفى النهاية يشير الى أن فلانا وفلانا - يستحقان قراءة " الختمة "(٣) أما فلان وفلان فسوف يقرأونهـا لاحقا • او قد يقر الجميع على قراءتها(٤).

و " الختمة " هى أن يبدأ التلميذ من أول المصحـف " سورة البقرة " الى نهايته " سورة الناس ". ولايحدد له - المعلم مدة زمنية لانتهائه بل يتركه وجهده.(٥)

وفى هذا الوقت لا يتابعه المعلم بل هو الذى يراجـع المعلم من حين الى آخر لابلاغه أنه ختم قراءة المصحف أم لا.(٦)

كذلك لا يلزمه المعلم أن تكون قراءته داخل الخلوة - بل يجوز له أن يقرأ فى بيته وفى المسجد أو فى أى مكان آخر.(٧)

---

(١) دراسة على خلاوى عديدة منها خلاوى الشيخة فاطمة اسلام " هانسينرى" والشيخ سيد عبدالله " مرونى " وخلوة الشيخة بركة ناصر" موتسامودو " السابقة •

(٢) دراسة ميدانية على الخلاوى السابقة •

(٣) دراسة على الخلاوى السابقة •

(٤) دراسة على الخلاوى السابقة •

(٥) دراسة ميدانية على الخلاوى القمرية منها خلاوى: الشيخة فاطمة اسلام والشيخ سيد عبدالله والشيخة بركة ناصر (السابقة)

(٦) دراسة على الخلاوى السابقة •

(٧) دراسة على الخلاوى السابقة

كذلك تمتاز هذه المرحلة بأنه يتعلم الخط على الالواح من جديد • وذلك بكتابة السور القصار ومبادىء الفقه كأركان الأسلام والايمان والاحسان والصلاة وشروطها ونحو ذلك (١)

وتتم عملية تعليم الكتابة هذه بتوجيه المعلم تلميذه الى كتابة سورة من السور القصار ثم يقوم المعلم بتصحيح ما كتبه تلميذه وهكذا الى أن يتعلم الخط النسخ (٢) اثناء مرحلة الختمة (٣).

وهكذا يتخرج التلميذ الصغير من الخلوة وقد أجاد تلاوة القرآن اجادة تامة وأجاد الخط كذلك - ويصبح مؤهلا للمرحلة القادمة من حياته (٤).

ومن الامور المألوفة فى الخلاوى القمرية أنه فى حالة اختيار اثنين أو ثلاثة فى خلوة واحدة وفى وقت واحد تدخل عملية المنافسة في نفوس التلاميذ - ويعمل كل واحد منهم أن - لا يسبقه زميلة (٥).

وعندما يكمل التلميذ قراءة المصحف ويختمه يرفع المعلم الامر الى اولياء أمر التلميذ - يدعوهم ليستمعوا الى ابنهم وهو يتلو ويرتل القرآن الكريم (٦).

ويحضر والدى التلميذ ويستمعون الى ابنهم فى الخلوة بحضور المعلم • وتسرهم تلاوته - ويخطرهم المعلم أن ابنهم هذا قد ختم القرآن وأن عليه ارسال هذه " الختمة " الى أرواح اجداده وجداته اضافة الى دفع " خبز المعلم (٧) ".

ويكون هذا الخبر بمثابة لحظة فرح كبرى لدى والدى هذا التلميذ - الذين يبدأون بأعداد هذا الخبز والبسكويت والشاى - والارز والضأن أو الشاه ونقود وتحمل كلها الى الخلوة • (٨)

---

(١) مخطوطة برهان مكيلى ص ١١ •

(٢) Jamilat Achraf: op.cit.p. 59 .

(٣) دراسة على الخلاوى السابقة •

(٤) Abou Bacar : op. cit . p.27 .

(٥) دراسة على الخلاوى السابقة •

(٦) دراسة على الخلاوى السابقة

(٧) دراسة على الخلاوى السابقة

(٨) دراسة على الخلاوى السابقة •

وتبلغ أسرة التلميذ المعلم باليوم المحدد لارسال (الختمة) ويفضل ان يكون من ايام المعراج أو بداية العام الهجرى حـــتى تكون المناسبة مناسبتين(١).

وفى يوم ارسال " الختمة " يتجمع التلاميذ المتخرجـــون القدامى الى جانب اولئك الذين مايزالون فى الخلوة - اولاد وبنات كما تتم دعوة بعض اعيان البلدة وبعض اولياء امور التلاميذ فضـــلا عن والدى التلميذ صاحب " الختمة "(٢).

ويجلس الجميع على الارض - الرجال الكبار والمعلم والتلميذ وأبيه فى الصف الاول بينما تأتى الصفوف الاخرى حسب صفوف - الخلوة • وفى الصف الاخير تجلس بنات الخلوة(٣).

ويقرأ الجميع جزء عم من سورة النبأ الى الناس ويختمون بالفاتحة والادعية - ويبعثون هذه الهدية الى أرواح الاجداد والمشايخ(٤).

وبعد ذلك يتناولون الشاى والخبز ويأكلون الارز واللحـــم ويقوم والد التلميذ ومعه ابنه بتقديم الشاة او الضأن والمال الـــى المعلم صاحب هذا الفضل فى بلوغ هذا الصغير الى هذه الدرجـــة التربوية والى هذا المستوى التعليمى(٥).

ويأخذ المعلم هذه المكافآة ويبارك التلميذ - ولايمنح شهادة ولكن الشهادة هى حضور هؤلاء الاعيان وقدامى التلاميذ الذين ســـوف يعلمون أن ناشئا جديدا قد انضم اليهم • ويبدو أن الحكمة مـــن دعوة اعـيان البلدة هى ان يعرف هؤلاء ان هذا الطفل قد تعلـــم القرآن بالفعل • ويحق له أن ينال تقدير المجتمع فى المناســـات الدينية اضافة الى أن وصوله الى مرحلة " الختمة " جاءت نتيجـــة تربيته وتأديبه وتدريبه حتى يكون صالحا فى المجتمع(٦).

---

(١) دراسة على الخلاوى السابقة •

(٢) دراسة على الخلاوى السابقة

(٣) دراسة على الخلاوى السابقة

(٤) دراسة على الخلاوى السابقة •

(٥) دراسة على الخلاوى السابقة •

(٦) دراسة على الخلاوى السابقة •

والواقع أن مناسبة " الختمة " هى بمثابة عيد ميلاد جديد للطفل القمرى • وفى نفس الوقت هى تخريج دفعة واستقبال اخرى فى الخلوة •

وان مايقدمه التلميذ للمعلم فى هذه المناسبة من مال قليل ماهو الا مكافأة ضئيلة لا تساوى جهد ٦ سنوات أو اكثر يعمل خلالها المعلم فى تربية وتعليم هؤلاء الابناء صباحا ومساء دون مرتب سوى ما يقدمه التلاميذ فى " الياهو "(١) يوم - الخميس من مساعدة معلمهم فى عمل من أعماله البسيطة •

الخلوة الفقهية :-

والخلوة أو المدرسة الفقهية هى ايضا وجدت مع ظهور الخلوة القرآنية - وكانت هذه الخلاوى الفقهية فى بداية الامر فى بيوت ومنازل الشيوخ والعلماء الذين اوقفوا حياتهم على تدريس الفقه والتوحيد والتفسير والحديث ونحو ذلك من أمور الدين(٢)

وكانت هذه الخلاوى الفقهية تشترط للالتحاق بها شرطا واحدا فقط • وهو ان يكون الملتحق بها يجيد قراءة القرآن الكريم بتخرجه من الخلوة القرآنية بشهادة الختمة(٣).

ذلك ان الكتب التى سوف تدرس هنا تكون باللغة العربية ومعظمها غير مشكّلة بالحركات(٤)

ولذلك عندما يتخرج التلميذ من الخلوة ويجد فى نفسه - الرغبة فى طلب العلم الفقهى أو تشجعه أسرته على ذلك • يذهب الى الخلوة الفقهية • ويسأله الشيخ عن مايحفظه من القرآن - ثم يأمره بأن يرتل له مرة بالمصحف واخرى بالحفظ(٥).

---

(١) سوف يأتى ذكر " الباهو " فى مكان آخر من هذا الفصل•

(٢) دراسة على خلاوى فقهية عديدة بهذه البلاد منها خلاوى:الشيخ محمد الجيلانى (مزونى) والشيخ سيد عمر مقاهاى (بهانسينزى" القمر الكبرى والشيخ يونس طلعت (فمبونى) جزيرة موهيلى) والشيخ شاكر بن شيخ نصر الدين " دزودزى " - بجزيرة مايوت "•

(٣) دراسة ميدانية على الخلاوى الفقهية السابقة•

(٤) دراسة مع الخلاوى السابقة • (٥) دراسة مع الخلاوى السابقة •

ويستطيع هذا الشيخ ان يعرف انه نال شهادة "الختمة" أم لا . وذلك من خلال تجويده وقراءته الصحيحة . فأن اجتاز الامتحان او بالاحرى هذه المعاينة يُقبل والا يُرفض - ويأمره الشيخ بمعاودة الخلوة القرآنية ليحسن قراءته للقرآن[١].

ومن الكتب التى تدرس فى الخلوة الفقهية فى البداية هى مختصرات مذهب الامام الشافعى . وتتمثل هذه المختصرات فى " باب " وهو مختصر صغير فيه اركان الاسلام والايمان وفروض وسنن الصلاة[٢]. ويبدو أن هذه المختصرات هى من ملخصات شيوخ القمر وعلمائها من الكتب الكبيرة وذلك تسهيلا لتدريسها واستيعابها .

وعندما ينتهى من هذا المختصر ينتقل الى مختصرات اخرى مثل " سفينة النجاة " و " سفينة الصلاة " و " الرسالة " وكلها مختصرات تتناول الوضوء والصلاة والتيمم والصوم والزكاة والحج بأركانها وسننها ونواقضها[٣].

وغالبا يكون التلميذ عندما يلتحق بهذه الخلوة قد بلغ ١٤سنه[٤] والى ان يكمل المختصرات الفقهية هذه يكون قد بلغ ١٦ سنة فيدخل الى عالم الكتب الشافعية الواسعة الشروح وذات المواضيع المختلفة[٥].

ويدرس فى هذه المرحلة " روض الطالب " لابى يحى زكريا الانصارى الشافعى . و " المهذب فى فقه الامام الشافعى " لابى أسحاق ابراهيم بن على الشيرازى . و " شرح السير الكبير " - لمحمد بن الحسن الشيبانى و " المجموع " لمحى الدين بن شرف النووى . و " الرسالة " للشافعى و " الام " للشافعى[٦].

وغير هذه من الكتب الفقهية الشافعية الى جانب كتب التوحيد وكتب النحو كا "الاجرومية " وابن عقيل " ونحو ذلك . مما يؤهل الطالب عندما يتخرج من الخلوة ان يكون عالما فقهيا الى جانب معرفته اللغوية - الامر الذى يؤهله الى ان يعمل فى - الديوان السلطانى والقضاء[٧].

---

(١) دراسة مع الخلاوى السابقة .

(٢) دراسة مع الخلاوى السابقة ومشاهدة هذه المختصرات .

(٣) دراسة على الخلاوى الفقهية القمرية . منها خلاوى الشيخ محمد الجيلانى والشيخ سيد عمر مقاهاى والشيخ يواكنس طلعت .والشيخ شاكر بن شيخ نصرالدين (السابقة

(٤) دراسة مع شيوخ الخلاوى السابقة .

(٥) دراسة مع شيوخ الخلاوى السابقة .

(٦) دراسة مع شيوخ الخلاوى السابقة .

وعندما يقرأ كتاب " الرسالة " و " الام " للشافعى يكون قد وصل الى درجة التخرج ـ وقد يعمل حفلة صغيرة يحضرها زملاؤه فى الخلوة الفقهية ويقدم هدية للاستاذ [١] وقد لايعمل لانه غير مطلوب عمل ذلك [٢].

وفى هذا يبدو الاختلاف بين الخلوة القرآنية والخلوة ـ الفقهية ـ اذ بينما يكون لزاما على تلميذ الخلوة الاولى تقديم مكافأة ولو صغيرة حسب استطاعته الى المعلم الى جانب دعوة اعيان البلدة والتلاميذ القدامى الى تلك الحفلة التى تقام بمناسبة " الختمة " والتخرج من الخلوة . يكون التلميذ بالنسبة للثانية حرا فى اقامة حفلة أم لا . كما يجوز له تقديم هدية للاستاذ.

وكأن الخلوة الفقهية مؤسسة تعليمية هدفها استخلاف الفقهاء على البلدة والمدينة القمرية . وليس دفع المكافآت اليها [٣]. مع ان ادارتها تكون فى يد شخص واحد هو الاستاذ الشيخ المدير صاحب الخلوة والتى تكون غالبا فى بيته [٤].

واذا تخرج الطالب من الخلوة الفقهية يحمل لقب " منشيون" اى الطلاب الفقهاء . واذا فتح خلوة يحمل لقب " فوندى " اى ـ عالم . والجمع " مفوندى " اى علماء الدين [٥].

وعلى هذا " المنشيون " أن يكون حذرا فى ارتكاب اوالاقتراب من جريمة مخلة بالادآب والشرف ـ لانه فى نظر الجميع اصبح مرشدا وقدوة ينال الاجلال والتقدير بقدر ما ينصح ويرشد الى امور الدين . واذا عرف انه ارتكب جرما فأنه يسقط فى نظر المجتمع ولو الى حين [٦].

---

(١) دراسة مع شيوخ الخلاوى السابقة.

(٢) دراسة مع شيوخ الخلاوى السابقة .

(٣) دراسة مع شيوخ الخلاوى السابقة .

(٤) دراسة مع الخلاوى السابقة .

(٥) دراسة مع خلاوى السابقة .

(٦) دراسة ميدانية مع شيوخ الخلاوى الفقهية السابقة .

ويكون كذلك مؤهلا بأمامة الناس فى الصلاة - كما يتقدم فى الصفوف الامامية فى الجامع اثناء الجمعة(١)• وذلك لان - الصف الاول يوم الجمعة هو خاص لاعيان البلدة من آباء مسئولين والى جانبهم العلماء(٢)•

كذلك يكون مؤهلا أن يدخل فى سلك الخطباء(٣)- اذا كان من العشائر أو البطون صاحبة الخطبة - وذلك لانه حتى اليوم ما زالت بعض القرى تتمسك بتوزيع مناصب ادارة البلدة أو - المدينة أو القرية على أساس عشائرى • وقد سبق الحديث عن التركيب الاجتماعى القمرى فى غير هذا المكان •

بيد ان هناك بعض المدن التى بدات تتخلص من هذا الميراث العشائرى الرجعى وتعطى الحق فى المتعلم بغض النظر عن انتمائه العشيرى(٤)•

ومن مزايا هذا الفقيه المتخرج أنه يتولى غسل وكفن - والصلاة على الميت كذلك افتائه فى بعض المسائل الفقهية حتى ولو لم يفتح خلوة فقهية •

وهؤلاء الفقهاء فى الواقع هم أركان الدين فى البلاد لانهم الموجهون والمرشدون • وصدق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم " العلماء ورثة الانبياء "•

---

(١) دراسة مع شيوخ الخلاوى السابقة •

(٢) وهذه العادات مازالت موجودة على مختلف قرى ومدن الجزر القمرية الاربع• أى تخصيص الصف الاول اثناء صلاة الجمعة والاعياد للاعيان والعلماء)•

(٣) دراسة مع شيوخ السابقة.

(٤) يحدث الان فى مدينة " مرونى " العاصمة وبعض المدن الكبيرة الاخرى•

ياهـوا: "Yahowa "

ال " ياهو " فى اللغة القمرية هى يوم الخميس وهذا اليوم لاتعمل الخلاوى القرآنية والفقهية ولكن ينبغى على جميع التلاميـــــذ الحضور فى هذا اليوم لقضاء ال " ياهو " (١)

وقضاء ال " ياهو " عبارة عن قيام التلاميذ بعمل من أعمال المعلم وتحت اشرافه(٢). وهذا العمل متروك للمعلم نفسه ليحدده • سواء فى مزرعته أو فى بيته أو على شاطىء البحر لجمع الرمل أو نحو ذلك من الاعمال(٣)

ولكن غالبا ما كان هذا العمل يتم فى المزرعة او حقل مـــن حقول المعلم • فى زراعته أو حصاد ما فيه من ثمار(٤).

وكان يراعى فروق السن • فالصغار الذين فى الصفوف الاولية يحضرون يوم الخميس الى الخلوة وبعد قراءة دعاء هذا اليوم يرجعون الى منازلهم • بينما كان تلاميذ الصفوف النهائية هم الذين يقودهم المعلم أو أحد الكبار المشرفين فى الخلوة الى المزرعة(٥).

وفى المزرعة يتم تقسيم التلاميذ الى مجموعات - كل مجموعة يوزع عليهم جزء من العمل - سواء زراعة أو حصاد أو نظافة الارض • ويظلون هناك من الثامنة صباحا حتى الحادية عشرة • أى يقضـــون ثلاث الى اربع ساعات حسب العمل(٦)

وبعد الفراغ من العمل يكون المعلم قد جهز لهم طعامـــا وشرابا يتناولونه فى المزرعة ثم يرجعون الى ديارهم(٧).

والواقع ان هذا العمل يمكن اعتباره نشاط تربوى خارج - المدرسة لانه يكون تحت اشراف المعلم - لتوجيه تلاميذه وابعادهم عن الاخطار • وتعليمهم العمل الذى يقومون به(٨).

---

(١) دراسة على الخلاوى القرانية السابقة •
(٢) دراسة على الخلاوى القرآنية السابقة.
(٣) دراسة على خلاوى قرآنية عديدة •
منها خلاوى الشيخة فاطمة اسلام (هانسينرى) والشيخ سيد عبدالله (مرونى) والشيخة بركة ناصر " موتسامودو " (السابقة)
(٤) دراسة على الخلاوى السابقة. see,also, Abdou Bacar:op.cit.p.45
(٥) دراسه على الخلاوى السابقة
(٦) دراسة مع الخلاوى القرآنية السابقة (٧) دراسة مع شيوخ الخلاوى القرآنية السابقة •
(٨) دراسة مع شيوخ القرآنية السابقة •

وهذا يساعد هؤلاء التلاميذ على اكتساب خبرات جديدة في فلاحة الارض وزراعتها وحصاد ثمارها • الامر الذى يودى الى بناء جسد التلميذ بناءا فسيولوجيا سليما • كما يخلق التعاون الجماعى فى نفوس التلاميذ (١).

هذا الى جانب أن المعلم يستطيع دراسة سلوكية التلاميذ ونفسياتهم من خلال ممارستهم للعمل (٢).

وفى الوقت الحاضر استبدلت خلاوى المدن الكبيرة أو - بالاحرى العواصم القمرية هذا العمل بالمال (٣). أى أن كل خميس يحضر التلميذ مبلغا من المال الى معلم الخلوة • بدلا من العمل الذى مازال حتى اليوم موجودا فى بعض المدن والقرى القمرية كما كان فى السابق (٤).

الجدير بالذكر أن ال " ياهو " سواء العمل فى مزرعة المعلم أو دفع مال بسيط الى المعلم هو ماكان يجده هذا المعلم (٥) - الذى وهب حياته فى خدمة القرآن الكريم • كما أن هذه " الياهو " خاص للخلوة القرآنية اما الخلوة الفقهية فلا يحدث ذلك الا نادرا •

هذا هو النظام التعليمى الذى كان سائدا ومازال فى جزر القمر قبل الاستعمار الفرنسى وكما يظهر من هذا التعليم أنه تعليم دينى غايته تربية النشىء نشأة دينية واجتماعية وعملية حتى يكون مؤهلا وصالحا ونافعا للمجتمع •

الى جانب ذلك كان هذا النظام التعليمى يؤهله الى تعليم الخط ومبادىء اللغة العربية والحساب • الامر الذى ساعد على أن كل قمرى قبل الاستعمار الفرنسى كان بأمكانه ان يقرأ القرآن ويكتب العربية بخط واضح (٦).

---

(١) دراسة على الخلاوى السابقة •

(٢) دراسة مع شيوخ الخلاوى السابقة •

(٣) مثل خلاوى " مرونى " و " موتسامود " و " دزاودزى " •

(٤) دراسة مع شيوخ الخلاوى القرآنية السابقة •

(٥) دراسة مع شيوخ الخلاوى السابقة •

(٦) مخطوطة برهان مكيلى ص ١١-١٢ - كذلك انظر / شكيب ارسلان حاضر العالم العالم الاسلامى • المجلد ٣- الحلبى القاهرة ١٣٥٢هـ•ص١٥٣•

والخلاوى كثيرا ما كانت تقوم بزيارات الى القرى والمزارع والشواطىء وذلك لتعليم التلاميذ النشاطات التعاونية وترسخ فى نفوسهم مبادىء التربية الوطنية[١].

وكانت هذه الخلاوى فى نفس الوقت تقوم بمهمة الحضانة الحالية الى جانب التعليم والتربية • اذ كانت الخلوة تقبل اطفال الثلاث الى الاربع سنوات[٢]. ويميل الباحث الى أن ذلك ربما كان السبب فى ان صارت النساء اكثر من الرجال فى ادارة الخلاوى القرآنية مع مرور الزمن.

وكان الطفل ذى الاربع سنوات يعطى جرعات من المهارات على اللوحة • ثم عندما يبلغ خمس سنوات يكون قادرا على الانتظام فى صف " الالواح " واذا بلغ السابعة يكون فى صف " الكراسات"[٣].

أما عندما يبلغ التاسعة من عمره يدخل الى صف الحلقة الدائرية الجماعية " الصف الثالث " واذا بلغ احدى عشرة سنه يكون فى الصف الرابع الذى فيه يقرأ فرديا بمتابعة واشراف المعلم • وعندما يبلغ الثالثة عشرة او الرابعة عشرة من عمره يكون فى صف " الختمة " الصف الخامس" وهو صف التخرج[٤].

ثم يلتحق بالخلوة الفقهية وعمرة ١٤ أو ١٥ سنة ويظل بها اذا لم يفشل فى تعليمه حتى يبلغ ٢٠ سنه يكون قد تعلم ونال رتبة " الطالب الفقيه " واذا فتح خلوة يحمل لقب " فوندى " " الاستاذ أو العالم[٥]. وكانت الدروس الفقهية تلقى فى بيوت العلماء أو - المساجد عقب صلاة الصبح وصلاة العصر[٦].

---

(١) دراسة على الخلاوى القرآنية السابقة.
(٢) دراسة على الخلاوى القرآنية السابقة.

(٣) دراسة ميدانية وصفية على الخلاوى القرآنية السابقة •
(٤) دراسة ميدانية وصفية على الخلاوى القرآنية السابقة •
(٥) دراسة ميدانية وصفية على الخلاوى القرآنية السابقة •
(٦) مخطوطة برهان مكيلى ص • ١١• كذلك دراسة وصفية على الخلاوى السابقة •

وهذه الحالة التعليمية الخلوية ما زالت مستمرة منذ ذلك التاريخ الى يومنا هذا مع ادخال بعض التعديلات فى مجال تدريس اللغة العربية فى الخلاوى الفقهية • بينما استبدلت اغلبية الخلاوى الالواح بالسبورة مع تطور صاحب ذلك التعليم(١) وسوف نرى ذلك التطور عند دراسة التعليم فى الاربعينيات الى الاستقلال •

والجدير بالذكر أنه جرت العادة فى الخلوة القرآنية قراءة سورة يس والرحمن والواقعة والملك • كل صباح ثم التوسل والدعاء الى الله بزيادة العلم - ثم تبدأ الدراسة • وهذا أدى الى ان كل قمرى دخل الخلوة يحفظ هذه السورة عن ظهر قلب منذ طفولته(٢).

فأذن يمكن اعتبار مرحلة الخلوة القرآنية مرحلة أساسية فيما تتبعه من منهج تعليمى وتربوى يشمل المقررات الخلوية الى جانب تلك النشاطات التى يتعلمها فى مزرعة معلمه •

فى الوقت الذى تصبح الخلوة الفقهية مرحلة تنمية المهارات والخبرات التى أكتسبها التلميذ فى المرحلة الاولى - فهما اذا مرحلتين متصلتين ليس بينهما فواصل •

---

(١) دراسة ميدانية وصفية على العديد من الخلاوى القرآنية القمرية منها • خلاوى الشيخة فاطمة اسلام والشيخ سيد عبدالله والشيخة بركة ناصر (السابقة) •

(٢) دراسة على الخلاوى القرآنية السابقة •

المبحث الثاني

التعليم تحت الادارة الفرنسية

التعليم تحت الادارة الفرنسية :

عندما دخلت فرنسا الى هذه الجزر تركت فلك الخلاوى وشأنها - ومعروف أن هدف السياسة التعليمية الفرنسية هو تحويل جميع سكان مستعمراتها الى مواطنيين فرنسيين جديرين بهذه التسمية[١] • ولكن اكتشف الفرنسيون انه يتعذر عليهم تزويد سكان مستعمراتها فى افريقيا بنفس القدر من التعليم الموجود فى فرنسا[٢] •

وبالنسبة للحديث عن التعليم فى جزر القمر تحت الادارة الاستعمارية الفرنسية • يصبح من المتعذر على الباحث تجاوز حدة النهائى ١٩١٥• لان التعليم كان قد صاحب بعض التطور فى الفترة من الخمسينات من القرن العشرين • أى قبل الاستقلال بعشرين سنه[٣].

ولذلك سوف يكتفى الباحث فى هذا الجانب بتناول - المدارس التى اسستها الادارة الفرنسية بعد اكمال الاحتلال على الجزر القمرية حتى عام ١٩١٥•

وكانت اول مدرسة اسستها فرنسا هى كلية مايوت وذلك عام ١٨٤٦ . عندما بدأ الفرنسيون يصلون الى الجزيرة للاستيطان - ومعهم ابناؤهم[٤].

كان الغرض الاساسى لهذه المدرسة فى البداية هو تعليم ابناء الفرنسيين المقيمين بالجزيرة[٥] غير انها فتحت ابوابها - للقمريين فى مايوت - لكن القمريين كانوا ينظرون الى هذه المدرسة انها شبكة لجرهم الى المسيحية فلم يقبلوا الالتحاق بها - بل استمروا فى خلاويهم[٦].

---

(١) جورج •هـ•ت •كيمبل: افريقيا المدارية المجتمع والانظمة الحاكمة • ترجمة د• على رفاعه الانصارى• عبدالعزيز حمودة •فؤاد اسكندر مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٩ ص ٨٤• (٢) نفس المرجع السابق ص ٨٥•

(٣) كان الاستقلال عام ١٩٧٥• (٤) David; Inous: l'Education comorienne. (Paris 1973) p. 51 .

(٥) Ibid: p.53 .

بيد أن الزعماء والامراء الذين بدأوا يتعاونون مع الاحتلال الفرنسى اقتنعوا بارسال ابناءهم الى هذه المدرسة بعد مرحلة الخلوة القرآنية[١]. ومن ابناء الامراء الذين تعلموا فى هذه المدرسة - السلطان سيد على[٢].

وفى عام ١٨٤٩ حاولت " مدام درويت " التى كانت تعلم " جومبى فاطمة " أميرة موهيلى اقامة مدرسة ولكن القمريين فى موهيلى اعلنوا رفضهم لهذا الاتجاه - واعتبروا[٣] ذلك محاولة لتنصير القمريين فى الجزيرة . ومالبثوا ان طردوها -كما سبق .

وفى عام ١٨٨٥[٤] اى فى عهد السلطان عبدالله الثالث - حاولت جمعية تبشيرية فرنسية انشاء مدرسة فى هنزوان وذلك بتشجيع من حكومة مايوت الفرنسية غير ان القمريين فى الجزيرة ايضا ناووا ذلك . واعتبروا ذلك محاولة لادخال المسيحية فى الجزيرة كما فكر اخوانهم فى مايوت وموهيلى من قبل .

ولكن عندما بدأ النفوذ الفرنسى يتغلغل فى داخل السلطنة فى نفس عهد عبدالله الثالث ابدى السلطان موافقته عام (١٨٨٧) بمقتضاها سمح السلطان بأقامة مدرسة فرنسية بموتسامود[٥]. غير ان - هذه المدرسة لم تستوعب احدا من القمريين فى هنزوان[٦].

وعقب معاهدات (١٨٨٦) بين سلاطين القمر الكبرى وموهيلى وهنزوان - نصت بنود هذه المعاهدات فتح مدارس فى هذه الجزر . غير أن الاضطرابات التى سادت فيها والتى كانت تعارض هذه المعاهدات- افشلت مشاريع اقامة هذه المدارس[٧].

---

(١) Abdou Bacar: l'Education aux Comores.op.cit.p.69 .

(٢) مخطوطة برهان مكيلى ص ٥٧ . كذلك شكيب ارسلان. حاضر العالم الاسلامى مرجع سابق ص ١٤٦.

(٣) Jean Martin:Comores,quatre iles...vol.2 op.cit.p.214 .

(٤) Andre,Oraison: Histoire des Comores(Paris 1980)op.cit.p.155.

(٥) Ibid: p. 155 .

(٦) Pele leon: Histoire de l'Education dans l'Archipel des Comores. (Paris 1980). p. 78 .

(٧) Doc.no. 349:255/1886 . p. 7 .

وعندما تم انتصار سيد على على السلطان هاشم عام ١٨٨٥ وافق الاول على فتح مدرسة بمدينة مرونى لابناء الفرنسيين والراغبين من القمريين • كما نصت المعاهدة على اقامة مدرسة فنية لتعليم فنون النجارة •(١)

(٢) وعندما تم ترحيل السلطان سيد على الى مايوت عام - (١٨٩٢) كانت هذه المدرسة قد تم احراقها ضمن ما أحرقته الجماهير الساخطة(٣) - على الوجود الفرنسى فى بلادهم •

وبعد أن تم قمع هذه المظاهرات والاضطرابات التى عمت ارجاء الجزيرة - قام هامبلو الذى اصبح مقيما معتمدا منذ معاهدة (١٨٨٦) بفتح مدرسة فنية للنجارة بين مرونى وقرية " مفى نغونى " فى المنطقة الوسطى فى نفس العام ١٨٨٦(٤)

ولكن هذه المدرسة الفنية لم تستقبل طالبا قمريا واحدا الا فى عام (١٨٩٧) عندما تخلى هامبلو عن منصبه كمقيم معتمد(٥) - ولجأ الى اعماله فى " شنغو دوندا " و " مفى نغونى " وأخذ يشجع الافراد الى ضرورة ارسال ابناءهم الى المدرسة لتعليمهم النجارة • وصناعة الابواب والشبابيك ونحو ذلك(٦)

ولكن حتى عام ١٩١٥ لم تستقبل هذه المدرسة اكثر من - (٢٧) طالبا • معظمهم كانوا من القرى التى حول " مفى نغونى " كبلدة " مغونى " و " مدى " و " نكازى "(٧)

وفى عام (١٩١٠)(٨) قامت الادارة الفرنسية بمحاولة تعميم المدارس الفنية فى الجزر • فأقامت واحدة فى مدينة " موتسامود " بهنزوان واخرى بمدينة " فمبونى " بموهيلى - ولكن ظلت المدرستان

---

(١) بالمركز القومى القمرى للبحوث والاثار • Doc.no.349:255/1886.p.13 •

(٢) Du Plantier de Necolas:la grand-Comore sa colonisation.op. cit. p. 103.

(٣) Jean Martin: Comores,quatre iles...op.cit.p.83. vol.2 •

(٤) Ibid: p. 82 • (٥) Pele leon:op.cit. p. 82 •

(٦) Jean Martin :op. cit. p. 94 •

(٧) ibid: p.94 •

(٨) Abdou Bacar: op.cit .p. 72 •

هما ايضا لا تستقبلان اعدادا كبيرا من الطلاب [(١)] - ولم تكن هناك مدرسة فنية فى مايوت قبل الاربعينيات [(٢)].

ففى موهيلى كانت الاعداد التى استقبلتها مدرستها حتى عام (١٩١٥) حوالى (١٧) طالب [(٣)] - اما فى هنزوان - فكانت احسن من أخواتها ذلك انه حتى عام ١٩١٥ استقبلت مدرسة هنزوان الفنية حوالى ٣٨ طالبا [(٤)].

فى عام ١٩١٢ قامت الادارة الفرنسية بتأسيس مدارس أكاديمية فى كل الجزر الى جانب كلّية مايوت [(٥)].

وكان حسب التقسيم الادارى الجديد الذى وضعته الادارة الاستعمارية الفرنسية على القمر الكبرى ان تم تقسيمها الى ثلاثة اقاليم كبرى • الاقليم الشمالى وكانت عاصمته " متسامهول" والاقليم الجنوبى وعاصمته " فمبونى " والاقليم الاوسط وعاصمته " مرونى " [(٦)].

بينما كانت هنزوان قد تم تقسيمها اداريا الى اقليمين اقليم الشمال وعاصمته " موتسامود " واقليم الجنوب وعاصمته " دمونى " فى حين كانت مايوت وموهيلى تمثل كل منهما اقليما واحدا وكانت فى الاولى كلية مايوت بمدينة " دزاوزدى " وفى - الثانية كانت مدرسة موهيلى فى " فمبونى " [(٧)].

ونتيجة لهذا التقسيم قامت الادارة الفرنسية بفتح ثلاثة مدارس فى القمر الكبرى واحدة بمرونى والثانية بـ " متسامهول " والثالثة بـ " فمبونى " اى الوسط والشمال والجنوب • هذا الى جانب المدرسة الفنية التى أسسها هامبلو ١٨٨٦ [(٨)].

---

(١) Abdou Bacar: op. cit .p. 72 .

(٢) Jean Martin : Comores,quatre iles.. vol.2.op.cit.p.426.

(٣) Pele leon: op. cit. p. 85.

(٤) Ibid: p.83 .

(٥) Doc,nos 339:37/1912.p.24. الوثيقة توجد بالمركز القومى القمرى

(٦) Doc.no. 339:371/1912. p. 12 .

(٧) Doc,no. 339:37/1912.op.cit. p. 12 .

(٨) Jean Martin:op.cit.p.423 .

كذلك فتحت فى هذا العام (١٩١٢) مدرستين فى هنزوان اولاهما تلك التى اسست فى موتسامودو عام ١٨٨٧ والتى كانت مغلقة على اثر احداث ١٨٩١ والثانية فى "دمونى " ومدرسة واحدة بمدينة " فمبونى " بموهيلى(١) فضلا عن كلية مايـــوت .

وكانت هذه المدارس فى البداية تعلم ابناء الفرنسيين المقيمين بالجزر - وفتحت هذه المدارس ابوابها للقمريين الراغبين للتعلم(٢) ولكن اغلب الاهالى فى كل الجزر الاربـــع كانوا ينظرون الى تلك المدارس بأعتبارها اماكن مسيحية تحاول تنصير ابناء البلاد(٣).

ولذلك لم يكن بمدارس القمر الكبرى الثلاث حتى عـــام ١٩١٥ أكثر من ٢٥ طالبا وفى مدرستى هنزوان كانوا حوالـــى (٢٠) الى (٢٦) بينما مدرسة موهيلى كان فيها (٣)وكلية مايوت (٩) من الطلاب القمريين(٤). وكان معظمهم من ابناء السلاطين والزعماء السابقين(٥).

وكانت ادارة هذه المدارس فى يد الادارة الفرنسيـــة . ذلك أن البعثات المسيحية لم تكن لها وجود فى داخل هـــذه الجزر . ويبدو سبب ذلك أن البعثات الفرنسية المسيحية لـم تجد الارضية المناسبة لنشاطاتهم . لان المجتمع القمرى شديد التمسك بالاسلام وكان ينظر الى البعثات التبشيرية كخطر يهدد اسلامهم . الامر الذى ادى الى طرد كثير من المبشرين الذين حاولوا العمل داخل هذه البلاد(٦).

وكان الاسلام قد تغلغل فى نفوسهم من خلال العمليات - التربوية فى الخلاوى والمساجد ونحو ذلك . هذا فضلا على أن شدد على حذر الفرنسيين من بناء كنيسة على ارض القمر ان كانوا يريدون البقاء فى هذه البلاد(٧) لان القمرى بطبعه متعصب للدين.

---

(١) Doc.no. 339:37/1912. op.cit .p.14 .

(٢) Pele leon:op.cit .p. 85 .

(٣) Jean Martin :op. cit .p. 426 .

(٤) David Inous. op. cit . p. 52 .

(٥) Abdou Bacar: op. cit. p. 75 .

(٦) انظر مثلا مدام دوريت التى طردت من جزيرة موهيلى .

(٧) Chakind Siday: l'histoire politique de la grand-Comore. op. cit ; p. 91.

ويبدو ايضا ان سيد عمر والد سيد على حذر الفرنسيين من بناء كنائس فى هذه الجزر • لانه حتى عام ١٩١٥ لاتجد فى هذه البلاد كنيسة واحدة[١] •

ولكن يبدو أنه بعد القضاء على المقاومة عام ١٩١٥ - انتهجت الادارة الاستعمارية سياسة اكثر شدة واستفزازا • واقامت فى السنيين التى تلت ذلك اربع كنائس على المدن الكبرى فى مختلف الجزر الاربع[٢] •

وعلى هذا الاساس فقد وضعت الإدارة الفرنسية يدها على ادارة هذه المدارس الاكاديمية والفنية •

ونتيجة لعدم اهتمام القمريين بالتعليم الفرنسى فقد ساد الجهل فيهم بمعرفة اللغة الفرنسية • ولكن اتجهت هممهم فى هذه الفترة الى التركيز على الدراسة فى الخلوة القرآنية والفقهية • وظهر فى خلال العشرينيات والثلاثينات والسنين التى تلت ذلك فقهاء منتشرون فى كل مكان من مدن وقرى الجزر القمرية وسوف نرى جانبا منهم عند الحديث عن تلك الفترة •

كذلك صاحب التعليم الفرنسى فى الفترة من الاربعينيات الى ماقبل الاستقلال شيئا من التطور بظهور الوطنيين الذين بدأوا يعملون فى بناء المدارس فى المدن وتشجيع الناس الى بعث أبنائهم الى تلك المدارس الامر الذى ضاعف عدد الملتحقين بالتعليم الفرنسى • سوف نرى ذلك ايضا عند الدراسة عن الحركة الوطنية •

الجدير بالذكر ان الاساتذة الذين كانوا يشغلون هذه المدارس فى بداية الامر كانوا فرنسيين او من " كير ول " جزيرة " رينيون " وهم المولدين من الاوربيين[٣] - ولكن فى الفترة التى تلت مقاومة ١٩١٥ بدات الادارة -

---

(١) Jean Martin : op. cit . p. 215 .

(٢) الكنائس التي اقيمت : هي كنيسة "مرونى" وكنيسة " موتسامودو" وكنيسة " دزودزى " واخرى فى " فمبونى " على عواصم الجزر الاربع: القمر الكبرى وهنزوان ومايوت وموهيلى على التوالى• هناك راى يقول ان كنيسة مايوت اسست عام ١٨٧٦•

ولكن المراجع كلها تتفق فى ان كنائس الجزر الثلاث ثم اقامتها فى بداية العشرينات من القرن الحالى see, Couesnon Pierre: Mayotte,vers quel avenir?.(Paris,1989)p.145 .

(٣) see, Blanchy,Sophie; Damir,Ben Ali;Moussa,Said:Comores,sur les traces de l'histoire.(Moroni- Comores 1989)p. 208 .

الإستعمارية الفرنسية تستعيين فى هذه المدارس الى جانب الفرنسيين ببعض المثقفين من السنغال والقمريين[1] وهـذا ايضا سوف يظهر عند تداول الحركة الوطنية ان شاء الله .

---

(١) Blanchy,Sophie et des autres: op.cit .p.208 .

الفصل الخامس

المقاومة ضد الاستعمار

المبحث الاول

مقاومة بوني ١٩١٤

المبحث الثاني

مقاومة ديمان ١٩١٥

مقاومة ١٩١٤-١٩١٥:

كانت المقاومة وأعمال العنف قد بدأت في هذه الجزر منذ بدء الاتفاقيات والمعاهدات التجارية ومنح الامتيازات للفرنسيين .

وتصاعدت هذه الاعمال مع اعلان الحماية والاحتلال الفرنسي على هذه البلاد - وتطورت هذه الاعمال عند ضم الجزر القمرية للمستعمرات الفرنسية ووضعها تحت قوانيين اقاليمها فيما وراء البحار . اضف الى ذلك الضرائب الباهظة والعمل الاجبارى المفروض على الشعب .

وعلى الرغم من ان ردود الفعل القمرى فى الاضطرابات والاحتجاجات العنيفة ضد الوجود الفرنسى سادت على أرجاء الجزر كلها . الا ان رد الفعل القوى والمقاومة الاولية المنظمة فى هذه المرحلة المبكرة من الاستعمار تركزت فى القمر الكبرى " غازيجا ".

فقد ظهرت ثورات قوية فى كل من " ديمان " فى الجنوب الشرقى و " دومبا " فى الجنوب " باجين " و " بودى " فى الشمال الغربى . وكانت هذه الثورات منظمة شعبيا وعسكريا اشترك فيها كل قادر من المقاطعات الاخرى .

وكانت أهداف هذه الثورات واحدة هى الغاء الضرائب وانهاء الوجود الفرنسى فى الجزر القمرية . والجلاء عن البلاد نهائيا (١).

---

(١) Meunier Alexis: Le Statut politique et administratif de l'Archipel des Comores de l'annexion a l'autonomie -1912-1968. (s.l. 1970). p. 187 .

وكانت الادارة الفرنسية قد فرضت ضرائب باهظة على القمريين الرجال والنساء وعلى البيوت والمزارع[١] كما سبق الاشارة الى ذلك .

وفضلا عن أن القمريين لم يتعودوا دفع هذه الضرائب في تاريخهم الطويل - فقد كان الجنود الفرنسيون يدخلون الى بيوت الناس بهمجية وبربرية[٢] - لا يراعون حرمات البيوت ولا السلوك ولا الاخلاق التى تعود عليها القمريون وتربوا عليها .

وبدأ القمريون فى مختلف جزرهم يرفضون ويستنكرون هذا - التعدى الظالم الخارج على قواميس الحياة الكريمة . وبدأوا ينظرون الى هؤلاء المستعمرين وهم يدخلون الى بيوتهم دون مراعاة الحرمات ثم يضربونهم ويكبلونهم ويسوقونهم الى العمل الاجبارى المهين[٣] .

كل هذه الممارسات اللا انسانية التى بدأت تدخل الى هذه البلاد المسلمة مع دخول الفرنسيين اليها . جعلت نفوس القمريين تشتعل وتتفجر من هذا الظلم . وتتحين الفرصة لوضع حد لهذه المهانة[٤].

وجاءت الفرصة عند قيام الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ . - ودخول فرنسا فيها كقوى رئيسية فى صف الحلفاء[٥]. وانشغالها بعض الشئ عن الاضطرابات التى تحدث فى هذه الجزر[٦].

وفى ذلك الوقت وجد الثوار فرصة تنظيم صفوفهم لارغام الفرنسيين على مغادرة البلاد[٧]. فكانت المقاومات التى ظهرت فى هذه الفترة والتى هددت بالفعل الفرنسيين .

---

(١) Said Soilih Youssouf: les legs agraire colonial aux Comores .(Alger - Algerie 1980) p. 258 .

(٢) Ali Omar : l'Exploitation des Comores.(Sant-Denis-Re-union ,1926). p. 39 .

(٣) مقابلة مع الشيخ احمد مغوار - مدينة " مساغاجوديمان" جنوب شرقى القمر الكبرى بتاريخ ٩١/٢/١٢

(٤) مقابلة مع الشيخ احمد مغوار السالف الذكر .

(٥) Meunier Alexis: op.cit.p. 187 .

(٦) Said,Atuya: la Crovee a l'epoque coloniale en grand-Comore.(Moroni - Comores 1986) p. 121 .

(٧) Ibid: p. 121 .

المبحـــث الاول

مقـاومــة بــونى ١٩١٤

مقاومة بودى ١٩١٤:

القمريون قوم عموما تعودوا على الحرية والانطلاق والحكم القبلى والعشائرى - فلم يكن من السهل على فرنسا وضع هذه البلاد تحت سيطرتها دون تعرضها لمقاومات مبكرة وعنيفة ٠

وكان من أسباب هذه المواجهات ايضا تلك الاستفزازات التى بدأ القمريون يتعرضون لها من الجنود الفرنسيين عند مطالبتهم للضرائب(١).

وفى عام ١٩١٢ كانت الادارة الاستعمارية قد بدأت ترسل - جنودها الى المدن والقرى لجمع الضرائب من الاهالى - وكان القمريون يقاومون سياسة اجبارهم على دفع الضرائب ٠ لانها لم تجر على عادتهم ولم يألفوها فضلا عن اساءة الجنود لهم(٢).

ومنطقة " بودى " "Mboude" التى قامت فيها اول مقاومة منظمة تقع فى الشمال الغربى للقمر الكبرى ٠ وهى منطقة تاريخية عظيمة اذ كما تقول الروايات والمصادر ان مدينة " نساوين " وهى أكبر مدن هذه المنطقة - كانت البوابة الرئيسية لدخول الاسلام الى الجزر القمرية - وقد سبق الحديث عن ذلك(٣).

وبلدة " جومانى " " Djomani " هى ثانى المدن من حيث الاهمية فى هذه المنطقة - وهى أول بلدة انطلقت منها الشرارة الاولى - لمقاومة الاستعمار الفرنسى(٤)

وكلتا المدينتين ساحليتين ومتجاورتين وتقعان على الطريق الرئيسى القادم من مرونى العاصمة ٠ وتمتاز منطقة " بودى " بصفة عامة بقوة رجالها وشدة مراسهم ٠

---

(١) Said , Atuya : op. cit .p. 122 .

(٢) ibid :p . 121 .

(٣) مخطوطة الشيخ حسن على ص ٢٣٠

(٤) Said ,Atuya :op. cit .p.122 .

ويبدو أن اتصالات قد جرت بين جميع أهالى المنطقة على أن يهاجروا الى بلدة " جومانى " قبل مجىء جنود الادارة الفرنسية لمطالبة الضرائب أو للقبض عليهم للعمل الاجبارى أو الى الحرب. ولذلك سميت " ثورة أو مقاومة بودى " لان البوديين فى الواقع هم الذين نظموا هذه المقاومة بقيادة الزعيم الجومانى " مُحَاجُو مُمبيسة " "Mhadjou Mmbessa".(١)

ذلك أنه فى عام ١٩١٤ ذهب الجنود الى منطقة " بودى " لقبض الضرائب . وعندما وصلوا الى " نساوين " لم يجدوا فيها احدا من القادرين المفروض عليهم دفع الضرائب.(٢)

وذلك لان اهالى منطقة " بودى " كانوا قد تعسكروا فى بلدة " جومانى " لانها أكثر منعه ولها مغارات على الساحل يمكن - الاستفادة منها كحصون اذا ما قدم العدو من البحر.(٣) تحت قيادة " محاجو ممبيسة " زعيم المقاومة .

وعندما وصل الجنود الى بلدة " جومانى " ظهر لهم بعض الشباب - واعلنوا امام الجنود رفضهم دفع الضرائب.(٤)

ثم ظهرت مجموعة اخرى من الرجال وأحاطو بهؤلاء الجنود - وكان هؤلاء الجنود قد حاولوا ضرب الاهالى غير انهم وجدوا أنفسهم امام قوة منظمة ومسلحة.(٥)

وفى هذه الاثناء طالب زعماء المقاومة من الجنود مغادرة - المنطقة وابلاغ المقيم الفرنسى بأن عليه الجلاء بقواته من الجزيرة فورا.(٦)

---

(١) Said ,Atuya : op. cit .p. 122 .

(٢) Cadhi,Umar : Histoire des Comores.(Aix-en-province-France ,1978). p. 252 .

(٣) Bouchrahil Abdou:les Evenements de 1914-1915,contre la colonisation aux Comores(Dakar1981)p.86.

(٤) مقابلة مع ابن قاسم احد المعاصرين للاحداث - وذلك فى " جومانى" ٩١/٣/٢

(٥) مقابلة مع ابن قاسم السالف الذكر .

(٦) مقابلة مع ابن قاسم السالف الذكر .

وسارع الجنود بأنقاذ ارواحهم وخرجوا من البلدة وعادوا الى مرونى لابلاغ السلطات الاستعمارية[١]. ولم يكن بأمكانهم استعمال العنف لانهم لم يدر بخلدهم انهم سوف يجدون هذه المقاومة هذا الى جانب ان عددهم كان قليلا .

وفى هذه الاثناء كان الخبر قد انتشر على طول الجزيرة - جنوبها وشمالها . و توافدت جموع الرجال القادرين على حمل السلاح الى قلعة المقاومة " بجومانى "[٢].

وتسلح الجميع بالسيوف والدروع وبعض البنادق التى تحصلوا عليها من الجنود القمريين الذين ثارت فى نفوسهم ثائرة الكرامة وانضموا الى اخوانهم[٣]. وبدأوا يرددون المقولة المشهورة بالقمر " البقرة لا تأكل البقرة "[٤].

وانتظمت صفوف الثوار . وقاموا بوضع المتاريس والحواجز فى طريق " نساوين - مرونى " وذلك لمنع الجنود القادمين من العاصمة الدخول الى المنطقة . وتحصن البعض بالساحل لمواجهة اى عدوان قادم من البحر[٥].

وبلغ السلطات الفرنسية الاستعمارية فى مرونى ان هذه المقاومة ليست محصورة فى أهالى منطقة " بودى " وحدها بل هى منظمة من مختلف مناطق الجزيرة . وان جميع أهالى المناطق الاخرى معتشكرين بسلاحهم فى بلدة " جومانى "[٦].

وقامت السلطات الاستعمارية بأرسال الجنود الى المنطقة - ولكن الجنود وجدوا المتاريس فى طريقهم الى " نساوين " وادركوا ان - محاولة اختراق متاريس " نساوين " يعنى الوقوع فى كمين آخر . لان المقاومة ليست فى " جومانى " وحدها بل عمت منطقة بودى[٧].

---

(١) Bouchrahil Abdou:op.cit .p.86 .

(٢) Ibid :p. 84 .

(٣) Ibid :p. 87 .

(٤) من ابن قاسم . السالف الذكر.

(٥) Cadhi ,Umar:op.cit .p.253 .

(٦) Jean Martin: Comores quatre iles....vol.2. op.cit.p.482 .

(٧) Said,Atuya:op.cit.p.123 .

وتراجع الجنود الفرنسيون وقاموا بالاتصال بالسلطات فى مرونى[١].
وتأزم الموقف أمام هذه المقاومة المتصاعدة • وكان الخوف عند
المقيم السياسى هو انتشار هذه الثورة فى بقية الجزر مما يعنى
مواجهات صعبة امام فرنسا التى تخوض الان حربا عالمية[٢].

وقام المقيم السياسى بالاتصال بالمقيمين السياسيين بالجزر
القمرية الاخرى يخبرهم بضرورة مراقبة تنقلات اهالى القمر الكبرى
الى تلك الجزر وذلك خشية انتقال المقاومة البودية بجزيرة" غازيجا "
الى اخواتها[٣].

كذلك قام المقيم بالاتصال بحكومة مدغشقر الفرنسية والتى كانت
جزر القمر قد الحقت بها اداريا منذ العام ١٩٠٨ بطلب منها
المدد العسكرى لمواجهة الثورة[٤].

واثناء ذلك كان المقيم قد قام بمحاولة للتفاوض مع زعماء
المقاومة • وذهب الى " جومانى " ولكن الشباب اخذوا يضحكون
عليه ويسخرون منه وكادوا يقتلونه • ولكنه تمكن من الافلات • غير
انه لم يستطع العودة الى مرونى بل اتجه شمالا حتى وصل " متسامهول"
كبرى مدن الاقليم الشمالى • وهناك اختفى ينتظر مساعدة مدغشقر -
الفرنسية[٥].

وسرعان ما جاءت السفن الحربية من مدغشقر وهى تحمل الجنود
الفرنسيين والملجاشيين - كما قدمت الحكومة الاستعمارية الفرنسية فى
السنغال جنودا سنغاليين • وضربت هذه السفن حصارا بحريا على
" جومانى[٦]" واصبح البر فى يد الثوار والبحر فى يد القوى الفرنسية •

---

(١) Jean Martin: op.cit.p. 482 .

(٢) see, Cadhi ,Umar ;op.cit .pp.253-255 .

(٣) Meunier Alexis:op.cit.p.189 .

(٤) Bouchrahil Abdou:op.cit.p. 88 .
كذلك من حديث ابن قاسم السالف الذكر•

(٥) Jean Martin : op.cit.p. 482 .

(٦) من حديث ابن قاسم السالف الذكر•

وفد الادارة الفرنسية :

وفى هذه الاثناء فكر الفرنسيون فى طريقة اخرى لكسر شوكة مقاومة هؤلاء الثوار • ذلك ان الفرنسيين كانوا قد ادركوا أن أية ضربة بالمدافع وتدمير المدينة يعنى المقاومة[١] •

وكان استعمال القوة البحرية يتوقف على اشارة من موظفيها فى مرونى - وفى هذا الوقت - فكر الموظفون الفرنسيون فى مرونى فى اختيار اعيان الجزيرة وارسالهم الى الثوار لمفاوضتهم حول شروطهم[٢].

وكان هؤلاء الاعيان هم من بقايا النظام الاقطاعى القديم الذين بدأت الادارة الاستعمارية تستقطبهم وتقربهم اليها لاستخدامهم فى مثل هذه المواقف[٣] - اتباعا للمنهج الاستعمارى " فرق تسد "•

ومن هؤلاء الاعيان سيد حسن أخ السلطان سيد على - وإجهاد تيبى بَامْبا من " نسجين "[٤] - عاصمة السلطان موسى فوم •

ذهب سيد حسن مع اجهاد تيبى على راس وفد من رجالات مرونى ونسجين المتعاونيين مع الادارة الفرنسية الى بلدة جومانى[٥].

وهناك طلبوا مقابلة زعماء المقاومة • وخرج اليهم " محاجو ممبيسة" واخوانه من الزعماء لمقابلتهم • وتحدث الوفد وطلب من الثوار ضرورة وضع السلاح حتى لا تراق دماء اخرى[٦].

غير ان زعماء المقاومة ردوا عليهم بأن فرنسا هى التى تريد اراقة الدماء لانها اغتصبت هذه البلاد • واذا كانت فرنسا بالفعل كما تدعى تريد تجنب اراقة الدماء وتراعى حقوق هذه البلاد فأن عليها ان تأخذ مطالب اهل القمر وتنفذها على الفور[٧].

وكانت مطالب الثوار متمثلة فى مسألتين المسألة الاولى الغاء الضرائب - والمسألة الثانية جلاء الفرنسيين عن الجزر الاربع[٨].

---

(١) من حديث ابن قاسم السالف الذكر•
Ali Omar :op.cit.p. 41 .
(٢) Cadhi,Umar:op.cit.p.255 .
(٣)
Jeam Martin :op.cit .p. 485 .
(٤)
(٥) من حديث ابن قاسم السالف الذكر•
Jean Martin :op.cit .p. 485 .
(٦)
Bouchrahil Abd [illegible]

ويبدو من ذلك ان ثورة " بودى " اخذت على عاتقها التحدث عن مطالب القمريين فى مايوت وهنزوان وموهيلى • اى تتحدث عن كل البلاد وليس عن جزء منها •

وعلى الرغم من الحصار البحرى الذى ضرب على منطقة " بودى " وكل الاجزاء الشمالية ومراقبة تحركات القمريين من القمر الكبرى الى الجزر الاخرى الا ان اخبار المقاومة كانت قد تسربت الى بقية الجزر الثلاث[1] • وبدأت فى تلك الجزر الاضطرابات ومفهوم الجهاد ضد المسيحيين[2] •

ويقول احد المعاصرين ان اخبار المقاومة البودية عندما وصلت الى هنزوان - خرجت الجماهير الهنزوانية فى تظاهرة كبيرة تطالب بجلاء المستعمر ورفع الحصار عن القمر الكبرى[3] •

ولكن الادارة الفرنسية قابلت هذه المظاهرات بقمع شديد فقتلت العشرات وسجنت المئات التى حاولت السفر الى جزيرتهم الكبرى[4] •

كذلك عندما وصل نبأ قيام مقاومة " بودى " الى مايوت تحركت القومية القمرية والنزعة الوطنية وشعر المايوتيون ان ساعة الخلاص من الاستعمار قد اقترب - وقامت الجماهير المنتظمة بالمظاهرات منددة بالموت لفرنسا وحرق اعلامها[5] •

بيد أن الفرنسيين واجهوا هذه الاضطرابات بعنف شديد • ولم تقف مظاهرات المايوتيين الا بعد اخماد مقاومة " بودى "[6] • وقد راح كثير من القمريين فى مايوت شهداء السلاح الفرنسى[7] •

---

(١) Ali Omar : op.cit.p. 47 .

(٢) Said,Atuya:op.cit.p. 146 .

(٣) مقابلة مع المعاصر الشيخ مبارك سعيد بمنزله بمدينة " موتسامودو " بجزيرة هنزوان تاريخ ١٦/٥/٩١ •

(٤) Cadhi ,Umar: op.cit.p. 255 .

(٥) Jean Martin: op. cit ;p. 485 .

(٦) ibid: pp.254-255 .

(٧) مقابلة مع المعاصر ابرا مكاف فى منزله بمدينة " دزاودزى" بجزيرة مايوت ٣٠/٥/٩١

وكانت صفوف المظاهرات قد انتظمت ايضا فى موهيلى - وكانت هذه الجزيرة الاخيرة هى التى بلغت الخبر الى هنزوان ومايوت[١] وذلك باعتبارها اقرب الجزر القمرية الى اختها الكبرى[٢].

وكان الموهيليون قد حاولوا السفر الى القمر الكبرى مثل المايوتيين والهنزوانيين ولكن السلطات الفرنسية فى تلك الجزر منعتهم - فنظموا صفوفهم فى المظاهرات تعبيرا عن مشاركة اخوانهم الشعور الوطنى[٣].

وكان وفد الادارة الفرنسية قد حمل رد الثوار حول مطالبهم الى السلطات الاستعمارية فى مرونى • وابدت السلطات الفرنسية رغبتها فى تنفيذ هذه المطالب[٤]

ولكى تثبت ان لها حسن نوايا تجاه المطالب القمرية • اعلنت السلطات الاستعمارية ابطال الضرائب المفروضة على النساء والبيوت على ان تنظر فى بقية المطالب بعد وضع سلاح الثوار واعادة الوضع الى ماقبل المقاومة[٥].

حمل وفد الادارة الفرنسية برئاسة سيد حسن واجهاد تيبى رد السلطات الفرنسية الى الثوار[٦] واستطاع الوفد اقناع الثوار بوضع سلاحهم - لان السلطات بدأت تنفذ مطالبهم - وأن بقية المطالب انما تكون بعد اعادة الامن والطمأنينة وتفريق جموع الثوار[٧]

وانتهت بذلك مقاومة " بودى ١٩١٤ " بعد ثلاثة شهور[٨] من المقاومة والسيطرة على البر القمرى • الا أن فرنسا كعهدها فى الغدر وخيانة العهد • غدرت بالقمريين - اذ ما أن وضع الثوار سلاحهم حتى قامت السلطات الاستعمارية بالقبض عليهم ونفى زعائمهم الى جيبوتى ونوفيل كلدونيا[٩].

---

(١) Bouchrahil Abdou:op.cit.p. 87 .

(٢) ملحق (خريطة) رقم ١٧ .

(٣) مقابلة مع المعاصر الشيخ مروان السيد - بمدينة " فمبونى " بجزيرة موهيلى تاريخ ٢٦/٥/٩١ .

(٤) Jean Martin :op.cit.p.485 ..

(٥) Meynier Alexis: op. cit .p.190 .

(٦) ibid: p. 190 .

(٧) Jean Martin :op. cit .p.485 .

(٨) Said,Atuya:op.cit.p.147 .

(٩) Meunier Alexis :op.cit .p. 190 .

الجدير بالذكر أن المرأة القمرية ساهمت فى هذه المقاومة مساهمة كبيرة - فقد قامت " مُوَانَا هَايَا " وهى احدى نساء " جومانى " تحث النساء على الوقوف خلف رجالهم وشبابهم وتشجعهم على ضرب العدو (١).

وكانت هؤلاء النساء تعدن الطعام وتحمله الى مواقع رباط الثوار - وذلك حتى يظل المحاربون مرابطين فى مواقعهم (٢)

والملاحظ ان هذه المقاومة بالرغم من انها كانت منظمة شعبيا ومعبأة عسكريا الا انه لم تقع مواجهات عسكرية بين - الفرنسيين والثوار القمريين سوى بعض المناوشات القليلة التى حاولت السفن البحرية الفرنسية بها تهديد الثوار بتدمير " جومانى " (٣).

ولعل السبب فى عدم وقوع اشتباكات يرجع الى انه لو قامت فرنسا بأستخدام مدافعها فى تدمير " جومانى " كان ذلك يعنى اباحة دماء الفرنسيين الموجودين فى الجزر (٤).

لان القمر الكبرى تزعمت المقاومة ولكن اخواتها شاركتها - بالمظاهرات واحداث الاضطرابات وتهديد الفرنسيين داخل بلادهم (٥).

ويبدو أن فرنسا ادركت ذلك • وعملت على التفاوض - خاصة وان الحرب العالمية الاولى كانت قد بدأت تحصد الارواح - وفرنسا تريد مزيدا من الجنود والسفن لمواجهة الجيوش الالمانية والنمساوية حتى لا تفقد اقاليمها ومستعمراتها اثناء هذه الحرب •

وكانت من نتائج هذه المقاومة الغاء ضرائب النساء والبيوت كما سبق الاشارة الا ان هذه النتائج لم تكن تغنى عن المطالب القمرية التى طالبت بالجلاء • الامر الذى ادى الى قيام مقاومة أكثر عنفا فى العام التالى لتحقيق هذه المطالب •

---

(١) Bouchrahil Abdou .op.cit.p.86 .
كذلك من حديث المعاصر ابن قاسم السالف الذكر •

(٢) كذلك من حديث المعاصر ابن قاسم السالف الذكر • Ibid:p.86.

(٣) Jean Martin :op.cit .p. 485 .

(٤) من حديث المعاصر مروان السيد بجزيرة موهيلى (سالف الذكر) •

(٥) من حديث ابرا مكاف • بجزيرة مايوت • (سالف الذكر) •

المبحث الثاني

مقاومة نيسان ١٩١٥

ثورة ديمان ١٩١٥:

لقد تداولت بعض المراجع[١] انه لم يكن قبول الادارة الفرنسية بالغاء ضرائب النساء الا بعد تدخل سيد حسن لدى الادارة الفرنسية ومطالبته لها بضرورة الغاء هذه الضريبة لانها تمس قلب الشعب وكرامته اذ ان المرأة عندهم لها كرامة ومكانة خاصة متفردة .

وابدى استعداده فى تخصيص ثلثى اراضيه بمنطقة " بمباو " المليئة " بالفانليا " و " اللانق لانقى " والاشجار الطيبة الاخرى لتوخذ منها ضرائب النساء[٢].

وأصبح سيد حسن بذلك الاتفاق يدفع الضرائب عن النساء القمريات فى جميع الجزر الاربع[٣]- وكان ذلك احد الاسباب التى - دفعت بالادارة الفرنسية الى اصدار قرارها بالغاء الضرائب المفروضة على النساء[٤].

وكان ثوار (١٩١٤) يرفضون بشدة تجزئة مطالبهم أو تنفيذها على فترات[٥]- ولكن يبدو ان الامير سيد حسن واجهاد تيبى - استطاعوا اقناع زعماء المقاومة ان فرنسا سوف تنفذ بقية المطالب فور عودة الثوار الى مناطقهم .

ولكن كان واضح منذ البداية أن الادارة الاستعمارية خدعت القمريين . اذ ما أن وضع الثوار سلاحهم - وبدأوا يعودون الى مناطقهم حتى قامت الادارة الاستعمارية بالانتقام منهم والتنكل بزعماء المقاومة ونفيهم الى خارج البلاد[٦].

وكان رد الفعل لذلك كله ان قامت مقاومة فى الجنوب من القمر الكبرى ايضا . وهذه المقاومة قامت فى بلدة " دُومْبا " عام ١٩١٥[٧]- الا أن اخبار مقاومة " دِيْمَانِ " القريبة من " دومبا " كانت قد تسربت الى ثوار " دومبا " فتحركت جموع ثوار الجنوب الى الجنوب الشرقي للالتحام وتعزيز الصفوف وتوحيد المقاومة فى صف واحد.[٨]

---

(١) Ali Omar:op.cit. p. 48 .

(٢) Ibid:p. 49 . (٣) Ibid :p. 48 .

(٤) Cadhi,Umar:op.cit.p. 255 .

(٥) Bouchrahil Abdou:op.cit.p.87 .

(٦) Ibid: p. 86 .

(٧) Ibid:p. 87 .

ومنطقة "دِيْمانِ" تقع فى الجنوب الشرقى من القمر الكبرى وهذه المنطقة تتوسط منطقة "وَشِيْلِ" و "بَاجِيْنِ" الجنـوب واهم مدن ديمان هى "مْسَاغَاجُو"[1] و "سِمْبَا مَادِى" واهلهـا من قبيلة "انا فمبايا"[2].

وكان عموم انافمبايا اكثر المعارضين للوجود الفرنسى فـى البلاد . وكانوا يتهمون سيد على انه كان وراء دخول الاستعمار الى هذه الجزر - ولاينسون ان سيد على هو الذى اسقط السلطان موسى فوم زعيم قبيلتهم واخذ لقب سلاطين السلاطين "تيبه"[3].

ويبدو انهم كانوا من الذين وقفوا ضد اى اتفاق مع الفرنسيين فى مقاومة ١٩١٤ وحجتهم فى ذلك أن أى اتفاق مع الفرنسيين سوى خروجهم من البلاد يعد مضيعة للوقت[4].

وان اعلان الغاء الضرائب لا يكفى لانه خيط صغير فى مطلب رئيسى كبير لا مساومة فيه وهو الاستقلال والجلاء[5].

وهذه الاسباب وغيرها اجتمعت وجاء السبب المباشر عند - تكبيل زعماء مقاومة "بودى" ونفيهم الى جيبوتى ونوفيل كلدونيا[6].

وهو الامر الذى شجع ثوار "ديمان" على القيام بمقاومتهم ضد الادارة الاستعمارية وراوا ان مهمتهم هى الدفاع عن حياض - الوطن واخراج المستعمر منه[7]. مهما كلفت ذلك من أرواح.

وزعماء مقاومة[8] "ديمان" هم "مَسِيمُ" و "مْتَسَلَا" و "احْمَد بَاتِيَارَا" وكانت قلعة المقاومة هى بلدة "سِمْبَامَادِى"[9] - الساحلية . وسميت بمقاومة "ديمان" لانها اولا قامت فى هذه المنطقة[10] وثانيا ان الديمانيين هم الذين تزعموا هذه المقاومة[11].

---

(١) ملحق (خريطة) رقم "٣"

(٢) Ali Omar : op. cit .p. 57 .

(٣) Ibid: p. 56 .

(٤) Bouchrahil Abdou .op.cit. p. 93 .

(٥) Ibid:p. 93 .

(٦) Jean Martin :op.cit.p. 487 .

(٧) Cadhi,Umar:op.cit.p. 261 .

(٨) Meunier Alexis:op.cit. p. 194 .

(٩) كذلك من حيث المعاصر أحمد مغواز. بمنزله بمدينة" مساغاجوديمان" كبرى مدن منطقة الاحداث ١٩٩١/٢/٢٠

(١٠) Ali Omar:op.cit.p. 58.

وفى ٨ أبريل (١٩١٥) انطلقت شرارة المقاومة - وتحصن الثوار فى " سمباهادى " وأعلنوا مطلبهم الوحيد المنحصر فى الجلاء الفورى والنهائى للفرنسيين من البلاد دون شروط (١).

وما ان ظهرت هذه المقاومة حتى تحركت اليها الجماهير القمرية من كل فج خاصة أهالى المناطق الجنوبية (٢) و "وشيل " و " همهامى" (٣).

كذلك عمت الاضطرابات جميع انحاء الجزر الاخرى التى كانت السفن الحربية تضرب عليها حصارا بحريا يمنع التنقل من والى القمر الكبرى - منذ العام ١٩١٤ (٤).

وكانت الحرب العالمية قد اشتد سعيرها - وكانت بعض القطع الحربية للحلفاء لاتزال على المياه القمرية لمراقبة المانيا التى كانت تحتل " تنقانيقا " فى الساحل المواجه للقمر (٥). هذا الى جانب السفن الفرنسية التى كانت قد وصلت الى المياه القمرية لمواجهة - ثورة " بودى " (٦).

وكانت اخبار مقاومة " ديمانى " قد وصلت الى مرونى فى وقت مبكر . فأتصلت الادارة الفرنسية بالاسطول البحرى بالتوجه جنوب شرق على ساحل " ديمان " بينما توجه الجنود الفرنسيون الذين كانوا فى مرونى نحو " ديمان " عن طريق منطقة (وشيل) وتمكنوا من - السيطرة على الطريق البرى الذى يربط وشيل بمرونى (٧).

ولم يتمكن الثوار من السيطرة على ذلك الطريق الهام المؤدى الى مناطق العمليات - رغم تمكن جموع كبيرة من اهالى " وشيل " - وهمهامى " من الافلات ومشاركة اخوانهم الديمانيين . هذا الى جانب الرجال الجنوبيين اصحاب السلطان هاشم الذى مات بالسلاح الفرنسى كما سلف الذكر .

وكانت المظاهرات منتشرة فى بقية الاقاليم والمناطق التى كان الجنود الفرنسيون قد فرضوا حصارهم عليها ولم يتمكن رجالها من الخروج الى القتال كمنطقة " بواكو " و " متسمهول " وغيرها (٨).

---

(١) Blanchy,Sophie et des autres:Comores sur les trace de l'histoire (MOroni -Comores 1989).p.268.

(٢) JeanMartin:op.cit.p.487

(٣) مناطق " وشيل " وهمهامى " هما معاقبتين لمنطقة " ديمان " واهلها من قبيلة واحدة هى " انافمبايا " ملحق ٣ خريطة رقم (٣) ص ٢٢٧

Bouchrahil Abdou:op.cit.p.93.

(٤) Jean Martin .op.cit.p 482 .

(٥) Herve Chagnoux:les Comores.(Paris 1990) .op.cit.p.134 .

(٦) ibid: p.139 .

وكان عدم تمكن الثوار من السيطرة على الطريق البرى وتركه يقع فى ايدى جنود الاستعمار عجل بنهاية المقاومة وبخسائر فادحة على عكس مقاومة " بودى " التى وضع الثوار ايديهم على السيادة البرية ومثلوا تهديدا واضحا للفرنسيين وأدى ذلك الى اطالة فترة المقاومة قبل وساطة الوفد الحكومى.(١)

ويبدو أن ثوار " ديمان " لم يفكروا فى اهمية البر فى الحروب - وتوقعوا مجىء السفن الفرنسية من البحر فركزوا جهودهم على بلدة " سمباهادى " أو ربما كان لسرعة الاعداد سبب فى عدم تمكنهم من وضع أيديهم على السيادة البرية •

وكانت السفن الفرنسية قد حاصرت منطقة " ديمان " ووقفت الاسطول الفرنسى على ساحل " سمباهلدى " وهى تحمل الجنود الفرنسيين والملجاشيين والسنغاليين.(٢)

وتمكن الفرنسيين من محاصرة الثوار برا وبحرا ولم يعد للثوار مفرا من الاستسلام أو الموت - فأختاروا الموت فى سبيل الدفاع عن تراب الوطن ومجده.(٣)

وكان الجنود الفرنسيين قد نزلوا من السفن الى ساحل - " سمبامادى " واقتربوا من الثوار وظهر قائدهم الفرنسى وطلب منهم الاستسلام ومغادرة المكان فورا.(٤)

الا أن القمريين وهم أهل عزة وكرامة وشجاعة وبطولة - اصروا على المواجهة • وبرز اليهم الزعيم الوطنى الشاب " مسيم "(٥) - أحد قواد المقاومة ورمى برمحه على المترجم القمرى المدعو" إِجَابُوجِيْدَا" وهو من منطقة " هَامْبُو " وكان يترجم للقائد الفرنسى - واراده قتيلا.(٦)

---

(١) Bouchrahil Abdou :op.cit.p. 95 .

(٢) Meunier Alexis :op.cit.p. 194 .

(٣) Bouchrahil Abdou.op.cit.p.95 .

(٤) Flobert Thierry:Comores,evolution juridique et socio politique.(Paris 1976)P.354.

(٥) كذلك من حديث المعاصر احمد مغوا السالف الذكر Ibid: p. 354.

(٦) كذلك من حديث المعاصر احمد مغوار السالف الذكر Ibid:p. 354 •

وفى هذه الاثناء احتمى القائد الفرنسى بجنوده الملجاشيين - الا أن " مسيم " قرر أن يبدأ الحرب(١) - فقام وقتل بسيفه أحد الجنود الفرنسيين - واستمر بسلاحه الابيض يضرب به العدو غير ان رصاصة العدو النارية استقرت فى صدره ومات شهيدا(٢).

واندفع الثوار على الجنود الفرنسيين وهم بسلاحهم الابيض السيف والسكين والفؤوس والاحجار وقليل من بنادق الجنود القمريين الذين أنضموا الى اخوانهم(٣).

واستعرت نار الحرب مدة ثلاثة ايام من (٨) الى (١١) - ابريل من عام ١٩١٥(٤) . ولم يتمكن الفرنسيون من انهائها الا بعد استخدامهم المدافع البحرية وتدمير البلدة وحصونها التى كان الثوار قد اقاموها(٥).

وكانت حرب غير متكافئة - واجه السلاح الابيض القمرى المدافع الفرنسية التى حصدت ارواح كثيرة من الزعماء منهم " أحمد بتيارا " و " متسالا " ومسيم " وغيرهم(٦). وقد أبلى القمريون فى هذه - المعركة بلاء حسنا اشاد به العدو(٧).

وكعهد الاستعمار فى كل مكان وزمان عندما يهدده أهل البلاد المستعمرة بالثورات - فقد قامت الادارة الفرنسية الاستعمارية بنفى الوطنيين الذين نجوا من الموت الى جزيرة " سنت مارى " ومدن اخرى بمدغشقر(٨).

ويقول أحد المعاصرين أنه بعد انتهاء المعركة . دخل الجنود الفرنسيون مدن وقرى منطقة " ديمان " وقبضوا على رجالها وشبابها ونفوهم الى خارج البلاد . حتى أن عدد المصلين فى جمعة ذلك اليوم فى مدينة "متساغاجو" كبرى مدن المنطقة كانوا (١٠) أشخاص أما الباقون فقد أخذوا قسرا الى المنفى(٩).

---

(١) Flobert Thierry:op.cit. p.354 .

(٢) Bouchrahil Abdou:op.cit.p.97 .

(٣) Blanchy,Sophie et des autres: op.cit.p. 275 .

(٤) Ibid:p. 275 .

(٥) Bouchrahil A;op.cit.p.97(٦).Thierry: op. cit .p 355 .

(٧) Jean Martin: op. cit .p. 488 .

(٨) Ali Omar :op. cit .p.52 .

(٩) احمدمغوار السالف الذكر . وكما يقول انه كان ضمن المشاركين فى هذه الثورة وهو شاب فى الثامن عشر من عمره .

والخلاصة أن مقاومة " ديمان " كانت منظمة عسكريا وشعبيا لان الرجال تسلحوا بسلاحهم الابيض وأتوا لحرب العدو الفرنساوى وشعبيا لان الاهالى تقاطرت الى مواقع التجمع • والذين لم - يتمكنوا من الحضور تجاوبوا بأحداث الاضطرابات والمظاهرات في المدن والقرى والجزر •

وأن هذه المقاومة هى امتداد لمقاومة ١٩١٤ لان زعماءها " مسيم " و " متسالا " و " أحمد بتيارا " وهم من الشباب - كانوا ضمن الذين شاركوا فى ثورة " بودى ومن الذين عارضوا أى اتفاق بينهم والفرنسيين سوى جلائهم من البلاد(١). وهى فى نفس الوقت ترجمة للرفض القمرى للاستعمار الفرنسى •

ويظهر الحماس القوى للحرب عند الشاب " مسيم " حتى لاتكون هذه المقاومة مثل أختها البودية التى تم فيها خداع القمريين والغدر بهم ونفى زعمائهم الى المنفى •

فكأن قرار الثوار الخوض فى الحرب لاثبات للفرنسيين أن - القمريين على استعداد للموت فى سبيل وطنهم وترابهم وأن أسلوب المناورة والخداع قد تم كشفه •

وربما كان هو السبب ايضا لعدم اهتمامهم للبر - لانهم اعتقدوا أن قوات العدو سوف تأتى من البحر أما القوات الموجودة فى الداخل فأمرها هين •

وكان عدم سيطرتهم على البر أو تفكيرهم فى أهمية السيادة - البرية فى الحرب ما سهل للقوات الفرنسية اغلاق المنافذ المودية الى مواقع الثوار - ولذلك كانت نسبة المشاركين فى مقاومة " بودى " ١٩١٤ أكثر عددا من المشاركين فى مقاومة " ديمان " ١٩١٥.(٢)

---

(١) Bouchrahil Abdou.op. cit.p.96 .

(٢) Ali Omar :op.cit.p. 53.

ومن نتائج هذه المقاومة أن فرنسا رأت مهمة اعادة النظر فى تقسيم الاقاليم والمناطق الى مديريات وكانتونات أصغر وتخصيص مكاتب اشراف ومراقبة(١)- هذا فضلا عن تخفيض الضرائب الى ٣ ريالات واقتصارها على الرجال البالغين الذين يملكون المزارع(٢).

ولكن العمل الاجبارى استمر - كما تم نفى كثير من زعماء الجزر القمرية الاخرى الذين كانوا يتزعمون المظاهرات اثناء مقاومات القمر الكبرى(٣).

---

(١) Meunier Alexis :op.cit.p.194 .

(٢) Jean Martin :op. cit .p. 488 .

(٣) من حديث المعاصر احمد مغوار السلف الذكر.

الخـــاتمـــــة

الخاتمـة :

بكل المقاييس لقد واجهت مشاكل عديدة فى سبيل هذه الدراسة تمثلت فى انعدام المصادر والمراجع العربية فى المكتبة العربية - الامر الذى اضطرنى للسفر الى جزر القمر وغيرها من الدول بقصد الحصول على المعلومات • فضلا عن الصعوبات المادية • ولكن رغم هذه الصعوبات التى كادت ان تشل عملية البحث أو توقفها نهائيا - فقد استطعت الحصول على جملة نتائج هى بمثابة حصيلة هذا البحث الذى ضم مقدمة وتمهيد وخمسة فصول •

لقد وصلت فى التمهيد الى عدة نتائج تمثلت فى :-

١) اثبات الموقع الجغرافى للجزر القمرية •

٢) تحقيق التسمية والوصول الى نتائج ايجابية عن التسمية بالقَمَرَ•

٣) التعرض الى اهم مظاهر السطح وذكرنا فيه البركان الموجود بالقمر الكبرى والذى يبلغ ارتفاعه ٢٣٦١ متر كذلك تعرضنا الى ذكر المناخ خلال فصول السنة •

٤) تناولنا العناصر البشرية التى جاءت الى القمر والتى تمثل اصول - المجتمع القمرى • ووصلنا الى ان المجتمع القمرى هو من المجتمعات السامية الحامية او الافريقية الاسيوية •

٥) كذلك وصلنا الى أن اللغة القمرية عبارة عن خليط من لغات ولهجات الشعوب المكونة للمجتمع القمرى •

٦) تعرضنا الى ذكر دخول الاسلام واعتبار الاسلام هو الدين الوحيد - الموجود بالقمر والذى يدين به جميع القمريين بنسبة ١٠٠٪ مسلم وانه دخل منذ القرن السابع الميلادى •

٧) كذلك تعرض الباحث الى ذكر الموارد الاقتصادية التى تشتهر بها جزر القمر •

وفى الفصل الاول وصل الباحث الى النتائج الاتية :-

١/ قيام السلطنات القمرية الاقطاعية منذ القرن السادس عشر الميلادى واعتبار ذلك نتيجة الهجرات الشيرازية بعد سقوط كلوة فضلا عن الهجرات الغربية العمانية على اثر ابعاد البرتغاليين من الخليج ومساعدة العمانيين اخوانهم فى ساحل شرقى افريقيا ضد البرتغاليين •

٢/ اعتبار القبلية الشديدة التى تمثلت خاصة فى القمر الكبرى بين " ونابيروسا " و " نافمبا " سببا فى الحروبات التى جرت فى هذه الجزر • هذا الى جانب ما دار من حروب بين بعض الامراء " السكالافا" الملجاشيين وامراء السلطنات القمرية الامر الذى ادى الى اغتصاب امارة موهيلى من سلطنة هنزوان على يد امير ملجاشى وغير ذلك من الاحداث التى مزقت شرايين هذه السلطنات فى القرن التاسع عشر الميلادى ووصل الباحث الى أن هذه الاحداث كانت وراء أو ساعدت على الاقل فى وقوع البلاد تحت الاستعمار•

٣/ كذلك فى هذا الفصل استعرض الباحث جانبا من العلاقات الخارجية لجزر القمر قبل الاستعمار • وحدد الباحث مدغشقر والمدن الساحلية بما فيها زنجبار و وصل الباحث الى أنه كانت للسلطنات القمرية علاقات بشرية وتجارية وسياسية و دينية مع مدغشقر • هذا فضلا عن الاغارات الملجاشية التى ضربت الجزر القمرية فى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى •

٤/ كذلك تناول الباحث العلاقات الدينية والبشرية والاقتصادية والسياسية بين جزر القمر والمدن الساحلية - ووصل الباحث الى نتائج عدة فى اعتبار ان هناك وحدة خصال مشتركة بين هذه المدن الساحلية وجزر القمر - هذا فضلا عن التركيز الخاص لخصوصية العلاقات - القمرية الزنجبارية فى التجارة والسياسة وخلاف ذلك •

وتحصل الباحث فى الفصل الثانى على النتائج الاتية :

١ـ نسبة لان كل جزيرة حتى وقت الزحف الاوربى على هذه البلاد • كانت تمثل امارة أو سلطنة قائمة بذاتها مستقلة عن الاخرى - استطاع الفرنسيون عقد اتفاقياتهم مع كل سلطنة بشكل انفرادى • وهذا كان وراء الصعوبات التى واجهها الفرنسيون لاستعمارهم هذه البلاد اذ مثلا احتلوا مايوت عام ١٨٤٣ ولم يتمكنوا من فرض - سيطرتهم النهائية على بقية اخوات مايوت من الجزر الا عام ١٨٨٦ عقب معاهدات الحماية التى تمت فى هنزوان وموهيلى والقمر الكبرى•

٢ـ كذلك توصلنا الى أن الحروبات التى كانت تحدث فى البيوتات الحاكمة فى هنزوان وكذلك الامارات فى القمر الكبرى كانت خلف الزحف الفرنسى لاحتلال الجزر - كذلك استطاعت فرنسا ان تغلب منافستها انجلترا وتبعد نفوذها عن جزيرة هنزوان وذلك بأعلان فرنسا أن هذه الجزر مناطق نفوذها • كذلك استطاعت فرنسا ان تحذر المانيا عن مغبة تدخلها فى شئون الجزر عندما ارادت الاخيرة الوقوف الى جانب السلطان هاشم على أثر معاهدة ١٨٨٥ بين السيد على والفرنسيين بشأن القمر الكبرى •

٣ـ ورغم هذه الاحداث والحروبات الاهلية التى لا شك ساعدت بصورة - او بأخرى على تمهيد الطريق لدخول المستعمر الفرنسى • الا انه كان من وراء هذا الاستعمار البغيض فائدة جديرة بالاعتبار وهى توحيد الجزر القمرية الاربع تحت ادارة واحدة بعد ان عاشت كل واحدة منها فى وحدة اقطاعية مستقلة •

وتحصل الباحث فى الفصل الثالث على جملة نتائج منها :ـ

١) تعرض الباحث الى ذكر النظام الذى كان سائدا قبل الاستعمار الفرنسى• مما يدل على وجود وعى سياسى وثقافى وحضارى كبير فى المجتمع القمرى فى تلك القرون الماضية •

٢) كذلك تناول الباحث النظام الادارى الذى كانت الادارة الاستعمارية قد اقامته بهذه البلاد من محاكم وضرائب وعمل اجبارى وخلاف ذلك •

بيد ان حدود البحث ١٩١٥ ولذلك لم يستطع الباحث التعمق فى النظام الذى كان قد اخذ فى الاتساع والتطور منذ نهاية الحرب العالمية الثانية - وذلك بظهور وطنيين فى الساحة السياسية ٠

وبمعنى اخر ٠ أن دراسة النظام الادارى تحتاج ايضا الى مزيد من المعلومات عند دراسة الحركة الوطنية ٠

٣) كذلك تناول الباحث الشركات الاستعمارية ودورها فى بناء الاستعمار ٠ وان المصانع التى كانت قائمة بهذه الجزر قبل دخول الاستعمار كانت قد وضعت تحت ادارة هذه الشركات ثم فى عام ١٩١٠ اصبحت الادارة الفرنسية تديرها مباشرة ٠

وفى الفصل الرابع وصل الباحث الى :

١: اعتبار التعليم الخلوى كان اساسا للتربية فى جزر القمر - ولذلك ظلت الخلاوى تعمل ابان العهد الاستعمارى فى تثقيف الناس وتوجيههم التوجيه السليم ٠

٢: رغم تأسيس بعض المدارس الفرنسية فى مختلف الجزر القمرية الا ان نسبة الملتحقين بها من القمريين كان ضئيلا حتى عام ١٩١٥ وذلك باعتبار ان هذه المدارس مؤسسات مسيحية ٠

ولكن مع ازدياد الوعى منذ الاربعينيات من القرن الحالى وتأسيس العديد من المدارس على مختلف المناطق ادى الى زيادة - الملتحقين بها - وذلك سوف يأتى فى دراسة أخرى ٠

وظهر من خلال ما استطاع الباحث عرضه فى هذا الفصل ان - الثقافة العربية هى التى يعتبرها القمرى ثقافته الاصلية والتى يدرس من خلالها القرآن والفقه والعبادات والحساب والخط وخلاف ذلك ٠ وان هذه الثقافة مبشرة بالنجاح مستقبلا ٠ وهذا سوف نشاهده أكثر فى التعليم عند دراسة الحركة الوطنية ٠

وفى الفصل الخامس وصلنا الى اعتبار ان المقاومة التى اندلعت عامى ١٩١٤ و ١٩١٥ كانت تعبيرا عن رفض القمريين الوجود الاجنبى • فضلا عن ما بدأت الادارة الاستعمارية تطبيقها عليهم من ضرائب وعمل اجبارى وخلاف ذلك •

المصادر والمراجع

أ- المقابـــلات ٠٠

هذه المقابلات تمت مع شيوخ معاصرين لاحداث مقاومة ١٩١٤-١٩١٥ اضافة ألى شيوخ الخلاوى ٠٠

١/ احمد مغوار (بلدة متساثاجوديمان)) القمر الكبرى ١٢/ ٢/ ١٩٩١م٠

٢/ ابن قاسم مجومانى القمر الكبرى ٢/ ٣/ ١٩٩١م٠

٣/ ابرا مكافه زاوزدى) مايوت ٠ ٣/ ٥/ ١٩٩١م٠

٤/ سامل نوراجى وانى هنزوان ٠ ٥/ ٣/ ١٩٩١م ٠

٥/ سيد عمر مقاهابى (هانسيترى القمر الكبرى ٤/ ٤/ ١٩٩١م٠

٦/ سيد عبد الله مرونى (مرونى)) عاصمة البلاد ١٤/٤/ ١٩٩١م٠

٧/ غنارى (هانسيتزى)) القمر الكبرى ٤/ ٤/ ١٩٩١م٠

٨/ فاطمة اسلام ((هانسنترى) القمر الكبرى ٤/ ٤/ ١٩٩١م٠

٩/ محمد أحمد الجيلانى (مرونى) عاصمة البلاد ١٤/ ٤/ ١٩٩١

١٠/ مبارك سالم (متسمهول) القمر الكبرى ٢٢/ ٤/ ١٩٩١

٢- المخطوطات -

١- مخطوطة احمد صفاهاى - عند أولاده بمدينة موين بالقمر الكبرى .

٢- مخطوطة السيد عدنان المحاج - بالمتحف القومى بزنجبار .

٣- مخطوطة برهان مكيلى - نسخة عربية عند الدكتور عمر النقر - استاذ التاريخ الحديث بجامعة الخرطوم .

٤- مخطوطة حسن على - عند اولاده بمدينة نساوين بالقمر الكبرى .

٥- مخطوطة رقم (٦٩٩) ٣٦٧-١٢ . بالمركز القومى للبحوث بمرونى عاصمة جزر القمر .

٦- مخطوطة رقم (٦٩٩) ٣٨٣-١٢ . بالمركز القومى لبحوث بمدينة مرونى .

٣- الوثائق ..

هذه الوثائق توجد بالمركز القومى للوثائق والبحوث العلمية بمدينة موروني عاصمة القمر .

Les Documents, se trouvent au Centre National de Documentation et de Recherche Scientifique. (C N D R S).

1- Doc. no. 233-3 / 1840 .

2- Doc. no. 1233-3/ 1840 .

3- Doc. no. 1283-6/ 1841 .

4- Doc.no. 1306-3/ 1843 .

5- Doc. no. 1307-4/ 1843 .

6- Doc.no. 341-11/1843 .

7- Doc.no. 364-17/1847 .

8- Doc.no. 347-35/ 1859 .

9- Doc.no. 338-444/ 1885 .

10.Doc.no. 351-57/ 1886 .

11-Doc.no. 349-255/1886 .

12-Doc.no. 297-250/1891 .

13-Doc.no.339-37/1912 .

٤-: المصادر العربية :

١- ابن بطوطة - رحلة ابن بطوطة • دار صادر • بيروت ١٩٦٠•

٢- الحموى - ياقوت - معجم البلدان • المجلد الرابع دار صادر للطباعة والنشر ببيروت ١٣٧٦هـ/١٩٥٧•

٣- الطبرى - تاريخ الرسل والملوك • الجزء الثالث - دار المعارف مصر - ١٩٦١•

٤- الواقدى - كتاب الطبقات الكبير • الجزء الاول - طبع فى مدينة ليدن مطبعة بريل ١٣٢٥هـ منشورات موسسة النصر - طهران •

٥: المراجع العربية :

ونعنى بها بما كتب باللغة العربية بصرف النظر عن كاتبها •

٥- السيد رجب حراز • افريقية الشرقية والاستعمار الاوربى - دار النهضة العربية ١٩٦٨•

٦- السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ العرب فى العصر الاسلامى - مؤسسة شباب الجامعة - الاسكندرية ١٩٨٢•

٧- جورج • هـ • ت • كيميل ، افريقية المدارية - المجتمع والانظمة الحاكمة الجزء الثانى • ترجمة د• على رفاعة الانصارى - عبدالعزيز حمودة - فواد اسكندر • مراجعة د• عزالدين فريد • مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ابريل ١٩٦٣•

٨- زاهر رياض - استعمار القارة الافريقية واستقلالها • دار المعرفة القاهرة ١٩٦٦•

٩- شكيب ارسلان • حاضر العالم الاسلامى • المجلد الثالث الحلبى القاهرة ١٣٥٢هـ•

١٠- صلاح صبرى - افريقيا وراء الصحراء النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٠٠

١١- كلود كاهن - تاريخ العرب والشعوب الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانيـــة • دار الحقيقة بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ ترجمة د• بدرالدين القاسم •

١٢- كارلتون أ•س• كون• ادوارد - أ - هنت الابن • السلالات البشرية الحالية • ترجمة د• محمد السيد غلاب •

١٣- د• مصطفى النجار • عرب الجزيرة بين الجاهليـــة والاسلام • موسسة شباب الجامعة الاسكندرية ١٩٨٢٠

١٤- د• مصطفى أبو ضيف احمد • دراسات فى تاريخ العرب موسسة شباب الجامعة الاسكندرية ١٩٨٢٠

١٥- محمد فؤاد شكرى - الصراع بين البرجوازية والاقطاع ١٧٨٩-١٨٤٨ - المجلد الثانى • دار الفكر العربى ١٩٥٨٠

١٦- محمد فؤاد شكرى مصر والسودان ١٨٢٠-١٨٩٩٠ دار المعارف بمصر ١٩٦٣٠

١٧- نزيه نسيم ميخائيل • النظم السياسية فى افريقيا وتطورها واتجاهها نحو الوحدة • وزارة الثقافة المصرية القاهرة ١٩٦٥٠

٦: المرجع الاجنبية .

نعنى بالاجنبية كل ما كتب باللغات الاجنبية بصرف النظر عن كاتبها .

1- Allibert,Claude: Histoire de Mayotte avant 1841.(Paris 1977).

2- Ali Haribou: les Comores. (2e edition.Paris 1990).

3- Ali Omar: l'Exploitation des Comores.(Saint-Denis-Reunion 1926).

4- Abdou Bacar: l'Education aux Comores.(Paris,1985).

5- Andre,Oraison: Histoire des Comores. (Paris , 1980 .)

6-Blanchy,Sophie,Damir Ben Ali, Moussa Said: Comoress sur les traces de l'histoire.(Moroni- Comores ,1989).

7- Bouchrahil Abdou: les evenements de 1914-1915,contre la colonisation aux Comores.(Dakar- Senegal 1981).

8- Cadhi ,Umar: Histoire des Comores.(Aix-en-province-France 1978).

9- Capmartin,Colin,Epidariste:Essai sur les Comores.(Paris,sans date).

10- Chakind Siday: l'histoire politique de la Grand-Comore.(Paris1983.

11- Colin, Epidariste: Essai sur les Comores .(Paris,sans date).

12- David Inous: l'Education comorienne.(Paris ,11973).

13- Depolin Ramatoka: Histoire de Moheli 1800-1968,(Tananarive - Madagascar 1983).

14- Du Plantier de Necolas:la Grand-Comore,sa colonisation(Paris1904)

15- Damir Ben Ali: la Fin de Moussafoum.(Moroni Comores ,1988).

16- Edourd Ralaimihoatra: Histoire de Madagascar.(Tananarive - Madagascar ,1966).

17- Faurec,Urbain,Manicacci,Jean:Histoire de l'Ile de Mayotte.(Madagascar 1971).

18- Flobert Thierry: les comores,evolution juridique et socio-politique.(Paris,1976).

19- Flobert,Bertrand: Archipel des Comores,Anjouan et Moheli. (Moroni- Comores ,sans date .).

20- Gevry,A: Essai sur les Comores.(Paris,1970) .

21- Gevry,A: Histoire des Comores . (Paris,1970).

22- Guy Paul: Mayotte et les Comores 1848- 1960.(S.L. sans date.)

23- Guy Paul: Compitation sur l'histoire des Comores.(Moroni 1989).

24- Gaba Djemal-Eddine :le Manuscrit arabe de Burhan Mkelle.(Val-bonais-France 1981).

25- Genin,E: Madagascar,les Comores,Maurice,Reunion.(Paris,sans date).

26- Herve Chagnoux: les Comores.(Paris, 1990).

27--Hocquet Yves: Histoire politique de l'Archipel des Comores. (Moroni,1962).

28- Hodhoar Inzoudine:l'Affaire de l'Ile comorienne Mayotte. (Rabat- Maroc.1983).

29- Jamilat Achraf:l'Education Islamique aux Comores.(Paris 1980).

30- John,A: Histoire d'Anjouan.(Paris,1963).

31- Jean Martin:les Debuts du protectorat aux Comores.(Paris 1973).

32- Jean Martin: Comores,quatre iles entre pirates et planteurs Malgaches.(Vol I, Paris 1983).

33- Jean Martin: Comores, quatre iles entre pirates et planteurs Malgaches.(Vol.2,Paris ,1983).

34- L.H. Gannad peter Duignan: Colonialism in Africa 1870-1963. (Vol.2. Cambridge University,1982).

35- Michael F. Lofchie: Zanzibar Backround to Revolution.(Oxford University press 1965).

36- Manicacci Jean :l'Archipel des Comores.(Tananarive-Madagascar 1939).

37- Michel ,Daniel : Miche,Daniel: Malgaches.(Tananarive 1972).

38- Mohamed Hassan : Histoire des Comores,(Paris 1982).

39- Moustakime Said: les Enjeux juridiques et politiques de la question de Mayotte.(Lome- Togo, 1987).

40- Mohamed Ahmada Mli: Origines et evolution de l'affaire de Mayotte(Moroni, 1982).

41- Meunier Alexis: le Statut politique et administratif de l'Archipel des Comores de l'annexion a l'autonomie restreinte 1912-1968 . (S.L. 1970).

42- Noel,L,M: Histoire de Mayotte et des Sakalavas.(Sans date,S.L.).

43- Pierre L. : Histoire d'Anjouan (Paris,1987).

44- Pele Leon: Histoire de l'Education dans l'Archipel des Comores. (Paris 1980).

45- Ph.L: les Comores . (Paris,1975).

46- Robineau Claude :l'Islam aux Comores,l'Ile Anjouan.(Paris,sans date).

47- Robineau Claude: Societe et economique d'Anjouan.(Paris,1966).

48- Said Atuya: la Crovee a l'epoque coloniale en Grand-Comore. (Moroni, 1986).

49- Said SoilihYoussouf :les legs agraire coloniale aux Comores . (Alger- Algerie 1980).

50- Soilih Mahmoud: Perspectives de reglement de la question de Mayotte. (Dakar- Senegal ,1983.)

51- Tixier Chantal; Emanuelle: Une colonisation la faire des Comores.(Clermont- France,1981).

52- Virginia Thompson & Richard Adolf: Malagasy Republic -- Madagascar today .(sans date. S.L.).

53- Verrin Pierre :l'Introduction de l'Islam aux Comores.(Wiesbaden Allemangne R.F.D. 1982).

54- Verrin Pierre: Guerres Civilles Comoriennes (Paris 1981) .

55- Wright,Henry T: Preservation des site historiques de Mayotte. (Michingan U.S.A. 1980).

56- W.H. Ingrams : Zanzibar its history & its people.(Holland N.V.Grafische industie Haarlem,1967).

57- Ymadoudine Hamidouni: le Probleme de Mayotte.(Rabat, Mar 1987).

58- Zakiya Idjihad: l'Islam et l'Education aux Comores.(Alger- Algerie ,1979).